جامعة مؤتة

عمادة الدراسات العليا

السياسة الخارجية للدولة الايلخانية

654 -736هـ / 1256 -1335م

إعداد الطالبة

حنان أحمد محمود الخريسات

إشراف

أ . د . احمد عبد ا الحسو

رسالة

مقدمة إلى

عمادة الدراسات العليا

استكمالا لمتطلبات الحصول

على درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي

جامعة مؤتة ، 2008م

بسم الله الرحمن الرحيم

MUTAH UNIVERSITY
Deanship of Graduate Studies

جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

نموذج رقم (14)

قرار إجازة رسالة جامعية

تقرر إجازة الرسالة المقدمة من الطالبة حنان احمد الخريسات الموسومة بـــ:

السياسة الخارجية للدول الايلخانية (654هـ-736)

استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في **التاريخ**.

القسم: التاريخ.

	التوقيع	التاريخ	
أ.د. احمد عبدالله الحسو		2008/05/21	مشرفاً ورئيسا
أ.د. زريف مرزوق المعايطة		2008/05/21	عضواً
أ.د. احمد الجوارنة		2008/05/21	عضواً
د. محمود محمد الرويضي		2008/05/21	عضواً

عميد الدراسات العليا

أ.د. حسام الدين المبيضين

جامعة مؤتة - عمادة الدراسات العليا

MUTAH-KARAK-JORDAN
Postal Code: 61710
TEL :03/2372380-99
Ext. 5328-5330
FAX:03/ 2375694
e-mail: dgs@mutah.edu.jo sedgs@mutah.edu.jo
http://www.mutah.edu.jo/gradest/derasat.htm

مؤته – الكرك – الاردن
الرمز البريدي :61710
تلفون :03/2372380-99
فرعي 5328-5330
فاكس 03/2 375694
البريد الالكتروني
الصفحة الالكترونية

الآراء الواردة في الرسالة الجامعية

لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر جامعة مؤتة .

الإهداء

إلى من رافقتني في مشواري العلمي وقدمت لي كل عون ، والدتي أمد ا

في عمرها

اهدي هذا الجهد .

حنان الخريسات

الشكر والتقدير

يسعدني أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى الأستاذ الدكتور احمـد عبـد ا الحسو على تفضله بالإشراف على هذه الرسالة , وعلى كل ما قدمه من عون ؛ وقتا ، وجهدا ،وتوجيها منذ أن كانت فكرة وحتى أصبحت في صورتها هذه .

وأتقدم بوافر الشكر إلى أساتذتي الأفاضل ؛ أعضاء لجنة المناقـشة : الأسـتاذ الدكتور احمد الجوارنة ، والأستاذ الدكتور زريف المعايطـة ، والـدكتور محمـود الرويضي .

كما وأتقدم بوافر الشكر إلى الدكتور قاسم النوافلة ؛ مساعد مدير مكتبة جامعـة مؤتة , على تسهيل رجوعي إلى المصادر، وجلب ما لم يكن متوفرا منهـا , كمـا أتوجه بالشكر إلى المعلم حمد القمول ، والمعلمة فيروز الهواملة على ما قدموه لـي من عون في ترجمة المراجع الفرنسية التي استخدمتها في هذه الدراسة , والى مكتبة بلدية محافظة الطفيلة , ومكتبة مصادر التعلم في مديرية التربية والتعليم لمحافظـة الطفيلة , والى كل من قدم لي أي عون .

حنان الخريسات

فهرس المحتويات

الاهداء .... أ

الشكر والتقدير .... ب

فهرس المحتويات .... ج

قائمة الملاحق .... د

المختصرات .... هـ

الملخص باللغة العربية ....و

الملخص باللغة الانجليزية......................................ز

المقدمة .... ح

المدخل :الدولة الايلخانية النشأة والتكوين.............................1

(600 - 654هـ/1203-1256م) .

الفصل:

1 : السياسة الخارجية للدولة الايلخانية تجاه القوى السياسية في العراق واسيا الصغرى(654-661هـ/1256-1262م).

1.1 : تجاه الخلافة العباسية.......................................22

2.1: تجاه الامارة البدرية...40

3.1: تجاه ارمينية الصغرى...50

2 : السياسة الخارجية للدولة الايلخانية تجاه القوى المغولية الاخرى (654-736هـ/1256-1335م).

1.2: تجاه القبيلة الذهبية...60

2.2: تجاه مغول جغتاي...73

3 : السياسة الخارجية للدولة الايلخانية تجاه القوى السياسية في بلاد الشام (654-736هـ/1256-1335م) .

1.3: تجاه الايوبيين...78

2.3: تجاه فرنج الساحل...87

4 : السياسة الخارجية للدولة الايلخانية تجاه دولة المماليك البحرية (654-736هـ/1256-1335م).

1.4: في عهد هولاكو...97

2.4: في عهد اباقا...103

3.4: في عهد تكودار...110

4.4: في عهد غازان...117

5.4: في عهد خدابنده...128

6.4: في عهد بوسعيد...131

5 : السياسة الخارجيـة للدولـة الايلخانيـة تجـاه الغـرب الاوروبـي (654-736هـ/1256-1335م) .

1.5: في عهد هولاكو...136

2.5: في عهد اباقا...139

3.5: في عهد ارغون...145

4.5: في عهد غازان...153

5.5: في عهد خدابنده و بوسعيد.......... 155

الخاتمة 158

المراجع...160

الملاحق 176

قائمة الملاحق

رمز الملحق	موضوع الملحق	الصفحة
أ	وصية منكوخان إلى هولاكو	175
ب	رسالة صادرة من هولاكو الى الخليفة العباسي المستعصم يطلب المدد	176
ج	رسالة صادرة من هولاكو الى الخليفة العباسي المستعصم يعاتبه على عدم إرسال المدد ويظهر فيها الطاعة	177
د	رسالة صادرة من هولاكو الى الملك الناصر يوسف سنة 656هـ/1258 م	179
هـ	رسالة صادرة من هولاكو الى الملك الناصر يوسف سنة 656هـ /1258م	180
و	رسالة صادرة من هولاكو الى الملك الناصر يوسف ورد فيها بعض الاختلاف	181
ز	رسالة صادرة من هولاكو الى الملك الناصر يوسف سنة 657هـ/1258م	182
ح	رسالة صادرة من هولاكو الى السلطان المظفر قطز سنة 658هـ/1259م	184
ط	رسالة صادرة من اباقا خان الى السلطان المملوكي الظاهر بيبرس سنة 667هـ/1268م	185
ي	جواب السلطان المملوكي الظاهر بيبرس على رسالة اباقا خان.	187
ك	رسالة صادرة من احمد تكودار الى السلطان المنصور قلاوون سنة 681هـ/1282م	188

ل جواب السلطان المملوكي المنصور قلاوون على رسالة احمد تكودار سنة 681هـ/1282م 192
م الرسالة الثانية الصادرة من احمد تكودار إلى السلطان المنصور سنة682هـ/1282م قلاوون 196
ن فرمان الايلخان غازان الى الأمراء والنواب في دمشق سنة 699هـ/1299 199
س رسالة صادرة من الايلخان غازان الى الأمراء والعساكر والجيوش سنة 699هـ/1299م 204
ع فرمان الايلخان غازان الامان لاهل دمشق سنة 699هـ/1299م 207
ف رسالة صادرة من الايلخان غازان الى السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون سنة 700هـ/1300م 209
ص جواب السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون على رسالة الايلخان غازان سنة 701هـ/1301م 211
ق رسالة صادرة من الايلخان غازان الى السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون سنة 700هـ/1300م بنسخة أخرى 213
ر جواب السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون على رسالة الايلخان غازان سنة 701هـ/1301م بنسخة أخرى 219
ش فرمان الايلخان غازان يستميل فيه اهل الشام إلى جانبه سنة 702هـ/1302م 223
ت رسالة صادرة من الايلخان غازان الى السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون سنة 702هـ/1302م 232
ث رسالة صادرة من الايلخان ارغون الى الملك فيليب الرابع ملك فرنسا سنة 688هـ/1289م 233

خ	رسالة صادرة من الايلخان اولجايتو خدابنده الى الملك فيليب الرابع ملك فرنسا سنة 704هـ/1304م	233
ذ	شجرة نسب الايلخانية.	246

الاختصارات

الرمز	المختصرات
ت	تاريخ وفاة
ج	جزء
ط	طبعة
ص	صفحة
ق	قسم
ع	عدد
هـ	هجري
م	ميلادي
تح	تحقيق
مج	مجلد
د . ط	دون طبعة
د . ت	دون تاريخ
د . ن	دون ناشر
د . م	دون مكان
Ibid	المرجع نفسه
P	Page
Vol	Volum
T	Tom

الملخص

السياسة الخارجية للدولة الايلخانية
(654 – 736هـ/1256- 1335م)

حنان الخريسات

جامعة مؤتة ، 2008

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على السياسة الخارجية للدولة الايلخانيـة ومدى اتساقها وتباينها(654 – 736هـ /1256- 1335م) .

وقد قسمت إلى مدخل وخمسة فصول : خصص المدخل لدراسة نـشأة الدولـة الأيلخانية وتكوينها مع إعطاء صورة مفصلة عن المرحلة التي سـبقت ذلـك فيمـا يخص الدولة المغولية الكبرى التي كانت الدولة الأيلخانية جزءا منها .

أما الفصل الأول فقد تناول السياسة الخارجية للدولة الايلخانيـة تجـاه القـوى السياسية في العراق واسيا الصغرى فـي الفتـرة (654- 661هـ ـ / 1256 - 1262م) , في حين تناول الفصل الثاني السياسة الخارجية للدولة الايلخانيـة تجـاه القوى المغولية الأخرى في الفتـرة (654- 736هـ ـ / 1256-1335م) , أمـا الفصل الثالث فقد تناول هذه السياسة تجاه القوى السياسية في بلاد الشام في الفتـرة (654- 637هـ/ 1256-1335م) , كما خصص الفصل الرابع لتناول السياسة الخارجية للدولة الايلخانية تجاه دولة المماليك البحرية (654- 736هـ / 1256-1335م) , أما الفصل الخامس فقد تناول السياسة الخارجية للدولة الايلخانية تجـاه الغرب الاوروبي (654- 736هـ / 1256-1335م) , وقـد أنهيـت الدراسـة بخاتمة تضمنت النتائج النهائية للدراسة وأرفق معها مجموعة من الملاحق وقائمـة بالمصادر والمراجع .

ABSTRACT

The External Policy Of The Ilkhanid Dynasty
(654-736 A.H/1256- 1335A .d)

Hanan Ahmad Al-Khrisat
Mu`ta University , 2008

The survey aimed at shedding light on the external policy of the ilkhanid dynasty and the range of it's a recommendation and contrast (654-736 A.H / 1256- 1353 A.D) .

The survey has been divided into an introduction and five chapters :

The introduction of the survey has been used particularly for studying the start and construction of The ilkhanid dynasty with providing detailed image about Mongol History before that .

The first chapter has been used to dealt with the policy of the ilkhanid dynasty towards the political powers in Iraq and the Asia minor in this period (654-661 A.H / 1256-1262 A.D.)

The second chapter has been used to dealt with the ilkhanid external policy towards the others mongols powers in the period 654-736 A.H /1256-1335 A.D.

The third chapter has been used to dealt with the external policy of the ilkhanid towards the political powers of Bilad AL-Sham in the period (654-736 A.H /1256-1335 A.D) .

The fourth chapter has been used to dealt with the external policy of the ilkhanid towards the Mamluk Dynasty in the period (654-736 A.H /1256-1335 A.D) .

The fifth chapter has been used particularly to dealt with ilkhanid external policy towards West Europe in the period (654-736 A.H /1256-1335 A.D).

The survey has been ended with a conclusion that has involved the end results of the survey and it has been enclosed with a group of appendix , and a list of primary and secondary sources , and references .

المقدمة

افرز الغزو المغولي الذي اجتاح قارة آسيا و أوروبا في القـرن الـسابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، قيام عدد من الكيانات السياسية المغولية ، لعـل أهمها الدولة الايلخانية التي حكمت كلاً من إيران والعراق ثمانيـة عقـود (654-736هـ /1253 – 1335م) , وقد اتبعت هذه الدولة ذات النهج الذي سلكه مـن قبل جنكيز خان في اعتماد سياسة الغزو والتوسع ، ومن هنا فقد دخلت في علاقات مع الإمارات الأيوبية , ودولة المماليك البحرية , ومغـول القبيلة الذهبية , ومغـول جغتاي , وفرنج الساحل في بلاد الشام , والقوى الصليبـية في أوروبا . وقد كـان لذلك أثره الكبير على هذه الدول وعلى شعوبها خـلال القـرنين الـسابع والثـامن الهجريين / الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين , وهو ما تحاول هـذه الدراسـة الكشف عنه .

على الرغم من أن عددا من الباحثين درسوا تاريخ الدولة الايلخانية ،ألا أنهم جميعاً ركزوا على أوضاع العراق في ظل هذه الدولة دون تناول سياستها الخارجية بشكل منفرد ، وهي دراسة لجعفر خصباك بعنوان "**العـراق فـي عهـد المغـول الايلخانيين**" , ودراسة بعنوان " **العراق في عهد المغول الايلخانيين** " وهي رسـالة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي مقدمة من عبد علي ياسين مـن جامعـة الأزهر.

ومع أن السياسة الخارجية لهذه الدولة شكلت أحد العوامل الفاعلة في تـاريخ النصف الثاني من القرن السابع الهجري / النصف الثاني من القرن الثالـث عـشر الميلادي , والنصف الأول من القرن الثامن الهجري / النصف الأول مـن القـرن الرابع عشر الميلادي , فإنها لم تحظ باهتمام الباحثين إلا عرضا ، وهو ما دفع إلى تحري ذلك في هذه الدراسة .

لقد كان للسياسة الخارجية التي اتبعتها الدولة الايلخانية أثرها الكبيـر علـى الدول المعاصرة لها ، كما أن رد الفعل تجاهها أدى إلى متغيرات في هذه السياسة ، بل كان عاملاً من عوامل انهيارها بعد ثمانية عقود من نشوئها , وقد اكتنـف ذلـك

متغيرات في جوانب أخرى ، مما يضفي على هذه الدراسة أهمية بالغة للكشف عن هذه الأحداث.

وقد وضعت الدراسة هدفا أمامها أن تجيب بهذا الخصوص على التساؤلات التاليـة وهي :

أولا : ما هي السياسة التي انتهجتها الدولة الايلخانية تجاه القوى المعاصـرة لها وحتى سقوط هذه الدولة سنة 736هـ/1335م ؟

ثانيا : ما مدى اتساق أو تباين هذه السياسة ابتـداء بعهـد مؤسـس الدولـة الايلخانية هولاكو خان وحتى سقوطها ؟

ثالثا : ما مدى نجاح هذه السياسة في تحقيق أهدافها ؟

أما منهجية البحث في هذه الدراسة فتقـوم علـى الإحاطـة بالمـصادر , والمراجع , والبحوث ذات العلاقة , ورصد واستقصاء ما تضمنته من معلومات وإخضاع ذلك لقواعد منهج البحث التاريخي , بما يوصل إلى صورة أكثر اقترابا من الحقيقة التاريخية .

انتظمت الدراسة في مقدمة وخمسة فصول وخاتمة , واستهلت بمدخل عـن نشأة الدولة الايلخانية وتكوينها (651-654هـ/ 1253-1256م) وتحديد أبعادها تمهيدا لبقية الفصول , وقد عني الفصل الأول بدراسة السياسة الخارجيـة للدولـة الايلخانية تجاه القوى السياسية في العـراق واسـيا الـصغرى 654- 661هـ ـ/ 1256-1262م , وشمل سياسة الدولة الايلخانية تجاه الخلافة العباسية , والإمـارة البدرية , وأرمينية الصغرى , في حين تركز الفصل الثاني على دراسة هذه السياسة تجاه القوى المغولية الأخرى654-736هـ/ 1256-1335م , ونعني بها مغـول القبيلة الذهبية , ومغول جغتاي , وعولج في الفصل الثالث السياسة الخارجية للدولة الايلخانية تجاه القوى السياسية في بلاد الشام 654 -736هـ / 1256-1335م , تجاه الأيوبيين في بلاد الشام , وفرنج الساحل , أما الفصل الرابع فقد تناول السياسة الخارجية للدولة الايلخانية تجاه دولة المماليك البحرية 654-736هـ ـ / 1256-1335م , وشملت مباحثه عهود كل من الايلخانات : هولاكو , أباقا خـان , احمـد تكودار , غازان ,اولجايتو خدابنده , وعهد (بوسعيد), أما الفصل الخامس فقد تناول

السياسة الخارجية للدولة الايلخانية تجـاه الغـرب الاوروبـي 654-736هـ ـ / 1256-1335م , وأنهيت الدراسة بخاتمة وقائمة للمصادر والمراجع والملاحق .

استندت الدراسة في محاولتها للإجابة على تساؤلات الدراسة وتحديد معـالم السياسة الخارجية للدولة الايلخانية إلى مجموعة من المصادر والمراجع العربية والأجنبية, يأتي في مقدمتها كتاب" **تاريخ فاتح العالم جهانكشاي**" , لعطا ملـك الجويني (ت681هـ/1281م) **,** وذلك أن هذا المؤرخ كان معاصـرا لحقبـة الدراسة, كما انه كان على صلة بالدولة الايلخانية , ومطلعا على أحـداثها عـن كثب , كان صاحب ديوان الإنشاء في عصر أرغون خان حاكم إيران قبل حملة هولاكو ، لخبرته في العمل الإداري والسياسي لذا فهو موضع ثقة المغول ، بـل كان شاهد عيان لما تحدث عنه في غزوه لقلاع الإسماعيلية , ومرافقا لهولاكـو في حملته على بغداد , وقد عينه نائبا في بغداد بعد سقوطها .

أفاد كتاب فاتح العالم هذه الدراسة فـي توضـيح سياسـة هولاكـو تجـاه الإسماعيلية وتجاه الخلافة العباسية وفي مواضع عديدة من الدراسة .

يلي كتاب عطا ملك الجويني في الأهميـة , كتاب رشيد الدين الهمذانـــي (ت 718 هـ/ 1318م) "**جامع التواريخ**" . كان المؤلف احد الشخصيات التي عملـت مع المغول , وتسنى لها الاطلاع على أخبارهم عن كثب بحكم عمله فـي الـبلاط المغولي , ومع انه لم يكن معاصرا للحقبة الأولى من الغـزو المغـولي للمـشرق الإسلامي إلا انه قدم مادة غنية استقاها من غيره سـاعدت علـى تكـوين صـورة واضحة عن سياسة الدولة الخارجية, إضافة إلى انه انفرد بإيراده نصوصا, ووثائق سياسية هامة لم تتح الفرصة لغيره ، الاطلاع عليها , أفاد كتاب جامع التـواريخ بأجزائه المتعددة معظم فصول الدراسة.

يلي هذا المصدر كتب بيبرس المنصوري (ت725هـ/1324م) :"**زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة**" **.** ومع أن المؤرخ متأخر إلا انه قدم مادة وفيرة ومفصلة في كتـاب الزبدة , أفادت معظم فصول الدراسة, وهذا يرجع إلى صلته بالدولة بفضل ما تقلـده من مناصب على الصعيدين السياسي, والعسكري , وانه كان شاهد عيان لكثير مـن أحداثها , فقد شارك في معارك المماليك ضد المغول ، مما مكنه من الاطلاع علـى

الكثير من الوثائق السياسية المتبادلة بين الايلخانيين وسلاطين دولة المماليك البحرية , منها الرسائل المتبادلة بين الأيلخان أباقا, والسلطان الظـاهر بيبـرس , ورسـائل الأيلخان احمد تكودار إلى السلطان المنصور قلاوون , ورسائل الأيلخان غازان إلى السلطان محمد الناصر.

وقد أعطى صورة واضحة عن سياسة الدولة الايلخانية في عهد ايلخاناتهـا منـذ النشأة إلى سنة 709هـ/1309م , كما أفاد من خلال ما ورد فيه من نصوص في توضيح سياسة الدولة الايلخانية تجاه القبيلة الذهبية , وفرنج الساحل .

أما كتاباه" **التحفة الملوكية , ومختار الأخبار**" , فقد قدم فيهما المؤلف مادة جيدة أفادت معظم فصول الدراسة رغم اختصارها, وتأتي أهمية كتاب التحفـة إلـى أن المؤرخ استقى معلوماته عن الغزو المغولي من احد كبار الشخصيات المغولية التي وفدت إلى مصر سنة 703هـ /1303م . رغم اعتماد المؤرخ على أسلوب السجع في كتابه إلا انه لم يخل بالنصوص والوقائع التاريخية . تميز بتفصيله في الـسياسة الخارجية للدولة الايلخانية تجاه دولة المماليك والحملات الموجهة إلى بـلاد الـشام ومصر, أما كتابه مختار الأخبار فقد أورد فيه بعض الرسائل المتبادلة بـين احمـد تكودار والسلطان المنصور قلاوون , ورسائل الأيلخان غازان والمنصور قـلاوون الشفوية والمكتوبة .

واعتمدت الدراسة على مصدر آخر هو كتاب " **تـاريخ مختـصر الـدول ",** لابن العبري (ت 685هـ/ 1286م), والذي تنبع أهميته من أن مؤرخـه كـان معاصرا لغزو المغول للمشرق الإسلامي, وبخاصة بلاد الشام .

أفاد الكتاب الدراسة في توضيح السياسة المغولية الايلخانية تجاه الأيوبيين فـي عهد هولاكو , وتجاه الإمارة البدرية , وأورد بعض النصوص الصادرة من هولاكو إلى بدر الدين لؤلؤ وأبنائه , انفرد بذكر رسالة هولاكو إلى الملك الناصر الأيوبي , كما أورد رسالته إلى المظفر قطز, والرسائل المتبادلة بين الأيلخان احمـد تكـودار والسلطان المنصور قلاوون .

كما اعتمدت الدراسة على كتاب" **أخبار الأيوبيين" ,** لجرجس ابن العميـد (ت 672هـ/1273م)

تأتي أهمية الكتاب في أن المؤرخ كان معاصرا للغزو المغولي , وقد أفاد الدراسة في توضيح الموقف الأيوبي تجاه سياسة الدولة الايلخانية , سلط الضوء على دور الزين الحافظي في تعاونه مع المغول وخيانته الأيوبيين .

كما اعتمدت الدراسة على كتاب" **الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة**" لمؤلف مجهول المنسوب خطأ إلى ابن الفوطي (ت723هـ/1323م)

تأتي أهميته في أن المؤلف تحدث بالتفصيل عن الخلافة العباسية في سنواتها الأخيرة , وصور سقوط بغداد على أيدي المغول , كما أورد بعضا من رسائل الايلخانيين إلى سلاطين المماليك كرسائل احمد تكودار إلى السلطان الناصر محمد . واعتمدت الدراسة أيضا على كتاب ابن أيبك الدوادار (كان حيا سنة 735هـ/1334م) ،" **كنز الدرر وجامع الغرر**" , وبرزت أهمية الكتاب في انه تحدث عن الدولة الايلخانية من خلال نصوص الرسائل التي تفرد بإيرادها بنسخة أخرى مختلفة عما ورد في المصادر الأخرى بين الأيلخان غازان والسلطان محمد الناصر .

إضافة إلى ما ذكر آنفا من المصادر , أفادت الدراسة من مجموعة واسعة من المصادر مما كتبه مؤرخون آخرون ، منهم ، بدر الدين العيني (ت 855هـ/1451م) في كتابه "**عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**" الذي أورد معظم الرسائل المتبادلة بين الايلخانات وسلاطين المماليك, والمقريزي (ت845هـ/1441م) في كتاب "**السلوك لمعرفة دول الملوك**" الذي حاول فيه إبراز العلاقات الخارجية للدولة الايلخانية ، والنويري, وابن كثير, وأبو الفدا, كما أفادت الدراسة من مجموعة من المراجع العربية والأجنبية يأتي في مقدمتها كتاب عادل إسماعيل هلال , " **العلاقات بين المغول وأوروبا وأثرها على العالم الإسلامي**" وقد أغنى الفصل الخامس من هذه الدراسة وهو السياسة الخارجية للدولة الايلخانية تجاه الغرب الأوروبي ، وتأتي أهميته في أن المؤلف اطلع على المصادر الأولية الشرقية والغربية الخاصة بعلاقة المغول بأوروبا وترجم بعض الوثائق منها تقرير الوفد المبعوث من قبل أباقا خان إلى مجمع ليون الكنسي , وترجم رسالة الأيلخان أرغون

إلى الملك الفرنسي فيليب الرابع سنة 688هـ/ 1289م , ورسالة الأيلخان اولجايتو خدابنده إلى الملك الفرنسي نفسه سنة 704هـ/1306م .

وختاماً فإنني إذ افخر بتقديم هذه الدراسة ، وأرجـو أن تلقـى الاستحـسان لـدى الباحثين ، أذكرهم أن الكمال وحده عز وجل . وا الموفق .

مدخل

الدولة الأيلخانية

النشأة والتكوين

أعقب قيام الدولة المغولية سـنة600هـ ـ/ 1203م , غـزو مؤسـسها جنكيزخان (600 -624هـ / 1203 – 1227م) ([1]) للعالم المعـروف آنـذاك , وتمكنه، والخاقانات ([2]) ، الذين تبعوه، من توسيع نفوذها في بلاد عديدة فيه , ومـن ذلك اكتساحه للمشرق الإسلامي , مما أدى إلى تغير كبير في خريطته الـسياسية , ابتداء ببلاد ما وراء النهر وانتهاء بالبحر المتوسط ([3]).

ولعل من ابرز مظاهر هذا التغير, سقوط الدولة الخوارزمية ([4]) سنة 628هـ ـ /1230م , وهيمنة المغول على معظم البلاد التي كانت بيدها , والتي تمتد بين نهـر

([1]) هو تموجين بن سوكاي بهادر بن برتان بهادر من القبائل المغولية , لما عظم أمره لقـب نفسه جنكيزخان , ولد في منغوليا سنة 549هـ/ 1154م , تولى الملك سنة599هـ ـ/ 1202م, توفي سنة 624هـ/ 1227م. انظر عنه : ابن كثير ، الحافظ ,البداية والنهاية , ط2 , مكتبة دار المعارف , بيروت1990 , ج13 , ص118وسيشاراليه تاليا : ابن كثير , البداية .

([2]) القان أو الخاقان لقب أطلق على ملك المغول الأعظم,وأطلق على رؤساء الترك في القـرن السابع الميلادي ومعناه رئيس الرؤساء. انظر : البقلي، محمد قنديل, التعريف بمصطلحات صبح الأعشى , د.ط , الهيئة المصرية العامة للكتاب,1983 , ص267 وسيشار إليه تاليـا :البقلـي , مصطلحات الأعشى.

([3]) انظر خريطة الدولة المغولية ص 23

([4]) نشأت الدولة الخوارزمية في كنف السلاجقة في أواخر القرن الخامس الهجري , اسـتغلوا ضعف السلاجقة واستقلوا بعد وقوع سلطان السلاجقة سنجر شاه في اسر قبائل الغز . عن ذلـك انظر : ابن خلدون ، عبد الرحمن, تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر فـي أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر , ط1, دار إحيـاء التـراث العربي , بيروت , د.ت, ج5, ص 90, وسيشار إليه ابن خلدون , تاريخ.

جيحون وحتى حدود العراق الشرقية , باستثناء بعض الأقـاليم , ومـا كـان بيـد الجماعات الإسماعيلية ([1]) من قلاع معروفة بحصانتها ([2]) .

ومع أن هذه البلاد ظلت تحت هيمنة المغول العسكرية حتى اعتلاء الخاقان منكوخان (648ـ655هـ /1250ـ1257م) ([3]) عرش الإمبراطوريـة المغوليـة سنة 648 هـ/ 1250م وتبنيه ذات السياسة التوسعية التي أرسى قواعـدها قبلـه مؤسس الدولة المغولية جنكيز خان , فوجه عددا من إخوته على رأس جيوش كبيرة للتوسع في بلاد وأقاليم عديدة في آسيا وأوروبا .

كان هولاكو[وهو أخ لمنكوخان] أحدهم , وقد خولـه صـلاحيات واسـعة لاستكمال السيطرة المغولية على إيران , ثم التوجه لإخضاع العراق وبـلاد الـشام ومصر , ومعالجة التحديات التي واجهت وجود المغول العـسكري فـي المنـاطق المشار إليها , طـوال أكثر من عقديـن من الزمن (628-650 هـ / 1230 - 1252 م) . ([4])

([1]) فرقة من الشيعة تنادي بالإمامة لإسماعيل ؛ الابن الأكبر لجعفر الصادق بعد موته , أسسها الحسن بن الصباح . انظر : الجادر ،عادل سالم العبد, الاسـماعيليون , ط1 , د . ن , الكويـت 2000 م , ص 16 وسيشاراليه تاليا : الجادر , الاسماعيليون

([2]) هلال ،عادل إسماعيل, العلاقات بين المغول وأوروبا وأثرها على العـالم الإسـلامي,ط1 ,عين للدراسات والبحوث الإنسانية,مصر, , ,1997 ص33,وسيشار إليه تالياً: هلال , العلاقات , الصياد، فؤاد عبد المعطي, المغول في التاريخ , د.ط, دار النهضة العربية,بيروت,1980,ج1, ,ص233, وسيشار إليه تاليا: الصياد ,المغول ؛كوك، ريجارد , بغداد مدينة السلام , ترجمة فؤاد جميل , ط1 , مطبعة شفيق , بغداد 1962 ,ج1 , ص200, وسيشار إليه : ريجاردكوك , بغداد مدينة السلام .

([3]) منكو خان الابن الاكبرلتولوي خان بن جنكيز خان , تولى الحكم بعد وفاة كيوك خان , كانت مدة حكمه ثمان سنوات , توفي في محرم سنة 655هـ/ 1257م بـسبب المـرض انظـر : الهمذاني ، رشيد الدين, جامع التواريخ (خلفاء جنكيز خان), ترجمـة فـؤاد الـصياد ويحـي الخشاب , ط1, دار النهضة العربية , بيروت 1983 , ص 194 وسيشار إليه تاليا : الهمذاني , جامع التواريخ .

([4]) انظر ملحق أ

لم تقتصر مهمة هولاكو على توطيد النفوذ المغولي في الأراضي التي كانت تابعة للدولة الخوارزمية المنهارة , بل كان عليه حسب الخطة التي وضعها منكوخان أن يتوجه بعد انجاز مهمته هذه , لفرض سيطرته على العراق وبلاد الشام ومصر , وقد أورد المؤرخ رشيد الدين الهمذاني المعاصر لهذه الحقبة النص الذي حدد فيه منكو خان المهام المشار إليها والتي جاء فيها : " **انك الآن على رأس جيش كبير وقوات لا حصر لها , فينبغي أن تسير من توران إلى إيران , حافظ على تقاليد جنكيز خان وقوانينه في الكليات والجزئيات وخص كل من يطيع أوامرك , ويجتنب نواهيك , في الرقعة الممتدة من جيحون حتى أقاصي بلاد مصر بلطفك وبأنواع عطفك وإنعامك, , أما من يعصيك فأغرقه في الذلة والمهانة مع نسائه وأبنائه وأقاربه وكل من يتعلق به , وابدأ بإقليم قهستان في خراسان فخرب القلاع والحصون.. .**" ([1])

ومع أن هذه الخطة التوسعية جاءت في إطار السياسة العليا للدولة المغولية ,فان الذي شجع منكو خان على اعتمادها وتنفيذها ، مجموعة من العوامل التي استجدت في عهد الخاقان ، وهي :

1) اضطراب حالة الأمن في إيران :

واجه الوجود العسكري المغولي القائم منذ سنة 628هـ/1230م في إيران تحديا ملحوظا من قبل الإسماعيلية الذين كانوا يتمركزون في إقليم قهستان و يتحصنون في إحدى وخمسين قلعة منيعة من أهمها : صرطق و تون ([2]) ،

([1]) انظر ملحق أ

([2]) المنصوري، ركن الدين بيبرس الدوادار , زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ,تح : دونالد ريتشاردز ,ط1 ,الشركة المتحدة للتوزيع ,بيروت 1998, ص13,وسيشار إليه : بيبرس المنصوري, زبدة الفكرة ؛ وتون مدينة من ناحية قهستان , انظر : البغدادي، صفي الدين , مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ،تح : علي البجاوي , دار المعرفة للطباعة والنشر , ط1 , بيروت , 1955م , مج1 , ص282 وسيشار إليه تاليا : البغدادي , مراصد الاطلاع

وسجموس ونماشر([1]) , وميمون دز([2]) , وألموت ([3]) , ومع أن هؤلاء تعاونوا مع المغول في العهود التي سبقت وصول الخاقان منكوخان إلى الحكـم ([4]) , إلا أنهـم اتهموا بالقيام بتحركات معادية لهم وبخاصة ما نسب إليهم من أنهم هم مـن دبـر اغتيال أحد كبار البيت المغولي وهو الأمير جغتاي ([5]) إضـافة إلـى مهـاجمتهم

([1]) بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص18

([2]) مؤلف مجهول , الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة (المنسوب خطأ لابن الفوطي) , د .ط ,المكتبة العربية , بغداد, د.ت ,ص312, وسيشار إليه : مجهول , الحـوادث الجامعة ؛ خواندمير، محمد بن خواند شاه, روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملوك والخلفـاء , ترجمة عن الفارسية احمد عبد القادر الشاذلي , مراجعة السباعي محمد الـسباعي , ط1 ,الـدار المصرية للكتاب, د. م, 1988 ,ص260 , وسيشار إليه خواندمير , روضة الصفا

([3]) الذهبي ،الحافظ, العبر في خبر من غبر ,تح , أبو هاجر محمد بن الـسعيد بـسيوني ,ط1 ,دار الكتب العلمية ,بيروت 1985 ,ج3 ,ص272 , وسيشار إليه الذهبي , العبر ؛ ابـن كثيـر ,البداية0,ج13 ,ص268 , ؛ ابن تغري بردي، يوسف, النجوم الزاهـرة فـي ملـوك مـصر والقاهرة, قدم له ,محمد حسين شمس الدين ,ط1 , دار الكتـب العلميـة ,بيـروت ,1992 ,ج7 ,ص43 وسيشار إليه :ابن تغري بردي , النجوم الزاهرة ؛ ابن سباط ، حمزة بن احمد بن عمر, تاريخ ابن سباط (صدق الأخبار) , تح : عمر عبد السلام تـدمري , ط1 , جـروس بـرس , طرابلس , د . ت , ج1 , ص367 وسيشاراليه تاليا : ابن سباط , تاريخ

([4]) بدأ تعاون الإسماعيلية مع المغول عندما أرسل حاكمهم جلال الدين بن محمد رسولا إلـى جنكيز خان لتقديم الولاء والطاعة عندما وصل إلى إقليم ما وراء النهر على رأس جيش كبيـر بعد عبوره نهر سيحون, كما أنهم تحالفوا مع المغول للقضاء علـى الخوارزميـة بـان كـانوا جواسيس لهم ساهموا في اغتيال بعض أمراء الخوارزمية , ذلك انظر : ابن الأثير , الكامل في التاريخ , د. ط , المطبعة الدمشقية , القاهرة 1939م , ج9 , ص 373 , 375 , 383 , وسيشار إليه تاليا : ابن الأثير , الكامل

([5]) هو الابن الثاني لجنكيز خان (1227-1242) , اشترك في الحرب مع أبيه ضـد الـصين ومملكة خوارزم شاه , وسميت دولة جغتاي باسمه انظر : الهمذاني , جامع التواريخ , ص 135 ؛ كاهن، كلود, الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية , ترجمة : احمد الشيخ , ط1 , دار سينا للنشر , القاهرة 1995م , ص257 وسيشار إليه تاليا : كلود كاهن , الشرق والغرب

لمدينة قزوين والمناطق المجاورة لها , مما دفع الناس فيها إلى التقدم بشكوى إلـى الخاقان منكوخان ([1]) .

2) ضعف الخلافة العباسية .

كانت الخلافة العباسية إبان هذه الحقبة في أسوأ أوضاعها , إذ لم يكن لها سلطة إلا على وسط العراق وجنوبه ([2]), أما البلاد التي تحرت خطة منكوخان مهاجمتها , ونعني بها بلاد الشام ومصر, فلم يكن للخلافة فيها إلا نفوذ شكلي , بل أن وضعها الضعيف هذا دفعها إلى محاولة اكتساب رضا المغول , بل أنها أرسلت من يمثلهـا إلى عاصمتهم قراقورم رغبة في صداقتهم ، وتجنب الاصطدام معهم , وهـو مـا عبرت عنه فيما تم من مراسلات بينها وبين المغول سنة 635هـ/1237م , و سنة 643 هـ/1245م,ثم بين سنتي 644هـ/1246م , و646هـ/1248م([3]) .

ويبدو أن ضعف الخلافة في هذه الحقبة كان احد العوامل التي شجعت المغـول على إرسال حملة هولاكو بهدف الهيمنة على المشرق الإسلامي , ولعل هـذا مـا جعلهم يرسلون جواسيسهم إلى أراضيها لمراقبة أوضـاعها ، والحـصول علـى معلومات تسهل لهم تنفيذ خطتهم , بل إنهم استهانوا بها فشنوا اثني عـشر هجومـا على بعض مدن العراق بين : (629-634هـ/1231-1236م) , (635- 640 - 643هـ/1242- 1245م) , (647 -654هـ/1249- 1256م)([4]) , قد عقب ابن الأثير (630 هـ/1232م) على الحملات الأولى التي سبقت وفاته بقوله " **لعلهم** [

([1]) ابن فضل ا العمري، احمد بن يحي, مسالك الأبصار في ممالك الأمصار , تح : محمـد عبد القادر خريسات وآخرون , د. ط , مركز زايد للتراث والتاريخ , الإمارات العربية المتحدة 2001م , ج3,ص79 وسيشار إليه تاليا : ابن فضل ا , مسالك الأبصار

([2]) الصياد , المغول , ص69

([3]) القزاز، محمد صالح, الحياة السياسية في العراق عهد السيطرة المغولية , د . ط , مطبعـة القضاء , النجف 1970م , ص97 وسيشاراليه تاليا : القزاز , الحياة السياسية في عهد السيطرة

([4]) القزاز , الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير, د. ط, مطبعـة القـضاء , النجف 1071م , ص103. وسيشاراليه تاليا : القزاز ,الحياة السياسية في العصر العباسي

أي المغول] **كانوا يقصدون من ذلك تحسس قوة الخلافة ومـدى قـدرتها علـى المقاومة " ([1]) .**

4 ـ اضطراب الأوضاع السياسية في بلاد الشام .

حكم معظم بلاد الشام وأطرافها إبان قيام حملة هولاكو عدد من الأسـر الأيوبية , كما أن جانبا من الساحل الشامي كان بيد الفرنج.

أما الأيوبيون فقد شمل حكمهم المدن الشامية , إضافة إلى مدن أخرى كانت تقع في أطرافها وهي :

ا – ميافارقين ([2]) وأعمالها ، وكان يحكمها الملك الكامل محمـد بن المظفـر بـن العادل ([3]) .

ب - حصن كيفا ([4]) والكرك والشوبك وأعمالهما , وكان يحكمها الملـك المغيـث عمر بن ا ([5]) .

([1]) ابن الأثير , الكامل , ج9 , ص386

([2]) مدينة بديار بكر . انظر البغدادي , مراصد الاطلاع , مج3 , ص1341

([3]) هو ناصر الدين محمد بن المظفر شهاب الدين بن الملك العادل , صاحب ميافارقين , ملكها سنة 645هـ/1247م , قتله المغول وطافوا برأسه في دمشق سنة 658هـ ـ/1259م انظـر : الحنبلي ، احمد بن إبراهيم, شفاء القلوب في مناقب بني أيوب , تح : ناظم رشيد , د.ط , د.ن , د. م, ص294 وسيشار إليه تاليا : الحنبلي , شفاء القلوب ؛ الزبيدي، مرتضى بن محمد, ترويح القلوب في ذكر الملوك من بني أيوب , تح : صلاح الدين المنجد , د.ط, مطبوعات مجمع اللغة العربية , دمشق , د.ت , ص71 وسيشار إليه تاليا : الزبيدي , ترويح القلوب

([4]) مدينة من ديار بكر على دجلة . انظر أبو الفدا ، إسماعيل بن علي, تقـويم البلـدان , دار صادر , بيروت , ص281

([5]) الملك المغيث عمر بن الملك العادل الثاني بن الملك الكامل , ولد سنة 606هـ ـ/1209م , توفي سنة 662هـ/1263م , انظر عنه: الحنبلي , شفاء القلوب , ص433 ؛ الزبيدي , تـرويح القلوب , ص80

ج _ حلب ودمشق وأعمالهما , وكانتا بيد الملك الناصر صلاح الديـن يوسف([1])
د - حماة وأعمالها و وكان على رأسها الملك المنصور ([2])
هـ - حمص وأعمالها , وكان يحكمها الملك الأشرف موسى ([3]).
و- الصبيبة ([4]) وبانياس , وكان يحكمها الملك السعيد بن العزيز ([5])

([1]) هو الملك الناصر يوسف بن أيوب بن شادي آخر ملوك الدولة الأيوبية , ولد سنة 625هـ/ 1227م حكم أربعة وعشرين سنة قتله هولاكو بعد هزيمته في معركة عين جالوت مـع أخيـه الملك الظاهر سنة 659هـ/ 1260م انظر عنه : أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسـي, تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين , تـح : محمـد زاهـد الكوثري , ط1 , د . ن , القاهرة , 1947م , ص206 ؛ أبو الفدا , المختصر في أخبارالبـشر, علق عليه ووضع حواشيه محمود ديوب , ط1 , دار الكتب العلمية , بيروت , د, ج2 , ص322 ؛ الذهبي , العبر , ج3 , ص297 ؛ اليافعي ،عبد ا بن اسعد, مرآة الجنان وعبـرة اليقظـان , ط1 , دار الكتب العلمية , بيروت 1997م , ج 4 , ص115وسيشار إليه تاليا : اليافعي , مرآة الجنان ؛ العماد الحنبلي ،عبد الحي ابن, شذرات الذهب في أخبار من ذهب , د,ط , دار الكتـب العلمية , بيروت , ج5 , ص292 وسيشار إليه تاليا : العماد الحنبلي , شذرات .

([2]) هو ناصر الدين محمد بن المظفر شهاب الدين غازي بن الملك العادل , ولد سنة 630هـ/ 1232م , ملك حماة سنة 642هـ/1244م وحكمها أربعين سنة , توفي سنة 683هـ/1284م . انظر : ابن واصل ، جمال الدين, مفرج الكروب في أخبار بني أيوب , تح : جمال الدين الشيال , د.ط , المطبعة الأميرية , القاهرة 1987م , ج4 , ص345 وسيشاراليه تاليا : ابـن واصـل , مفرج الكروب ؛ ابن كثير , البداية , ج13 , ص 302 , الزبيدي , ترويح القلوب , ص54

([3]) هو الأشرف مظفر الدين موسى بن الملك المنصور إبراهيم بن أسد الدين شـيركوه تـولى حمص سنة 644هـ/ 1246م قتله المغول لأنه غدر بمن عنده منهم سـنة 658هـ ـ/ 1259م ,وولى المغول بعده احد مماليكه , وقيل انه قتل سنة 662هـ/ انظـر : مجهـول , الحـوادث الجامعة , ص340 ؛ ابن كثير , البداية , ج13 , ص179 ؛ الزبيدي , ترويح القلوب , ص243 .

([4]) من القلاع الحصينة في بانياس قرب دمشق . انظر : أبو الفدا , تقويم البلدان , ص249

([5]) هو الملك السعيد حسن بن عبد العزيز بن الملك العادل بن أبي بكر بن أيوب , وقع أسيرا في معركة عين جالوت وسلم إلى السلطان قطز فضرب عنقه لوقوفه إلى جانب المغول انظر : ابن كثير , البداية , ج13 , ص225.

كانت العلاقات بين هؤلاء الأمراء اقرب إلى الخلاف , بل والنـزاع المـسلح منها إلى الاتفاق والتوحد . ومع أن الناصر يوسف كان هو القوة الأكبر في بـلاد الشام ؛ وبخاصة اثر نجاحه في توسيع نفوذه وفرض هيمنته على بعض الأمراء ، إلا أن كل واحد منهم كان يعتبر نفسه مستقلا عن غيره ([1]) .

ومع أن هجمات المغول استطاعت أن توجه ضربات موجعة للدولة الخوارزمية في المشرق الإسلامي بين السنوات 615-628 هـ/ 1218 -1230م وتسقطها ، وان ترسل حملات خاطفة عديدة نحو مدن العراق منذ سنة 618هـ/ 1221م ([2]) , بما يعنيه هذا الاقتراب من حدود بلاد الشام الشرقية ، فان الأمـراء الأيـوبيين لـم يعطوا هذا المتغير السياسي الكبير ما يتناسب وخطورة التهديد الذي يمثلـه , ولـم يصغوا جيدا إلى ما قاله احدهم وهو الملك الاشرف صاحب حمص معقبا على مقتل آخر حكام الدولة الخوارزمية جلال الدين منكبرتي : " **كان سدا بيننا وبين التتـار فبهلاكه تمكنت التتار من العراق والروم والجزيرة والتطرق إلى بلاد الشام** " ([3]).

استغل المغول استحكام الخلافات بين بعض الأمراء الأيوبيين ,وضعف موقفهم ، فأرسلوا إليهم سنة 38 6هـ / 1241م يأمرونهم بالدخول في طاعتهم , كما طلبوا من شهاب الدين غازي ؛ صاحب ميافارقين أن يهدم أسوار بلدته ([4]) .

ويبدو أن الأيوبيين اثروا في السنوات التالية لـسنة 642هـــ/1244م أن يدفعوا الجزية لهم ([5]) , بل أن الملك الناصر أرسل أخاه الملك الظاهر إلى قراقورم

([1]) الصياد , المغول في التاريخ , ج1, ص290

([2]) القزاز , الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة , ص88

([3]) ابن واصل , مفرج الكروب , ج4 , ص323 ؛ سوسن محمد نـصر , بنـو أيـوب مـع الخوارزمية والمغول , المجلة التاريخية المـصرية , ع , 30 , 31 ,1983 / 1984 , ص81 وسيشار إليه تاليا سوسن نصر , بنو أيوب

([4]) ابن كثير , البداية , ج13 , ص155

([5]) ابن العميد ، جرجس, أخبار الأيوبيين , د. ط, مكتبة الثقافة الدينية , بورسعيد , د. ت , ص41وسيشار إليه تاليا : ابن العميد , أخبار الأيوبيين ؛ بيبرس المنصوري ,زبدة الفكرة ص43 ؛ ابـن كثيـر , البدايـة ' ج13 , ص155 ؛ ابن خلدون, تاريخ , ج5, ص358 ؛ ابن سباط ,تاريخ ,ج1, ص 378؛ سوسن , بنو أيوب , ع 30 , 31 , ص80 ـ 81 ؛ Robert Irwin, The Middle East in the Middle Ages The Early Mamluk Sultan at (1250-1382), groom , p31

سنة 648هـ / 1250م حاملا هداياه ومعلنا طاعته , للمغول وقد حصل مقابل هذه الزيارة على عهد أمان أرسله ملك التتار مع أخيه . ([1]) .

بدا عجز الأمراء الأيوبيين واضحا في عدم قدرتهم على دفع المغول فتعرضـت بلادهم إلى الغزو المغولي سنة 650هـ/1252م لديار بكر , وميافـارقين , ورأس عين ([2]), وسروج ([3]) , إن هذا الغزو دفع الملك الكامل محمد صاحب ميافارقين أن يتوجه إلى منكوخان في السنة ذاتها حاملا معه " **هدية سـنية** " ([4]) لحماية بلاده من هجوم المغول فعاد هو الآخر بفرمان لحمايته والوصية من المغـول ([5]) , غيـران ذلك لم يأت بنتيجة حيث أصبح أكثر مراقبة في تحركاته([6]) .

هذا الوضع دفع بالأمراء الأيوبيين لأن يتخذوا موقفا متخاذلا بـل ومهادنـا للمغول , فالتمسوا حمايتهم إما للاحتفاظ بمناطق حكمهم , أو للتحالف معهـم ضـد المماليك الذين اسقطوا الحكم الأيوبي فيها منذ سنة 648هـ/ 1250م .

5 - **تنامي النفوذ المغولي في آسيا الصغرى والجزيرة الفراتية**

كان للمغول نفوذ واسع لدى ثلاث قوى سياسـية فـي آسـيا الـصغرى , والجزيرة الفراتية وهي كل من : سلاجقة الروم , وأرمينية الـصغرى , والإمـارة البدرية .

([1]) ابن العميد , أخبار الأيوبيين , ص41 ؛ المقريزي، تقي الدين احمد بـن علـي, الـسلوك لمعرفة دول الملوك , صححه ووضع حواشيه محمد مصطفى زيادة , د. ط , مصر , د . ت , ج1 , ق2 , ص379 وسيشاراليه تاليا : المقريزي , السلوك ؛ سوسن , بنـو أيـوب , ع 30 , 31 , ص81

([2]) مدينة من بلاد الجزيرة قرب الموصل . انظر أبو الفدا , تقويم البلدان , ص279

([3]) ابن كثير , البداية , ج 13 , ص182

([4]) ابن شداد ، محمد بن علي بن إبراهيم, الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة , تح : يحي عبـادة , د . ط, وزارة الثقافـة والإرشـاد القـومي , دمـشق 1978م , ج3 , ق2 , ص479وسيشار إليه تاليا : ابن شداد , الاعلاق الخطيرة

([5]) ابن شداد , الاعلاق الخطيرة, ج3 , ق2 , ص 480

([6]) المصدر نفسه , ج3 , ق2 , ص 484

خضع سلاجقة الروم للمغول سنة 652هـ/1254م عندما وجه الخاقان منكوخان رسائل إلى أميرهم عز الدين كيكاوس يأمره فيها بالحضور إلى قراقورم عاصمة المغول ([1]) " **لطلب الصلح وتقرير الجزية المفروضة على بلاده والموافقة على فتح أقاليم الروم لتسهيل مرورهم إذا ما قدموا إليها** " ([2]) , وقد ذكر المؤرخ بيبرس المنصوري (ت 725هـ/ 1324م) أن جلال الدين توجه إلى منكو خان لكي " **يطلب منه الصلح والهدنة , ويقرر معه الإتاوة , ليكف عساكره المتوالية ويمنع جيوشه العادية** " ([3]) .

أما أرمينية الصغرى فقد كانت ترتبط مع المغول بروابط متينة منذ سنة 642هـ/ 1244م , فقد أعلن ملكها هيثوم الأول (*Hethum I*) (624 -669هـ/1226 – 1270م) ولاءه لهم , وأبدى حماسه لتنفيذ مخططاتهم ([4]) .

أما الإمارة البدرية في إقليم الجزيرة الفراتية , فان علاقتها بالمغول ترجع إلى سنة 634 هـ/ 1236م ([5])، عندما اظهر مؤسسها بدر الدين لؤلؤ (631 – 657هـ/1233 -1258م) ([6]) , ولاءه لهم وزودهم بالمال والسلاح([7]) كما ضرب نقودا نحاسية ووضع عليها ألقاب القان المغولي

([1]) ابن العبري ، غريغوريوس الملطي,تاريخ مختصر الدول , ط1, دار المسيرة ,بيروت د.ت , وسيشار إليه ابن العبري , المختصر

([2]) بيبرس المنصوري ,زبدة الفكرة ,ص22

([3]) المصدر نفسه ,ص22

([4]) المصدر نفسه ,ص22

([5]) مجهول , الحوادث الجامعة , ص337

([6]) هو بدر الدين لؤلؤ الارمني مملوك نور الدين ارسلان صاحب الموصل , تغلب على الموصل وملكها وكان نائبا بها ثم استقل سنة 621هـ/ 1224م , توفي سنة 657هـ/ 1258م انظر : ابن خلكان ، احمد, وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان , مراجعة وزارة المعارف العمومية , الطبعة الأخيرة , مطبعة عيسى البابي الحلبي , مصر , د . ت , ج2 , ص93 , وسيشار إليه تاليا : ابن خلكان , وفيات الأعيان ؛ الذهبي , العبر , ج3 , ص286

([7]) الهمذاني , جامع التواريخ (خلفاء جنكيز خان) , ص231 ؛ مجهول , الحوادث الجامعة , ص337 ؛ بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص43

أوكتاي ([1]) , إضافة إلى انه أرسل ابنه الملك الصالح إسـماعيل سـنة 635هـ ـ/ 1237م ([2]) مندوبا عنه لحـضور المجلـس الأعلـى للمغـول والـذي يعـرف بالقوريلتاي([3]) , وكلفه بزيارة أخرى للعاصمة قراقورم في أواخر سـنة 650هـ ـ/ 1252م ([4]) **,** إن رضوخ هذه القوى الثلاث للمغول وفر لهم وجودا حيويا وقـدرة على الاستفادة من بلادهم لمهاجمة العراق وبلاد الشام .

في إطار هذه الصورة ابتدأ هولاكو حملته سنة650هـ/1252م متحريا فرض الهيمنة المغولية على إيران والعراق ثم بلاد الشام ومصر .

وقد تركز جهده أولا على إخضاع الإسماعيلية , الذين كانوا يشكلون عقبة أمام ترسيخ الوجود المغولي في إيران , وأمام طموحه بتأسيس دولة لـه فيهـا , تكـون منطلقا لتحركه نحو العراق وبلاد الشام ومصر.

تنفيذا لهدفه هذا , أرسل هولاكو سنة 653هـ/1256م رسائل إلـى عـلاء الدين خورشاه مهددا , ومشجعا له على الدخول في طاعته , جاء في إحداها قوله : "**... وان كنت تحب المصالحة والسلام لزمك أن تقوض قلاعك وتتوجه إلينا بنفسك وإلا فتأهب للحرب ..** " ([5]) , كما خاطـب زعمـاء الإسـماعيلية الآخرين في رسالة جاء فيها :

" **.....إذا أتيتم إلينا ووافقتم على مشروعنا بتقديم المـساعدة مـن الرجـال والذخائر وآلات الحرب فاني أعدكم بالبقاء في بلادكم آمنين تتمتعون بقصوركم**

([1]) هو الابن الثالث لجنكيز خان , تولى بعد وفاة أبيه بسنتين وأصـبح خانـا للإمبراطوريـة المغولية في اجتماع القوريلتاي في ربيع سنة 626هـ/ 1229م , توفي سنة 639هـ/ 1241م . انظر : الهمذاني , جامع التواريخ خلفاء جنكيز خان , ص63

([2]) المصدر نفسه , ص181, 192

([3]) القوريلتاي مجلس يجتمع فيه كبار أمراء المغول ورجال الدولة تناقش فيه الآراء للصالح العام وتتم فيه الموافقة على تنصيب الأيلخان انظر : البقلي ,مصطلحات الأعشى , ص278

([4]) ابن شداد , الاعلاق الخطيرة , ج3 , ق2 , ص479

([5]) ابن العبري , تاريخ الزمان , ترجمة الأب إسحاق أرملة , قدم له الأب جان موريس , د. ط, دار المشرق , بيروت 1986م , ص301 وسيشار إليه تاليا : ابن العبري , تاريخ الزمان.

وجيوشكم , أما إذا أظهرتم العكس سرت إليكم بعد إتمام مشروعي بعـون ا (1) وخربت بلادكم دون الالتفات إلى ما تقدمونه من الأعذار . " (2)

تحت وطأة الضغط المغولي ، خرج بعض رجـال الإسـماعيلية لمقابلـة هولاكو معلنين الاستسلام , وقبولهم بتفويض القلاع والحصون , ثم بتسليم القلاع الأخرى (3) , حيث تم تسليم بعضها مثل : صرطاق , وتون سـنة 652هـ ـ/ 1254م , وسجموس , ونماشر سنة 653هـ/ 1255م , وأمهل ركن الدين مـدة سنة لتسليم قلعة الموت , ولمسر ولال , حيث استسلمت سنة 654هـ /1256م , ثم تم القضاء عليهم بقتل ركن الدين خورشاه سنة 655هـ/ 1257م (4) .

مع نجاح المغول بالقضاء علـى الإسمـاعيلية سنة 654هـ ـ/1256م , ولدت دولة مغولية جديدة ؛ وهي التي أصبحت تعرف بالدولـة الأيلخانيـة , (5) , و بدأ هولاكو يتصرف في هذا التاريخ باعتباره حاكما لبلاد تمتد من نهر

---

(1) استعمل هولاكو وايلخانات المغول بعض العبارات الإسلامية في رسائلهم بسبب اعتمادهم على القضاة المسلمين ممن عملوا لديهم .

(2) الجويني ، عطا ملك, تاريخ فاتح العالم (جهانكشاي) , ترجمة عن الفارسـية : محمـد التونجي , د . ط , دار الشروق , د . ت ,ج2 , ص261 وسيشاراليه تاليا : الجويني , تاريخ

(3) للاطلاع على فتح المغول لقلاع الإسماعيلية , انظر : ابن العبـري , مختـصر الـدول , ص264 ؛ مجهول , الحوادث الجامعة , ص312 ؛ بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص 13 – 18

(4) الجويني , تاريخ , ج2 , ص249 ؛ مجهول , الحوادث الجامعة , ص213 -214

(5) اختلف المؤرخون في تحديد سنة قيام الدولة الايلخانية إذ يرى براون أن هولاكو مـارس سلطاته كنائب للملك الخاقان في فارس واسيا الصغرى بعد عبوره نهر جيحون سنة 654هـ ـ /1256م , بينما يرى القزاز أن هولاكو مارس سلطاته بعد عودته من بغـداد واسـتقراره فـي مراغة التي اتخذها عاصمة له سنة 656هـ / 1258م حيث تفرغ لبناء دولته , وقد وجدت قطع نقدية ضربت في عهد هولاكو مؤرخة بتاريخ فترة حكمه في عهد بدر الدين لؤلؤ , دينار ضرب في الموصل سنة 657هـ /1259م , أو 658هـ / 1260 م, 659هـ /1261م في الموصـل زمن ركن الدين إسماعيل بن بدر لدين لؤلؤ عليها اسم هولاكو , بينما يذكر صاحب الحـوادث الجامعة أن سك النقود المغولية في الموصل كان سنة 660هـ/ 1262م, والتي شـاهد بعـضها

جيحون حتى حدود العراق الشرقية ([1]) , حيث اتخذ مدينة مراغـة عاصمة لـه واصـدر عملة تحمل اسمه([2]) .

جاورت دولة هولاكو ايلخانية جغتاي المغولية ([3]) في بلاد ما وراء النهر من الشرق , أما من الشمال فكانت لها حدود طويلة مع مغول القبيلة الذهبية ([4]) التي يمتد نفوذها في حوض نهر الفولغا وشواطئ بحر قزوين الشرقية والغربية , أما من الغرب فقد كانت تجاوره سلاجقة الروم في أسيا الصغرى , والإمـارة البدرية في الجزيرة الفراتية ثم الخلافة العباسية في وسط وجنوبي العراق .

عبد علي ياسين في المتحف العراقي. حول قيام الدولة الايلخانية انظر : مجهـول , الحـوادث الجامعة , ص348 ؛ براون، إدوارد, تاريخ الأدب في إيران من الفردوسـي إلـى الـسعدي , ترجمة : إبراهيم أمين الشواربي , القاهرة 1954م , ص100 وسيشار إليه تاليا : براون , تاريخ ؛ القزاز , الحياة السياسية في عهد السيطرة المغولية , ص126 ؛ ياسين ،عبد علي, العراق فـي عهد المغول الايلخانيين , رسالة دكتوراه , جامعة الأزهر، 1978م , ص100 , 362

....

([1]) انظر خريطة الدولة الايلخانية 24

([2]) مجهول , الحوادث الجامعة , ص331 ؛ رشاد ، عبد المنعم, موسوعة الموصل الحضارية , د.ط , د. ت , ج2 , ص255 ؛ أبو مغلي، محمد وصفي, إيران دراسة عامة , د. ط, مركـز دراسات الخليج العربي , البصرة , 1985 , ص266 ؛ القزاز , الحيـاة الـسياسية فـي عهـد السيطرة المغولية , ص125

([3]) سميت بهذا الاسم بالنسبة إلى جغتاي خان (625- 640هـ ـ / 1227-1242م) الابـن الثاني لجنكيز خان اشترك مع أبيه ضد الصين ومملكة خوارزم شاه عن ذلك انظر : كلود كاهن , الشرق والغرب, ص257

([4]) هي فرع من المغول اتجه إلى روسيا وبلغاريا , وأسس دولة استمرت حتى أوائل القـرن العاشر الهجري / بدايات القرن السادس عشر الميلادي , أسسها باتو خان حفيد جنكيز خان على نهر الفولغا سنة 640هـ / 1242م , سميت بالذهبية نسبة إلى لون خيامهم الـذهبي , وعرفـت باسم دولة مغول القفجاق عن ذلك انظر : ابن خلدون , تاريخ , ج5 و ص517 ؛ كلود كاهن , الشرق والغرب, ص 257 ؛ بارتولد, العالم الإسلامي , ص39.

واجهت الدولة الجديدة ، مجموعة من التحديات ،فقد كان عليها أن ترتـب شؤونها الداخلية، وتملأ الفراغ السياسي , والإداري الذي خلفته الحروب الطويلة قبل وبعد سقوط الدولة الخوارزمية .

أما على الصعيد الخارجي _ وهو موضوع هذه الأطروحة _ فقد كان عليها أن تحسب ردود فعل القوى السياسية في مجالها الحيوي الجديد المتمثل ؛ بحوض بحر قزوين , والعراق , واسيا الصغرى , وبلاد الشام , ومصر وغيرها ، ومن ثم تقدر سياستها الخارجية تجاهها , وقد كان طبيعيا أن تتـأثر هـذه الـسياسة بالتزامات الدولة بتنفيذ ما لم ينفذ من الخطة التوسعية التي أوكلت إلى هولاكـو من قبل الإمبراطور المغولي منكوخان ؛ ونعني بذلك إخضاع الخلافة العباسية , وبلاد الشام , ومصر .

تلك هي التحديات التي واجهها هولاكو وهي التي كان لها أثرها في تحديـد سياسته الخارجية , وسياسة الايلخانات الستة الذين أعقبوه وهم :

أباقا خان (664 – 681هـ/ 1265- 1282م) ([1]) , احمد تكودار (681 - 683 هـ ـ/ 1282- 1284م) ([2]) , أرغـون (683 – 690هـ ـ/ 1284 – 1291م) ([3]), كيخـ ـاتو (690 – 695هـ ـ ـ/ 1291 -1295م) ([1]) ، بايـ ـدو(

([1]) أباقا ابن هولاكو مات بنواحي همذان سنة 680هـ/1281م , بسبب هزيمة جيشه قـرب الرحبة , دفن في قلعة تلا بجوار أبيه عن حياته , انظر : اليونيني، قطب الدين موسى بن محمد, ذيل مرآة الزمان , ط1 , مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية , حيدر أبـاد الـدكن , الهنـد 1961م , ج4 , ص 101، وسيشار إليه تاليا , اليونيني , الذيل ؛ الصفدي، خليـل بـن أيبـك, الوافي بالوفيات , ط2 , باعتناء جاكلين سبله وعلي عمارة , فرانزشتاينز , شتودغارت1991 م , ج6 , ص112، وسيشار إليه تاليا : الصفدي , الوافي .

([2]) هو احمد بن هولاكو بن تولي بن جنكيز خان الابن السابع لهولاكو تسمى نيقـولا قبـل إسلامه , قيل أن إسلامه كن في حياة والده مات سنة 683 هـ/ 1285م . انظر عنه: الهمذاني , جامع التواريخ (الايلخانيون) ج2 , ص88 ؛ اليونيني , الـذيل , ج4 , ص141 ؛ الـصفدي , الوافي, ج7 , ص227

([3]) هو أرغون بن أباقا بن هولاكو , ولد ما بين 1250 – 1255 , حكم ولاية خراسان , قتـل مسموما سنة 690هـ/1291م واتهم في ذلك وزيره اليهودي سعد الدولة , دفـن فـي جبـال

695هـ ـ/1295م) ([2]) , محمـ ـود غـ ـازان (695 – 704هـ ـ/ 1295 – 1304م) ([3]) , غير أن ثمة متغيرات حصلت في عهدي الأيلخان اولجايتو

سجاس . انظر عنه : ابن الجزري، محمد بن إبراهيم, تاريخ حوادث الزمان وأنبائـه ووفيـات الأكابر والأعيان من أبناءه المعروف بتاريخ ابن الجزري , تح: عمر عبد السلام تدمري , ط1 , المكتبة العصرية , بيروت 1998م ، ج1 , ص 96 ، وسيشار إليه تاليا : ابن الجزري , تاريخ, ؛ بيبرس المنصوري , التحفة , ص129 ؛ أبو الفدا , المختصر , ج2 , ص361 , ؛ الـ ذهبي , العبر , ج3 , ص372 ؛ ابن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج8 , ص24

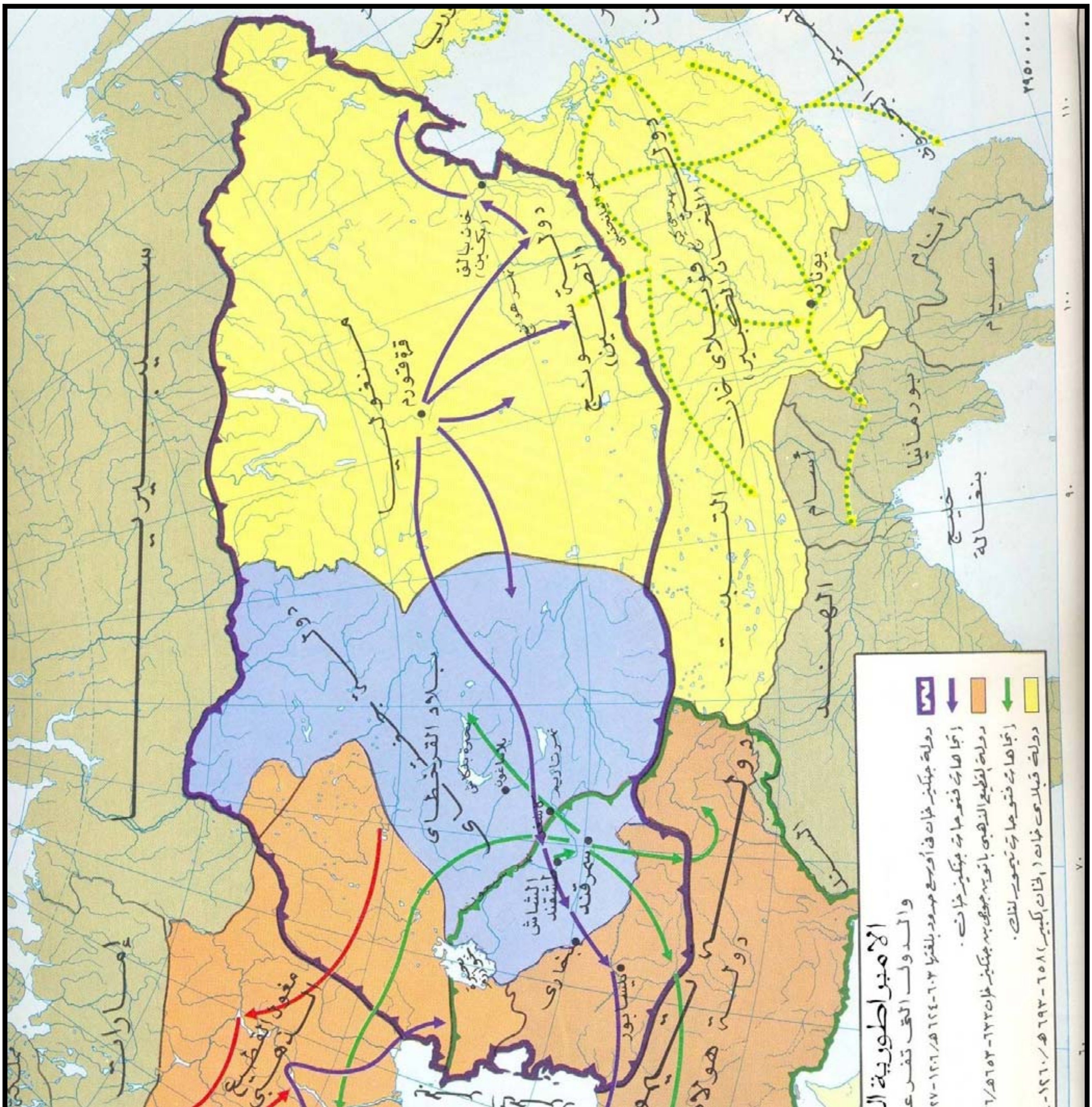
([1]) هو كيخاتو بن أباقا بن هولاكو , قتله ابن عمه بايدو سنة 694هـ/1294م , ساءت فـي عهده أمور الدولة المالية بسبب إسرافه مما أدى إلى الانقلاب عليه. انظر : ابن تغري بـ ـردي , النجوم الزاهرة , ج8 , ص44

([2]) هو بايدو بن طوغاي بن هولاكو, حفيد هولاكو , لم يحكم إلا شهورا قلائل , خلع كيخـ ـاتو عن الحكم وقتله خنقا سنة 694هـ/1294م , قتل نفسه في السنة ذاتها بعد تغلب عليه خـ ـصمه غازان . انظر : ابن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج8 , ص44؛, بارتولد , دائرة المعـ ـارف الإسلامية , يصدرها : احمد الشنتناوي وإبراهيم زكي خورشيد , د.ط , مراجعة محمد مهـ ـدي علام ، مج 5 , ص162

([3]) هو غازان بن أرغون بن أباقا بن هولاكو ولد سنة 670هـ/1271م , اسلم على يد صدر الدين بن حمويه الجويني سنة 694هـ/ 1294م وتسمى بمحمود مـ ـات قـ ـرب همـ ـذان سـ ـنة 703هـ/ ودفن في تبريز انظر عنه : الهمذاني , جامع التواريخ (التاريخ الغازاني) , ص78 ؛ النويري، احمد بن عبد الوهاب, نهاية الأرب في فنون الأدب , تح : نجيب مصطفى فواز , ط1 , دار الكتب العلمية , بيروت 2004م , ج31 , ص222 ؛ عمر بن مظفر ابن الوردي , تـ ـاريخ ابن الوردي , ج2 , د . ط , منشورات المطبعة الحيدرية , النجـ ـف 1969 م , ج2 , ص343 ،وسيشار إليه تاليا : ابن الوردي ؛ الكتبي، محمد بن شاكر, فوات الوفيات والذيل عليها , تح : إحسان عباس , د.ط ,دار الثقافة , بيروت , د.ت ,ج4 , ص97 وسيشار إليه تاليـ ـا , الكتبـ ـي , فوات الوفيات ؛ ابن كثير , البداية , ج13 , ص340 ؛ ابن حجر ،احمد بن علي, الدرر الكامنة في أعلام المائة الثامنة ,تح : محمد سيد جاد الحق , ط2 , دار الكتب الحديثة , مـ ـصر 1966م, ج3 , ص293 وسيشار إليه تاليا , ابن حجر , الدرر الكامنة .

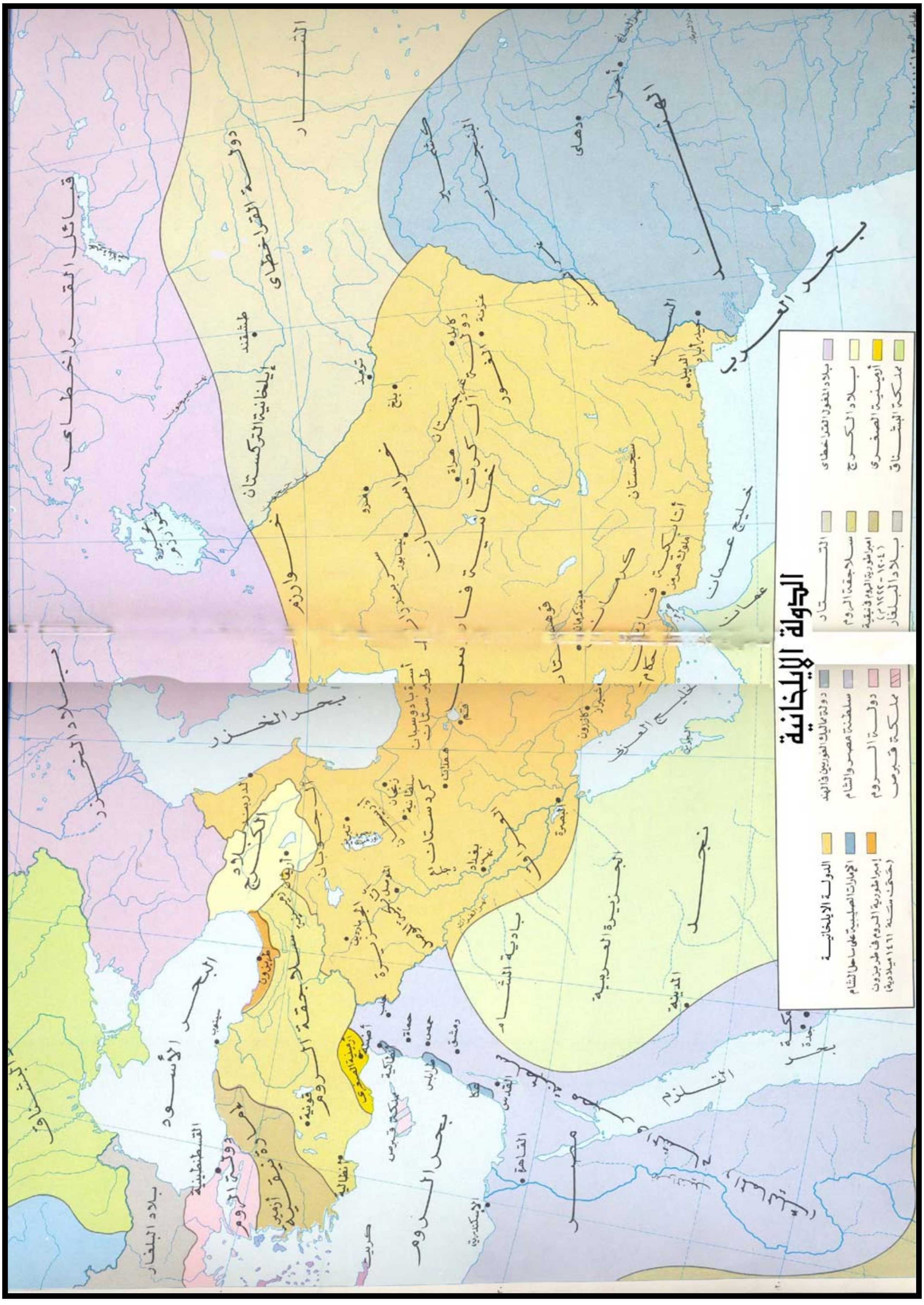
خدابنده (704 – 716هـ/ 1304 – 1316م) ([1]) , والأيلخان بوسعيد (716 – 736هـ/ 1316 – 1335م) ([2]) , كان لها أثرها في تغيير مسار السياسة الخارجية للدولة الايلخانية , ونعني بذلك غياب الصراع التقليدي الذي كان قائما قبل ذلك بين الايلخانيين , ودولة المماليك البحرية , ثم عقد الصلح بينهما سنة 704هـ/ 1304م .

ترى كيف تصرفت الدولة الايلخانية تجاه هذه التحديات ؟ وما هي الأسس التي اعتمدتها في سياستها الخارجية ؟ والى أي مدى نجحت في تحقيق أهدافها ؟ ذلك ما تحاول هذه الدراسة الإجابة عليه .



نقلا عن حسين أطلس تاريخ الإسلام

نقلا عن حسين أطلس تاريخ الإسلام



نقلا عن حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام

الفصل الأول

السياسة الخارجية للدولة الأيلخانية تجاه
القوى السياسية في العراق واسيا الصغرى
654 - 661هـ/1256 - 1262م

1.1 تجاه الخلافة العباسية.

في موقفه من الخلافة العباسية ، التزم هولاكو بالسياسة التي حددها الخاقان منكوخان تجاهها ، ونعني بذلك قوله في وصيته له ، عندما كلفه سنة 651 هـ/ 1253م بقيادة حملته على كل من إيران والعراق وبلاد الشام ومصر : " **وأما خليفة بغداد فإذا بادر بتقديم فروض الطاعة فلا تتعرض له مطلقا , أما إذا تكبر وعصى .. فألحقه بالآخرين من الهالكين .** " ([1])

في ضوء ذلك وبعد ثلاث سنوات من هذا التاريخ 654 هـ/ 1256م , وإبان توجه هولاكو نحو إقليم قهستان ([2]) للقضاء على الإسماعيلية , أرسل رسولا إلى الخليفة العباسي المستعصم با ، يحمل رسالة أورد نصير الدين الطوسي جانبا منها جاء فيه على لسان هولاكو : " **اتجهنا إلى إخضاعهم** " , ويقصد بذلك : [الإسماعيلية] **فإذا وصلك رسولي فأرسل لنا مددا** " ([3]) كما دعاه في رسالته هذه إلى المجيء إليه , ويبدو انه أراد برسالته هذه أن يكشف حقيقة الموقف العباسي من المغول .

---

(1) انظر ملحق أ

([2]) موضع بالجبال احد أطرافه متصل بنواحي هراة امتدادا حتى يصل نهاوند وهمذان , انظر : عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي , مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع , تح : علي محمد البجاوي , ط1 , دار المعرفة للطباعة والنشر , بيروت 1955 , ج3 , ص1135 , وسيشار إليه تاليا : البغدادي , مراصد الاطلاع

([3]) الطوسي ، نصير الدين, كيفية واقعة بغداد , ترجمة محمد التونجي , ورد في كتاب عطا ملك الجويني , تاريخ فاتح العالم جهانكشاي, ج3 , ص364 , وسيشار إليه تاليا : الطوسي, واقعة بغداد

وقد أورد الهمذاني رسالة هولاكو إلى الخليفة العباسي نـصا ولـيس كمـا ذكرها الطوسي ([1]) ومختلفة من حيث المضمون .

لم تقدم المصادر معلومات عن رد الخليفة على هذه الرسالة باستثناء إشارة في رسالة تالية بعث بها هولاكو إليه ، يفهم منها أن الخليفة أجاب عليها وأعلـن فيها طاعته للمغول إلا انه اعتذر عن إرسال ما طلبه من مدد .([2])

يؤيد ذلك ما نقله الطوسي عما دار من حوار بين الخليفة ورجال دولته بعد وصول هذه الرسالة ، فقد ذكر انه " **...استنار برأي الوزير**[مؤيد الدين ابـن العلقمي] ([3]) " **فنصحه ... بإرسال أموال كثيرة ؛ نقدا وجواهر ومرصـعات وألبسة فاخرة , وخيل فارهة وغلمان وجوار وبغال, ويقدم إليه الأعذار ". ([4])،** فعمل برأيه " **وأمر بتجهيز ذلك وتهيئته , واختار اثنين أو ثلاثة من خواصـه لينقلوا هذه الأموال ومعها الأعذار** " , ([5]) غير انه تريث فيما أمـر بـه بعـد اعتراض قائد جيشه الدويدار الصغير مجاهد الدين أيبك ([6]) ، وبعض أعيـان بغداد ، على ما أوصى به الوزير. فقد قال هؤلاء " **إن للوزير في هذا الـرأي**

([1]) انظر ملحق ب

([2]) انظر ملحق ج

([3]) هو مؤيد الدين محمد بن محمد بن علي أبو طالب بن العلقمي ,ارتقى إلى رتبـة الـوزارة سنة 642هـ , وزير الخليفة المستعصم ,عمل أستاذ دار الخلافة زمن الخليفـة المستنـصر , توفي سنة 656هـ/ 1258م وعمره ثلاث وستون سنة ودفن في الكاظمية . انظر : الـذهبي , سير أعلام النبلاء , د.ط , القاهرة , 1956م , ج23 , ص261 ؛ ابن كثير , البدايـة , ج13 , ص212 ؛ العماد الحنبلي , الشذرات , ج5 , ص272

([4]) الطوسي , واقعة بغداد , ص363

([5]) المصدر نفسه , ص363

([6]) هو مجاهد الدين أيبك من خواص الخليفة المستنصر ترقى في عهد الخليفة المستعـصم , تزوج من ابنة بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل وكلمة الدويدار لقب عباسي تعني حامل الدواة , انظر الجويني , تاريخ , ج2 , ص363

غرضنا ما , وهو يد واحدة مع الجيش والترك [المقصود بهم المغول] , **يقصد من ورائه هلاكنا على أيديهم** " ([1]) .

ومع أن هولاكو غضب من رد الخليفة هذا ([2]) , فقد ظل مؤثرا اعتماد سياسة التفاوض مع الخليفة .

ويبدو أن لذلك علاقة بانشغاله بترتيب شؤون دولته الوليدة , التي لما يمض على تأسيسها سنة أو بعضها ، إذ يذكر الطوسي([3]) ،انه إبان وجوده في همذان([4]) , أرسل إليه أن : " **تعال ، فان لم ترغب في الحضور فأرسل واحدا من ثلاثة : الوزير أو الدويدار الصغير أو سليمان([5]) شاه** " ([6]) .

جاء رد الخليفة سلبيا، إذ " **لم يلب أيا من الطلبين وأبدى لذلك عذرا** "([7]) مما دفع بسياسة هولاكو تجاه الخلافة العباسية نحو الحرب بعد أن كانت تتبنى الوصول إلى أهدافها في إخضاعها بالتفاوض ، فقد ذكر الطوسي أن هولاكو غضب غضبا شديدا من رد الخليفة و "**.. أمر بالحركة نحو بغداد** " ([8]) .

تنفيذا لهدفه هذا , اتبع هولاكو وسائل عدة خلال سنتي655-656هـ/1257- 1258م ، تحرى وراءها شل حركة الخليفة العباسي , وتطويق أية حركة محتملة له ، ومن ثم الانقضاض عليه, وهي :

أولا :- إرسال عيون إلى بغداد للتعرف على نقاط الضعف والقوة فيها .

([1]) الطوسي , واقعة بغداد , ص363- 364

([2]) المصدر نفسه , ص364

([3]) المصدر نفسه , ص364 , 367

([4]) مدينة قرب قم انظر : أبو الفدا , تقويم البلدان , ص617

([5]) هو شهاب الدين سليمان بن مرجم الإيوائي , كان رئيسا لقبائل التركمان على حدود كردستان ولورستان , تزوجت أخته بجلال الدين منكبرتي , وكان شاعرا . انظر عنه : الجويني , تاريخ , ج2 , ص364

([6]) الطوسي , واقعة بغداد, 364

([7]) المصدر نفسه , ص 364

([8]) الجويني , تاريخ , ج2 , ص364

يفهم مما أورده الذهبي (ت748هـ/1347م) في حـوادث سـنة 655هـ ـ/ 1257م أن" **رسل هولاكو وفرماناته جاءت إلى بغداد إلى أناس والخليفة لا يـصل إليه خبر ..** " ([1]) ، وقد أكد المقريزي (ت 845 هـ/1441م) ذلك وقـال : " **إن جواسيس هولاكو وصلت سنة 654هـ/ 1256م إلى الوزير مؤيد الـدين بـن العلقمي ببغداد , وتحدثوا معه , ووعدوا جماعة من أمراء بغداد بعدة مواعيـد , فكشف ابن العلقمي ضعف الرجال .** "([2]) ، وكان ابن العلقمي " **يطالعـه بالأخبـار ويعرفه بصورة أخذها** [أي بغداد] **وضعف الخليفة وانحلال العسكر .** " ([3]) , كمـا أن بعض سفراء هولاكـو إلى الخليـفة , قامـوا بالتجسس ونقل أخبار العـراق إليه ([4]).

ثانيا _ توجيه خطابات تهديديه إلى الخليفة العباسي إضعافا لمعنوياته .

وجه هولاكو سنة 654هـ/1256م رسالة إلى الخليفة العباسي إبان وجوده في مدينة همذان جاء فيها:

" لقد أرسلت إليك رسلنا وقت فتح قلاع الملاحدة الإسماعيلية وطلبنا مددا مـن الجند ولكنك أظهرت الطاعة ولم تبعث الجند . وكانت آية الطاعة أن تمـدنا بالجيش عند مسيرنا إلى الطغاة , فلم ترسل إلينـا الجنـد والتمـست العـذر ...والآن نقول لك احذر الحقد والخصام , وحينما أقود الجيش إلى بغداد مندفعا بسورة الغضب فانك إذا كنت مختفيا في الـسماء , أو فـي الأرض فـسوف

([1]) الذهبي , دول الإسلام , عنى بطبعه ونشره عبد ا بن إبراهيم الأنصاري , إدارة إحيـاء التراث الإسلامي , قطر , د. ت, ج3 , ص159

([2]) المقريزي , السلوك , ج1, ق2, ص400

([3]) مقديش ، محمود, نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار , تح : علـي الـزواري , محمد محفوظ , ط1 , دار الغرب الإسلامي , بيروت 1988م , ج1 , ص282 وسيـشار إليـه تاليا : محمود مقديش , نزهة الأنظار

([4]) ابن العبري , مختصر الدول , ص269

أنزلك من الفلك الدوار , ولن ادع حيا في مملكتك , وسأجعل مدينتك وأقاليمـك وأراضيك طعمة للنار . " ([1])

وقد تحرى هولاكو في رسالته هذه إضعاف معنويات الخليفة واستفزازه حيث جاء فيها قوله :

" ولابد انه قد وصل إلى سمعك على لسان الخاص والعام , ما حدث للعالم على أيدي الجيوش المغولية منذ جنكيزخان , وعلمـت أيـة مذلـة لحقـت بأسـر الخوارزميين , والسلاجقة, وملوك الديلم, والاتابكة, وغيرهم ممن كانوا أرباب العظمة, وأصحاب الشوكة , ومع ذلك لم يغلق باب بغداد قط في وجه أية طائفة من تلك الطوائف التي تولت هنا السيادة , فكيف يغلق هذا الباب في وجوهنـا رغم مالنا من قدرة وسلطان ؟ وقد نصحناك قبل هذا , والآن نقول لك : تجنب الحقد والخصام والضغينة , ولا تحاول أن تقف في سبيلنا لأنك ستتعب نفـسك عبثا , ومع هذا فقد مضى ما مضى , فعليك أن تهدم الحصون وتطم الخنادق , وتسلم ابنك المملكة , ثم تتوجه لمقابلتنا . وإذا كنت لا تريد ذلك, فأرسل إلينـا الوزير [أي مؤيد الدين بن العلقمي] **وسليمان شـاه والدويـدار , ليوصـلوا رسالتنا إليك بغير زيادة ولا نقصان , وسلكت طريق الخلاف والجدال , فاعـد جيشك وعين جبهة للقتال فإننا مستعدون لمحاربتك , واعلم أنني إذا غـضبت عليك , وقدت الجيش إلى بغداد , فسوف لا تنجو مني , ولـو صـعدت إلـى السماء أو اختفيت في باطن الأرض , فإذا أردت أن تحفظ راسـك وأسـرتك , فاستمـع لنصحـي بمسمع العقل والذكـاء , وإلا فسأرى كيـف تكـون إرادة اللـه . " ([2])**

رد الخليفة على هولاكو برسالة شديدة اللهجة حملهـا شـرف الـدين ابـن الجوزي سنة 655هـ / 1257م جاء فيها :

" أيها الشاب الحدث ! الذي لم يخبر الأيام بعد , الذي يتمنى قصر العمر , والذي أغرته إقبال الأيام ومساعدة الظروف , فتخيل نفسه مسيطرا على العالم , وحسب

([1]) الهمذاني , جامع التواريخ , م2 , ج1 , ص267 - 268

([2]) المصدر نفسه , , ص267 - 268

أن أمره قضاء مبرم , وأمر محكم , لماذا تطلب مني شيئا لن تجـده عنـدي؟! ألا يعلم الأمير انه من الشرق إلى الغرب , ومن الملوك إلى الشحاذين , ومن الشيوخ إلى الشباب ممن يؤمن با ويعتنقون الأديان , كلهم عبيد هذا البلاط وجنود لي ؟! إنني عندما أشير بجمع الشتات , سأبدأ بحسم إيران , ثم أتوجه منها إلـى بـلاد توران , واضع كل شخص في موضعه وعندئذ سيصير وجه الأرض مملوءا بالقلق والاضطراب , غير أني لا أود الحقد والخـصم , ولا أن اشـتري ضـرر النـاس وإيذاءهم , كما أنني لا ابغي من وراء تردد الجيوش أن تلهج السنة الرعية بالمدح والقدح , خصوصا وأنني مع الخاقان وهولاكو خان بخنادق رعيتي وحـصونهم ؟ اسلك طريق الود وعد إلى خراسان , وان كنت تريد الحرب والقتـال فـلا تتـوان لحظة ولا تعتذر , فان لي ألوفا مؤلفة من الفرسان والرجالـة هـم علـى أهبـة الاستعداد للقتال . " [1] .

وبينما كان الخليفة ورجاله يترقبون انفراجا في موقف هولاكو , وصل رسله إلى الخليفة يحملون رسالة تتضمن إعلانا للحرب, وإعلاما له انه متوجه بجيشه إلى بغداد حيث قال :

" لقد فتنك حب الجاه والمال , والعجب والغرور بالدولة الفانية , بحيث انه لم يعد يؤثر فيك نصح الناصحين بالخير وان في أذنيك وقرا , فلا تـسمع نـصح المشفقين , ولقد انحرفت عن طريق آبائك وأجدادك , وإذن فعليـك أن تكـون مستعدا للحرب والقتال فاني متوجه إلى بغداد بجيش كالنمل والجـراد , ولـو جرى سير الفلك على شاكلة أخرى , فتلك مشيئة ا العظيم " [2] .

نجح هولاكو في إرباك الموقف في بغداد , وخلق حالـة مـن الانقـسام والتشتت , وبدا الخليفة وسط هذه الصورة في حيرة من أمره, حتى أن بعـض المؤرخين المعاصرين وصفوه بأنه كان " **مستضعف الرأي ضـعيف الـبطش**

([1]) الهمذاني , جامع التواريخ , ص256 - 257

([2]) المصدر نفسه , ج2 , ص271

قليل الخبرة بأمور المملكـة مطموعـاً فيـه " ([1]) , أمـا ابـن الـوردي (ت742هـ/1244م) , فقد ذكر " **انه ضعيف الرأي غاب عليه ابـن العلقمـي وأمراء دولتـه** " ([2]) , وذهب هذا المذهب مؤرخ متأخر، فقال انه كان " **خليـا من الرأي** " ([3]) .

ومع أن هذه الآراء تحتاج لغرض تقييمها ومعرفة أبعادها إلـى دراسـة متعمقة , إلا أن ما جاء في رد الخليفة على هولاكو , يدال على صـحة هـذا التقييم , ونعني بذلك قوله : " **لو غاب عن الملك** [أي : هولاكـو] **فلـه أن يسأل المطلعين على الأحوال . إذ أن كل ملك حتى هذا العهد قصد أسرة بنـي العباس ودار السلام بغداد , كانت عاقبته وخيمة , ومهما قصدهم ذو الـسطوة من الملوك وأصحاب الشوكة من السلاطين , فان بناء هذا البيت محكم للغايـة وسيبقى إلى يوم القيامة .... فليس من المصلحة أن يفكر الملك في قصد أسرة العباسيين , فاحذر عين السوء من الزمان الغادر . " ([4])**

يلاحظ أن هولاكو تحرى في رسائله وضع الخليفة في موقف يجبره على الإذعان والتسليم ، وأنه لم يجعل إعلان الحرب خياره الأخير .

يؤيد هذا ما عقب به الطوسـي(ت673هـ/1274م) , من أن قرار هولاكو بغزو بغداد لم يتخذ إلا بعد استنفاذ كل محاولاته في التفاوض حيث قال : " **وكم مرة توقف بين التقدم والتراجع " ([5]) .**

([1]) ابن طباطبا، محمد بن علي, تاريخ الدول الإسلامية المعروف بالفخري في الآداب السلطانية , د . ط , دار صادر , بيروت , ص333 وسيشار إليه تاليا : ابن طباطبا , الفخري

([2]) ابن الوردي , تاريخ, ج2 , ص277

([3]) الغساني, الاشرف, العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك , تح : شاكر محمود عبد المنعم , دار التراث الإسلامي بيروت 1975م , ج2 , ص624وسيشار إليـه تاليا : الاشرف الغساني , العسجد المسبوك

([4]) الهمذاني , جامع التواريخ , ج2 , ص275 - 277

([5]) الطوسي ,واقعة بغداد, ص364

ثالثا :- الاستعانة بحلفاء المغول من القوى المحيطة أو القريبة من دولة الخلافة .

لم يتحرك هولاكو نحو العراق إلا بعد أن نسق مع حلفائه من القوى المحيطة والقريبة من دولة الخلافة , فقد ذكر اليونيني أن المغول كاتبوا حليفهم " **بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل في أن يسير إليهم ما يطلبونه من آلات الحرب فسير إليهم ذلك** " ([1]) , وقد أرسل فعلا جيشا من الموصل للمشاركة في حملة هولاكو على بغداد , كان على رأسه ابنه الملك الصالح ، إلا أن الجيش وصل متأخرا أي بعد أن تم احتلال المغول لبغداد مما أثار شكوك هولاكو في حقيقة موقف بدر الدين لؤلؤ([2]) .

ويبدو أنهم راسلوا أبا بكر([3]) ؛ صاحب إقليم فارس , وانه أمدهم بالمال والرجال , وأرسل أخاه للمشاركة بالغزو, وكان من أوائل من هنأ هولاكو بنجاحه في السيطرة على بغداد ([4]) . أما سلاجقة الروم فقد نفذوا ما صدر إليهم من أوامر بتسهيل مهام الجيش المغولي إبان مروره في أراضيهم ([5]) ، وقد أشار اليونيني إلى أن مظفر الدين صاحب لورستان " **ساهم في حصار بغداد ثم استنكر قتل هولاكو للخليفة المستعصم فهرب بجيشه " . ([6]) ,** وشاركت القبيلة الذهبية

([1]) اليونيني , الذيل , ج1 , ص87

([2]) المصدر نفسه , ج1 , ص88

([3]) هو مظفر الدين أبو بكر , تزوج تركان خاتون ابنة الاتابك قطب الدين محمد شاه توفي سنة 658هـ / 1259م تولى بعده ابنه سعد انظر : الهمذاني , جامع التواريخ خلفاء جنكيز خان , ص302

([4]) الصياد , المغول , ص 278

([5]) الجويني , تاريخ جهانكشاي , ج3 , ص89

([6]) اليونيني , الذيل , ص87

بإرسال ثلاثة من أبنائها ([1]) على رأس جيش من كبار قادة الاويراتية ([2]) , كما قدم المساعدة كل من الكرج ([3]) , وكرمان ([4]) , والأكراد ([5]) .

رابعا : العمل على إرباك قوات الخليفة العباسي العسكرية وإضعاف معنوياتها.

اتبع هولاكو في هجومه على بغداد سياسة تقصد فيها خلق حالة من الهلع بين الناس , فضلا عن الخليفة ورجاله, حيث جعل حركة جيشه نحو بغداد في أكثر من اتجاه فقد وجه هولاكو أولا ميمنة جيشه قبل شهر شوال من سنة 655هـ/ 1257م وكان على رأسها سوغونجاق نوين ([6]) , وبايجونوين ([7]) ,

---

([1]) الهمذاني , جامع التواريخ , مج 2 , ج2 , ص 123

([2]) قبائل مغولية سكنت الجزء الأعلى من حوض نهر ييسنى بأواسط آسيا لجأت إلى مصر لمشاركتها في مؤامرة قتل الأيلخان كيخاتو وخوفا من غازان لينتقم منهم أسكنهم السلطان كتبغا سنة 695هـ/ 1295م الساحل ومنعهم من دخول دمشق , أحسن إليهم ووصلوا إلى مرتبات عليا في دولته عنهم انظر : ابن الجزري , تاريخ , ج1 , ص286 ؛ بيبرس المنصوري , التحفة الملوكية , ص146 ؛ زبدة الفكرة , ص310 ؛ المقريزي , السلوك , ج1 , ق3 , ص812 ابن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج8 , ص51 .

([3]) بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص35 ؛ ابن الوردي , تاريخ , ج2 , ص277

([4]) الهمذاني , جامع التواريخ , مج 2 , ج2 , ص685 ؛ وكرمان مدينة مشهورة بين فارس ومكران. انظر : البغدادي , مراصد الاطلاع ,مج3 , ص1160

([5]) الاشرف الغساني , العسجد المسبوك , ج2 , ص630؛ الدويهي، اسطفان, تاريخ الأزمنة , نشره وعلق عليه : الاباتي بطرس فهد , د. ط , د . م , د. ت , ص237 وسيشاراليه تاليا : اسطفان الدويهي , تاريخ الأزمنة

([6]) هو سوغونجاق نوين ابن سدون نويان بن جيلاوغان بهادر من مغول سلدوس , كان من أمراء هولاكو شارك في كل فتوحه حتى الشام , تولى إمارة فارس وبغداد في عهد أباقا خان , وعهد احمد تكودار, مات في عهد الأيلخان أرغون انظر : الجو يني , تاريخ , ج2 , هامش (1) , ص255

([7]) احد كبار قادة المغول من قوم يسون , شارك في حملات هولاكو حاول الانفراد ببلاد الروم عندما أرسله هولاكو بعد فراغه من فتح بغداد لذا دس إليه السم فمات سنة 656هـ/ 1258م , قيل انه اسلم قبل موته انظر : الجويني , تاريخ , ج3 , ص364 ؛ بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص364

فسارا " **على طريق اربل ...من طريق شهرزور ودقوق([1])** " , ثم أمرهما بعبور دجلة وان يأتيا دجلة من جانبها الغربي ([2]) , **كما وجه ميسرة الجيش وعليها كل من كيت بوقا ([3]) , وانكيا نويان ([4]) , وقد سلكا طريق كريت ([5]) وبيات** " ([6]) , ثم عبرا نهر دجلة . ([7])

وكان هولاكو قد وجه أولا طليعة من رجاله تتقدم عليه ثم تحرك **هو** _ حسب رواية الطوسي _ **على رأس القلب من جيشه من حدود مدينة همذان ، في شوال سنة 655هـ/1257م باتجاه " طريق كرمان شاهان([8]) وحلوان ([9])** ثم عبر نهر ديالى " **وقدم إلى باب بغداد ... في منتصف المحرم سنة ست وخمسين وستمائة فأمر بحصارها من كل إطرافها حتى غدوا** [أي : المغول] **حولها سورا** " ([10]) .

يتفق هذا مع رواية اليونيني ، فقد ذكر أن هولاكو اتجه نحو " **بغداد من جهة البر الشرقي عن دجلة ؛ وهو البر الذي فيه مدينة بغداد ودور الخلافة وضرب**

([1]) بلدة بين اربل وبغداد . انظر البغدادي , مراصد الاطلاع ,مج2 , ص530

([2]) الطوسي ,واقعة بغداد , ص365 ؛ مؤلف مجهول , الحوادث الجامعة , ص319 ؛ أبو الفدا , المختصر , ج2 , ص302 ابن الوردي , تاريخ , ج2 , ص280 ؛ الذهبي , العبر , ج3 , ص278

([3]) هو كتبغا نوين قائد هولاكو في غزو العراق, بلاد الشام ونائبه حين عاد إلى قراقورم سنة 657هـ/1258م , قتله في معركة عين جالوت اقوش الشمسي . انظر : مجهول , الحوادث الجامعة , ص 342 ؛ابن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج7 , ص72

([4]) احد ضباط هولاكو في حملته على بغداد انظر : الطوسي , واقعة بغداد , ص365

([5]) موضع بين الكوفة وفيد قرب .انظر : البغدادي , مراصد الاطلاع , مج 3 , ص1163

([6]) الطوسي ، واقعة بغداد, ص365

([7]) المصدر نفسه , ص366

([8]) ناحية معمورة ذات بلاد وقرى واسعة قرب همذان تسمى قرميسين . انظر أبو الفدا , تقويم البلدان , ص613

([9]) الطوسي ، واقعة بغداد ص 364

([10]) المصدر نفسه , ص 366

سورا على عسكره وأحاط ببغداد " وقد أعطى الطوسي صورة أكثر تفصيلا فذكر أن جيش هولاكو " **صنع ...من هذا الجانب**[أي الجانب الشرقي من بغداد] **جدارا عاليا وصنع مثله بوقا تيمور سوغونجاق وبايجو من الجانب الآخر** [أي الجانـب الغربي] ، **وحفروا داخل كل جدار خندقا من طـرف المدينـة، وبـدأت عمليـات الحـرب** " ([1]) .

وقد مارس هولاكو نوعا من الحرب النفسية على جيش الخليفة لإضعاف روح المقاومة بين أفراده . وأدت طليعة جيش هولاكو دورها في هذا المجال .

يلاحظ هذا في أسلوبها في التعامل مع من تمكنت من أسره من رجال الخليفة , فقد ألقت القبض على احد هؤلاء , ثم سيق إلى هولاكو بعد أن أعطى الأمان شريطة أن يصدق القول معهم . ويبدو أنهم استطاعوا أن يحملوه على كتابة رسالة إلى جيش الخليفة يدعوهم فيها إلى الاستسلام .

جاء في هذه الرسالة : " **إنني وإياكم من جنس واحد , ولقـد تبعـت الملـك وخضعت له , فانتصحوا بي لترحموا أرواحــكم , فـاقبلوا وقـدموا الطاعــة لتتحرروا** " ([2]) .

خامسا : - التصدي للمقاومة العباسية .

ما أن استقر المغول بقيادة بايجو نوين غربي دجلة , حتى وجدوا قبالتهم جيشا عباسيا, كان على رأسه مجاهد الدين أيبك ؛ الدويدار الصغير, واقتتل الفريقان " **قتالا كثيرا** [على حد قول اليونيني] ، **وفتقت فتوق من نهر الملك على البر الذي فيه , ووقعت الكسرة على عسكر بغداد، فوقع بعضهم في الماء الذي خـرج مـن تلـك الفتوق، فارتطمت خيلهم، وأخذتهم السيوف، فهلكوا وبعضهم رجع إلى بغداد هزيما ؟ وقصد بعضهم جهة الشام قيل كانوا نحو ألف فارس** " ([3]) .

وقد قدم ابن طباطبا رواية لشاهد عيان كان من المشاركين في هذه المعركـة , تعطي صورة دقيقة عن المعنوية العالية التي استطاع هولاكو أن يغرسها في جنده ,

---

([1]) اليونيني , الذيل ,ج1, ص 88

([2]) الطوسي , واقعة بغداد, ص365

([3]) اليونيني , الذيل ,ج1, ص88

مقابل معنوية بدت منهارة لدى جيش الخلافة , حيث قال متحدثا على لسان صـديقه فلك الدين محمد بن أيدمر الذي كان احد من شارك في هذه المعركة : " **كنـت فـي عسكر الدويدار الصغير لما خرج إلى لقاء التتر بالجانب الغربي من مدينة الـسلام في واقعتها العظمى سنة ست وخمسين وخمسمائة , قال فالتقينا بنهر بشير مـن أعمال دجيل فكان الفارس منا يخرج إلى المبارزة , وتحته فرس عربي , وعليـه سلاح تام , كأنه وفرسه الجبل العظيم , ثم يخرج إليه من المغول فـارس تحتـه فرس كأنه حمار , وفي يده رمح كأنه المغزل , وليس عليه كـسوة ولا سـلاح , فيضحك منه كل من رآه , ثم ما تم النهار حتى كانت لهم الكرة , فكسرونا كسرة عظيمة كانت مفتاح الشر , ثم كان من الأمر ما كان " ([1]) .**

سادسا : كسب ما يمكن من الشخصيات البغدادية المؤثرة.

أشارت معظم المصادر أن المغول اتـصلوا بـبعض الشخـصيات البغداديـة واستطاعوا أن يكسبوها لصالحهم , وان مؤيد الدين ابن العلقمي ؛ وزيـر الخليفـة العباسي كان على رأس هؤلاء .

جاء لدى أبو شامة (ت665هـ/1266م) أن هولاكو " **استولى على الخليفـة وأهله بمكيدة دبرت مع وزير بغداد**" ([2]) , وانشد ابن التعاويذي في ذلك متحدثا عن بغداد :

" بادت وأهلوها معا فبيوتهم ببقاء مولانا الوزير خراب" .

وعلى ما ذكره بيبرس المنصوري (ت725هـ/ 1324م) انه " **اخـذ يكاتـب التتار ويراسلونه** " ([3]) , وذكر اليونيني (ت726هـ/ 1325م) ؛ المؤرخ الشامي الذي كان معاصرا لهذه الحقبة ، أن ابن العلقمي " **كاتب ...التتر وأطمعهم في البلاد وأرسل إليهم غلامه وأخاه وسهل عليهم ملك العراق وطلب منهم أن يكون نـائبهم في البلاد فوعدوه بذلك واخذوا في التجهيز لقصد العراق**" ([4]) ، واعتبر نجـاحهم

([1]) ابن طباطبا , الفخري , ص80

([2]) أبو شامه , الذيل , ص199

([3]) بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص38 ؛ الذهبي , دول , ج3 , ص156

([4]) اليونيني, الذيل, ج1, ص87؛ ابن الوردي , تاريخ , ج2 , ص280

في السيطرة على العراق ثم " **هلاك الخليفة وأرباب دولته وقتل معظم أهل بغـداد ... بمكيدة دبرت معه** "([1]) , وقد أكد صلة ابن العلقمي بالمغول كل من أبي الفداء (ت 732هـ/1331م) ([2]) , وابن الوردي (ت 742هـ/1341م) ([3]) والذهبي (ت748هـ/1347م) ([4]) , والصفدي (ت 764 هـ /1362م) ([5]) .

وقد جزم مؤرخ متأخر وهو المقريزي (ت 845 هـ/1441م) ، بان ابـن العلقمي وآخرين كانوا ممن اصطنعهم المغول , وان جواسيس هولاكو اتصلوا به في بغداد سنة 654هـ/ 1256م , " **وتحدثوا معه , ووعدوا جماعة من أمراء بغـداد بعدة مواعيد فكشف ابن العلقمي ضعف الرجال** " ([6]) كما اتهمه بأنه كان يراسـل هولاكو " **... بالأخبار ويعرفه بصورة أخذها** [أي بغداد] **وضعف الخليفة وانحلال العسكر**" ([7]) .

ومع أن قلة من المؤرخين نفوا هذه التهمة عن ابن العلقمـي كـالمؤرخ ابـن طباطبا (ت709هـ/1309م) ([8]) , وآخرين شككوا بـذلك كـابن كثيـر(ت774 هـ/1372م) ([9]) , فان كونه الشخصية التي قامت بالتفاوض بين المغول والخليفة إبان حصار بغداد ، يرجح انه كان ممن كسبه المغول لصالحه وأنهم أفادوا منه في انجاز مهمتهم في بغداد كما سيتضح في الصفحات التالية .

ويبدو أن تشبث هولاكو باستقطاب عناصر عباسية إلى جانبه جعل بعـضهم يحاول استغلال ذلك للنيل منه , فقد جاء لدى ابن فضل ا العمـري(ت749هـ ـ/

([1]) اليونيني, الذيل, ج1, ص85
([2]) أبو الفدا , المختصر , ج2 , ص302
([3]) ابن الوردي , تاريخ , ج2 , ص280
([4]) الذهبي , دول , ج2 , ص121 ؛ العبر , ج3 , ص277
([5]) الصفدي , الوافي ، ج1 , ص184
([6]) المقريزي , السلوك , ج 1, ق 2, ص400
([7]) المصدر نفسه , ج1 , ق2 , ص400
([8]) ابن طباطبا , الفخري , ص338
([9]) ابن كثير , البداية , ج13 , 202

1348م) في كتابه : مسالك الأبصار رواية انفرد بها , تشير إلى أن هولاكو استطاع أن يكسب ابناً للادويدار الصغير اسمه جلال الدين ، وانه "**اتخذه... موضع رأيه ومكان سره" ([1]) ,** و تدعي الرواية انه استشاره عندما خسر عسكر له أمام القوات العباسية مما يبدو انه [في حالة صحته] حقق انتصار جزئي سبق الهجوم الرئيس على بغداد ، وانه أشار عليه بقوله : " **عندي عسكر جيد خير من هؤلاء , قال من هم ؟ قال عسكر الخليفة , فان ابن العلقمي قطعهم مالا فهم أحياء موجودون ؟ وأنا أجيبهم إليك** " ([2]) .

في ضوء حديث جلال الدين كتب هولاكو مرسوما جاء فيه **: " إننا قد جهزنا جلال الدين بن الدويدار في شغل مهم لنا , ورسمنا بما يفعل , ومرسومنا أن يمتثل جميع الخوانين , والأمراء , والنواب ,.., وكافة الناس أمر جلال الدين وانه مهما شاء فعل يقتل من يريد , ويخلي من يريد , وان لا يعارض في أمر من الأمور , ولا يعترض عليه بسبب من الأسباب "([3]) .**

وقد ذكر ابن فضل ا أن ذلك كان مكيدة من جلال الدين, فما أن تحرك لتنفيذ ما وعد به حتى " **...حط يده في كل من بقي يجده من أمراء المغل , وأكابرهم, والمقربين عند هولاكو , وفعل فيهم ما أراد, وفتك فيهم أنواع الفتك , حتى وصل إلى بغداد واستعد فيها لما يريد إن يعمله , واخذ منها ما أراد , ومن أراد, وهرب من هولاكو على عزم الوصول إلى مصر, فأدركه اجله قبل الوصول . "** ([4])

وسواء صحت هذه الرواية أم لم تصح فإنها تعطي فكرة عن وسائل هولاكو للسيطرة على مقر الخلافة العباسية وجيشها .

سابعا :- إبقاء باب المفاوضات مفتوحا .

كان من الواضح بعد إحكام حصار هولاكو لبغداد أن الموقف اتجه لصالحه , وان الخليفة لم يكن لديه ما يدافع به عن المدينة , ومع ذلك فقد أبقى هولاكو الباب

([1]) ابن فضل ا , مسالك الأبصار , ج3 , ص80

([2]) المصدر نفسه , ج3 , ص80

([3]) المصدر نفسه , ج3 , ص80 - 81

([4]) المصدر نفسه , ج3 , ص81

مفتوحا للتفاوض مع الخليفة , فقد استقبل رسولي الخليفة إليه وهمـا : أبـو طالـب الدامغاني ([1]) , وابن الدرنوس([2]) ؛ وهما من كبار رجاله ([3]) .

لم تشر المصادر إلى مضمون الرسالة التي حملها الرسولان , ولكن الطوسـي ذكر أن هولاكو أعادهما إلى الخليفة مصرا على أن يشمل الوفد رجلـين آخـرين , وهما كل من الدويدار وسليمان شاه ([4]) .

لم يستجب الخليفة لطلب هولاكو وقام بإرسال وزيره مؤيد الدين ابن العلقمـي مع رسالة أورد الطوسي جانبا منها جاء فيه : " **لقد أمر الملك** [ويعني هولاكـو] **أن يخرج إليه واحد من الثلاثة الدويدار أو سليمان شاه أو الـوزير**" ([5]) مـشيرا بذلك إلى رسالة قديمة كان هولاكو قد أرسلها إليه من همذان سنة 655هـ/ 1260م, وعندها قال هولاكو : " **قلت هذا حين كنت في همذان , وأنا الآن فـي بغـداد , فانتهى الشرط . وكيف اقنع الآن ؟ يجب أن يأتي الثلاثة جميعا** " ([6])

وحيث أن مطالب هولاكو لم تنفذ , فقد بدأ يهيئ مستلزمات هجومه على بغداد , فأغلق الجسر على دجلة , وحجز السفن الداخلة والخارجة , وعين حرسا على ذلك كله , ونصب المجانيق , واعد آلات الحرب النفطية , واحكم سيطرته على المنافـذ التي قد يتخذها الخليـفة ورجاله وسيلة للهرب ([7]) ، ثم أوعز إلى رجاله بصعود الجدار الذي بناه في الجانب الشرقي من بغداد بان يطلبوا من أهلها " **بان يهـدموا**

([1]) هو فخر الدين أبو طالب الدامغاني من أعيان الخليفتين المستنصر والمستعصم انظر عنه : الجويني , تاريخ , ج2 , ص366

([2]) هو نجم الدين عبد الغني ابن الدرنوس , من المقـربين للخليفـة المستعـصم اسـتخدمه للإشراف على أبراج الحمام ثم رئيسا للبراجين , تولى الحجابة وكان ذا رأي ومشورة , انظر : الجويني , تاريخ , ج3 , ص370

([3]) الطوسي , واقعة بغداد , ص366

([4]) المصدر نفسه, ص367

([5]) المصدر نفسه , ص367

([6]) المصدر نفسه , ص367

([7]) المصدر نفسه , ص368

أسوارهم " ([1]) , ثم بدا هجومه عليها في 22 المحرم من سنة 656 هـ/1260م وظل الهـجوم مستمرا "**ستة أيـام بلياليها**"([2]) .

ومع أن الحرب كانت قائمة ، فقد ذكر الطوسي أن الرسل " **توافدت... بين الطرفين**" ([3]) , إلا انه لم يعط أية معلومات عنها , بيد أن اليونيني قدم صـورة أكثر تفصيلا, فذكر أن هولاكو أمر خلال ذلـك " **بخـروج الدويـدار الـصغير وسليمان شاه إذا لم يرد الخليفة الخروج ، وإذا أراد الخروج فلا حاجة لهما**" ([4]) **فلما خرجا إليه ، أبقى لديه الدويدار الصغير وخاطب سليمان شاه ، قائلا: " عد إلى المدينة وجند لنا كثيرا من الرجال** " . ([5])

لم يقتصر استقبال هولاكو على رجال الدولة من حاشية الخليفة بل اسـتقبل رسولين بعث بهما أهل بغداد وهما شرف الـدين المراغـي , وشـهاب الـدين الزنجاني ([6]) " **يطلبان الأمان لسكان بغداد** " ([7]).

وفي محاولة يائسة من الخليفة وهو يعاين" **العجز فـي نفـسه وخـذلان أصحابه**" ([8]), أرسل وزيره مؤيد الدين بن العلقمي, واحد بطاركة الفرنج وهـو

([1]) الطوسي , واقعة بغداد , ص368

([2]) المصدر نفسه , ص368

([3]) المصدر نفسه , ص368

([4]) المصدر نفسه , ص368

([5]) المصدر نفسه , ص368- 369

([6]) هو شهاب الدين أبو المناقب احمد بن محمود الزنجاني من علماء بغـداد ومـن مدرسـي المدرسة النظامية والمستنصرية تولى منصب قاضي القضاة في بعداد توفي بعيد فتح بغداد انظر : الجويني , تاريخ , ج3 , هامش (2) , ص369 ؛ السبكي ، تاج الدين أبو نصر عبد الوهـاب, طبقات الشافعية الكبرى , تح : عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمـد الطنـاحي , د.ط , دار إحياء الكتب العربية , القاهرة , د. ت , ج5 , ص154 وسيشار إليه تاليا : السبكي , طبقات الشافعية ؛ مجهول , الحوادث الجامعة , ص2

([7]) الطوسي , واقعة بغداد , ص369

([8]) ابن العبري , مختصر الدول , ص271

ماكيكا , للتوسط لدى دوقوز خاتون زوجة هولاكو, لإعطـاء فرصـة جديـدة للتفاوض ([1]) .

وقد ذكرت بعض المصادر المتأخرة ,أن ابن العلقمي التقى هولاكو ، وانـه عاد إلى الخليفة, واعلمه أن المصالحة ممكنة شريطة أن يكون نـصف خـراج العراق للمغول ونصفه الآخر للخليفة, وان يمثل هو بين يديـه لكي يقر الـصلح ([2]) , وقد شجعه على قبول هذا الرأي، وقال له : " **لو وقـع الـصلح علـى المناصفة لا يستمر هذا إلا عاما أو عامين، ثم يعود** [أي هولاكو] **إلى ما كان عليه** " ([3]) .

ومع أن هذه الرواية تقول أن الخليفة وقع تحت تأثير خدعـة نـسقها ابـن العلقمي مع هولاكو ، إلا أن كونها رواية متأخرة لمؤرخين غير معاصرين ، لا تسمح القطع بصحتها.

ويبدو من كل ما سبق أن هولاكو نجح في خلق حالة مـن الرعـب فـي المدينة المحاصرة , كما أن الحرب النفسية التي مارسها مع الخليفة , هي ما دفع به إلى اتخاذ قرار الخروج إلى هولاكو في الرابع من شهر صفر " **ومعه ابنـه وخاصته من الأئمة والسادات والمشايخ فعبروا بوابة كلواذ ([4]) " .**

وقد ذكر الطوسي أن اجتياح بغداد حدث مباشرة بعد خروج الخليفة حيـث قال **: " وبعد خروجهم** [يعني الخليفة **ومن معه**] أمر الملك [أي : هولاكـو]

([1]) رنسيمان، ستيفن , تاريخ الحروب الصليبية , ترجمة الـسيد البـاز العرينـي , د.ط, دار الثقافة , بيروت , 1997م, ج3 , ق2 , ص520 وسيشار إليه تاليا : رنسيمان , تاريخ

([2]) ابن كثير , البداية , ج13 , ص201؛ العيني ، بدر الدين محمود, عقد الجمان في تـاريخ أهل الزمان , تح : محمد محمد أمين , د.ط , مركز تحقيق التراث , الهيئة المصرية العامـة , د. م, , ج1 , ص172

([3]) ابن كثير , البداية , ج13 , ص201 ؛ الاشرف الغـساني , العـسجد المـسبوك , ج2 , ص630 ؛ العيني , عقد الجمان, ج1 , ص172

([4]) كلواذ أو كلواذي , من بوابات بغداد المشهورة على القسم الشرقي مـن دجلـة . انظـر البغدادي , مراصد الاطلاع , مج 3, ص 1176

بالغارة على المدينة واتجه الملك نحو منزل الخليفة ومعه كل من أراد مشاهدته ... وانتهى أمره [أي الخليفة] **في ذلك اليوم** [1] **.**

وهكذا فقد نجحت خطة هولاكو في إسقاط بالخلافة العباسية ودخول بغـداد في العشرين من المحرم من سنة 656 هـ/ 1258م ، ليصبح مـا كـان بيـد الخليفة العباسي من بلاد العراق جزءا من الدولة الايلخانية وليتحقق بذلك الهدف الذي سبق أن أوصى به خاقان المغول الأكبر منكوخان قبل هذا التاريخ بخمـس سنوات .

2.1 تجاه الإمارة البدرية 631 – 661هـ/1233 – 1262م .

أولا : الأيلخانيون والإمارة البدرية في عهد مؤسسها بدر الدين لؤلؤ

ترجع العلاقة بين المغول والإمارة البدرية في إقليم الجزيرة الفراتية , إلى عهد مؤسسها بدر الدين لؤلؤ (631 – 657هـ/1233 -1258م) , فقد اظهر ولاءه لهم منذ سنة 634 هـ/ 1236م [2] , وزودهم بالمال والسلاح عند مهـاجمتهم مدينـة اربل شمالي العراق [3] , كما ضرب نقودا نحاسية ووضع عليهـا ألقـاب القـان المغولي أوكتاي [4] , إضافة إلى انه أرسل ابنه 635هـ ـ/ 1237م منـدوبا عنـه لحضور المجلس الأعلى للمغول , والذي يعرف بالقوريلتاي [5] .

وقد أدركت الدولة الايلخانية عند تأسيسها سنة 645هـ/1256م , أهمية هذه العلاقة نظرا لموقع الإمارة الحيوي, ولما تمتلكه من طرق مواصلات, مع كل مـن

([1]) الطوسي , واقعة بغداد, ص370

([2]) مجهول , الحوادث الجامعة , ص337

([3]) الهمذاني , جامع التواريخ (خلفاء جنكيز خان) , ص231 ؛ مجهول , الحوادث الجامعة , ص337 ؛ بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص43

([4]) هو الابن الثالث لجنكيز خان , تولى بعد وفاة أبيه بسنتين وأصبح خانـا للإمبراطوريـة المغولية في اجتماع القوريلتاي في ربيع سنة 626هـ/ 1229م , توفي سنة 639هـ/ 1241م . انظر : الهمذاني , جامع التواريخ , خلفاء جنكيز خان , ص63

([5]) المصدر نفسه , ص181, 192

بلاد الشام, واسيا الصغرى, ووسط وجنوب العراق , فعملت على ترسيخ علاقتهـا ومن ثم تسخيرها لتنفيذ طموحاتها في التوسع باتجاه بلاد الشام, والعراق , ومصر , وكان من ابرز ثمرات هذه السياسة, قيام بدر الدين لؤلؤ بإرسال ابنه الملك الـصالح إسماعيل سنة 656هـ/ 1258م , على رأس جيش من الموصل, للمشاركة مع القوات المغولية في احتلال بغداد ([1]) , غير أن وصول الملك الصالح متأخرا عن موعـد المعركة , اغضب هولاكو غضبا شديدا ودفعه إلى اتهام بدر الدين لؤلؤ بالمراوغـة والخداع , جاء هذا على لسانه عند مثول الملك الصالح بين يديه حيث خاطبه قائلا " **انتم بعد في شك من أمرنا , ومطلتم نفوسكم يوما بعد يوم , وقدمتم رجلا وأخرتم أخرى لتنظروا من الظافر بصاحبه , فلوا انتصر الخليفة وخذلنا لكان مجيئكم إليـه لا إلينا .** "([2]) ، كما حمل الملك الصالح رسالـة شفوية إلى أبيه جـاء فيها : " **قل لأبيك : لقد عجبنـا منك كل العجب كيف ذهب عليك الصواب وعدل بك ذهنك عن سواء السبيل واتخذت اليقيـن ظناً وقـد لاح لك الصبح فلـم تستصبح ...** " ([3]) .

لم يكتف هولاكو بتقريع بدر الدين لؤلؤ , وتوجيه التهم إليه بـالخروج عـن عهوده ومجانبته الصواب , بل تقصد إرهابه, وإرهاب أهل الموصل, فأرسـل إليـه برؤوس ثلاثة من كبار رجال الخليفة العباسي وهم : مجاهد الدين أيبـك الدويـدار, وولده أسد الدين , وسليمان شاه بن مرجم ([4]) وطلب إليه أن يعلقها في المدينة .

تركت سياسة الضغط والتخويف هذه , أثرها على بدر الدين لؤلؤ فتوجه علـى الفور إلى هولاكو والتقاه في مدينة همذان التي كان قصدها بعد احتلاله لبغداد ، فقدم

([1]) ابن العبري , مختصر الدول , ص276 ؛ اليونيني , الذيل , ج2 , ص45

([2]) المصدر نفسه, ص276

([3]) المصدر نفسه , ص276

([4]) بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص37

اعتذاره إليه وأعلن ضعفه وقدم له " **مفاتيح مدينة الموصل ومفاتيح قلعتها** " ([1]) , إضافة إلى ما حمله إليه " **من هدايا وتحف نفيسة** " ([2]) , وقد ذكر ابن العبـري (ت686هـ/1287م) المعاصر لهذه الحقبة أن هولاكو كافأ بدر الدين لؤلـؤ علـى موقفه بأن " **كتب له مملكة الموصل** " ([3]) , ويعني هذا أن الإمارة البدرية أصبحت اقرب ما تكون إلى إمارة تابعة للدولة الايلخانية .

ويبدو أن هولاكو أراد أن يتأكد من مدى التزام بدر الدين لؤلؤ بولائـه لـه , فأرسل إليه يأمره بالاستعداد للمشاركة في حملة كان يعد لها لغـزو مـصر وبـلاد الشام، وكان قد أعفاه من المشاركة بشخصه فيها جاء في هذه الرسالة قول هولاكـو مخاطبا بدر الدين لؤلؤ : " **إن سنك قد جاوزت التسعين , لذلك أعفيناك من الـسير معنا , ولكن عليك أن تبعث بابنك الملك الصالح مع الرايات الغازيـة لفـتح ديـار الشام ومصر** " ([4])

نفذ بدر الدين لؤلؤ ما أمره به هولاكو وأرسل جيشا بقيادة ابنه الملك الـصالح إسماعيل للمشاركة بغزو حلب, وقد استمرت العلاقة بين الطرفين على هذه الشاكلة , حتى وفاة بدر الدين لؤلؤ في الثالث عشر من شعبان من سنة 657هـ/ 1258م([5]).

ثانيا : الايلخانيون والإمارة البدرية في عهد الملك الصالح إسماعيل (657-660هـ/ 1258 – 1261م)

([1]) ابن العبري , مختصر الدول , ص276 ؛ بيبرس المنصوري, زبدة الفكـرة , ص725 ؛ ابن الوردي , تاريخ , ج2 , ص288؛ ابن كثير , البدايـة , ج13 , ص214 ؛ العينـي , عقـد الجمان , ج1 , ص179

([2]) بيبرس المنصوري, زبدة الفكرة , ص725 ؛ ابن الوردي , تاريخ , ج2 , ص288؛ ابـن كثير , البداية , ج13 , ص214 ؛ العيني , عقد الجمان , ج1 , ص179

([3]) ابن العبري , المختصر , ص276 ؛ بيبرس المنصوري , زبدة , ص42 ؛ ابن دقمـاق , صارم الدين إبراهيم بن محمد, نزهة الأنام في تاريخ الإسلام , تـح : سـمير طبـارة , ط1 , المكتبة العصرية , بيروت 1995م , ص242 وسيشار إليه تاليا : ابن دقماق , نزهة الأنـام ؛ العماد الحنبلي , شذرات الذهب, ج5 , ص270

([4]) الهمذاني , جامع التواريخ ج2 , ق1 , ص305

([5]) بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص 46 ؛ المقريزي , السلوك , ج1 , ق2 , ص441

مع أن ولاء الإمارة البدرية للمغول ظل قائما في عهد الملك الصالح إسـماعيل الذي تولى حكم الإمارة بعد أبيه , إلا أن المغول بدأوا يشكون في ولائه لهـم فـي أعقاب خروج أخ له ؛ وهو الأمير علاء الدين ؛ حاكم مدينة سـنجار عـن طاعـة المغول , ولجوئه إلى بلاد الشام ومشاركته في معركة عين جـالوت إلـى جانـب المماليك ضدهم سنة 658هـ/1259م ([1]), وقد ازدادت الريبة في الصالح إسماعيل بعد أن وقع في أيدي المغول رسالة بعث بها أخوه علاء الدين إليه يحثه فيها علـى التحالف مع المماليك والوقوف بوجه النفوذ المغولي , مما دفع بهم إلـى التخطـيط لإلقاء القبض عليه , فقد ذكر اليونيني (ت726هـ/ 1325م) أنهم " **شرعوا يخلقون له ذنوبا ويريدون بذلك القبض عليه** " ([2]) وانه " **استشعر مـنهم الغـدر** " ([3]) , فغادر الموصل أواخر شهر رجب من سنة 659هـ ـ/1260م للالتقـاء بالـسلطان الظاهر بيبرس حاكم مصر والشام , غير أن ثمة عاملا آخر ربما كان هو ما عجل بتوجه الملك الصالح للتنسيق مع السلطان المملوكي الظاهر بيبرس , ونعني به مـا ذكره صاحب الحوادث الجامعة , من أن مغادرة الصالح جاءت رد فعل علـى مـا اتخذه هولاكو من إجراءات ثأرا لما حصل للمغول بعد معركة عين جـالوت , فقـد أعد جيشا كبيرا جعل عليه أحد كبار قادته وهو ايلكانوين وأمره بالتوجه إلـى بـلاد الشام لاستعادتها. ([4])

ويفهم مما أورده صاحب الحوادث الجامعة إن الملك الصالح كـان علـى قناعة بان الإمارة البدرية ستكون احد أهداف هذا الجيش حيث قال : " **ولمـا بلـغ الملك الصالح إسماعيل بن بدر الدين لؤلؤ مسير ايلكانوين , فارق الموصل وقصد**

([1]) بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص46 , 65

([2]) اليونيني , الذيل , ج2 , ص106

([3]) المصدر نفسه , ج2 , ص106

([4]) مجهول , الحوادث الجامعة , ص345

الملك الظاهر وهو بدمشق وطلب منه جيشا يمنـع بـه المغـول عـن قـصـد الموصل " ([1]) .

ويبدو أن ثمة خطة اتفق عليها بين الملـك الـصالح إسـماعيل , والـسلطان المملوكي الظاهر بيبرس, لمساندة الإمارة في إزاحة نفوذ المغول عنها , ومنعهم من السيطرة عليها , وان كانت المصادر لم تتحدث عن ذلك صراحة , غير انـه مـن الواضح أن الملك الصالح وإخوته أصبحوا تابعين للـسلطان المملـوكي, بـدليل إن الخليفة العباسي اصدر تقليدا لهم على " **حكم الموصل وسنجار والجزيـرة** " ([2]) , كما أن السلطان الظاهر " **رسم بكتابة تقاليدهم ببلادهم فكتب تقليد الموصل وقلاعها للملك الصالح ركن الدين إسماعيل وهي : " الموصل وولاياتها ورسـاتيقها([3]) , ونصيبين وولاياتها , والرها([4]) والجزيرة والبوازيج ([5]) وما يتعلق بها وعقـر شوش([6]) , ودارا ([7]) وأعمالها , والقلاع العماديـة وبلادهـا , وكواشـى([8]) وبلادها , كما كتب بلاد الجزيرة وأعمالها للملك المجاهد سـيف الـدين إسـحاق ,**

([1]) مجهول , الحوادث الجامعة , ص345

([2]) بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص66 ؛ مختار الأخبار , تح : عبد الحميـد صـالح حمدان , ط1 , الدار المصرية اللبنانية , القاهرة 1993 م , ص18وسيشار إليه تاليا : بيبـرس المنصوري , مختار الأخبار

([3]) الرستاق لفظ فارسي معناه القرية، أو محلة العسكر، أو البلد ومنه الكلمة العربية الرزداق وجمعها الرزاديق انظر : البقلي , مصطلحات الأعشى , ص159

([4]) مدينة كبيرة إلى الجانب الشرقي الشمالي من الفرات . انظر : أبو الفدا , تقويم البلـدان , ص277

([5]) قرية من أعمال الانبار قرب تكريت . انظر المصدر نفسه , ص287

([6]) بلدة بالجزيرة قرب ماردين . انظر البغدادي , مراصد الاطلاع , مج2 , ص504

([7]) بلدة بالجزيرة . المرجع نفسه , مج2 , ص504

([8]) قلعة حصينة شرقي الموصل . انظر المرجع نفسه, مج3 , ص1184

وكتب للملك المظفر سنجار ([1]) **وأعمالها, وكتب لعلاء الملك ولد الملك الصالح**([2]) **تقليدا بقلعه نجم** ([3])..".

إن صدور مثل هذه المراسيم , يعني أن الدفاع عن البلاد أصبح من مسؤولية السلطان المملوكي .

لم تكن هذه المتغيرات في موقف الإمارة البدرية من المغول غائبة عنهم , فقد كان من ابرز مرتكزات سياستهم تجاهها , الحذر والترقب , لذا فان من غير المستغرب ما ورد على لسان هولاكو في حديث له مع صاحب ماردين عندما التقاه في شهر رمضان من سنة 659هـ/1260م حيث قال : " **بلغني أن أولاد صاحب الموصل هربوا من البلاد إلى مصر , وأنا اعلم أن أصحابهم كانوا السبب في خروجهم** " ([4]) , مما يعني انه لم يكن على اطلاع بتحركات الملك الصالح وإخوته فحسب , بل كان على علم بمن كان يقف وراء ذلك من الشخصيات الموصلية , فما هي السياسة التي اتبعها تجاه هذا التحول في موقف الإمارة البدرية ؟

اتبع هولاكو سياسة جديدة تجاه الإمارة البدرية تتلاءم مع المتغيرات آنفة الذكر , اعتمدت العمل على إنهاء حكم أسرة بدر الدين لؤلؤ للإمارة وضمها إلى الدولة الايلخانية , واتبعت الخطوات التالية للوصول إلى أهدافها وهي :

1- فرض حصار على الموصل .

ما أن علم المغول بمغادرة الملك الصالح إسماعيل إمارة الموصل أواخر شهر رجب من سنة 659هـ/1260م ، حتى بادروا إلى فرض حصار على المدينة , ويبدو أنهم أرادوا في هذه المرحلة المبكرة من الحصار حتى بادروا إلى إعاقة أية

([1]) مدينة من نواحي الجزيرة قرب الموصل . المرجع نفسه , مج2 , ص743

([2]) بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص66 ؛ مختار الأخبار , ص18 ؛ اليونيني , الذيل , ج2 , ص70

([3]) قلعة حصينة إلى الغرب من البيرة . انظر أبو الفدا , تقويم البلدان , ص269

([4]) اليونيني , الذيل , ج2 , ص113

تنسيقات محتملة بين أهل الموصل من جهة والملك الصالح وحلفاءه الجدد والمماليك من جهة أخرى ([1]) .

2- مراقبة تحركات الملك الصالح إسماعيل .

راقب المغول تحركات الملك الصالح إسماعيل , فلما عرفوا بأنه عائد إلى الموصل , لم يتعرضوا له وهو في طريقه إليها , ويبدو أن هدفهم وراء ذلك جره للدخول إلى المدينة ومن ثم إحكام الحصار عليه . ([2])

3- ضرب القوات المساندة للملك الصالح إسماعيل .

علم المغول باستنجاد الملك الصالح إسماعيل بالأمير شمس الـدين البرلـي الذي كان مسيطرا على حلب , وعلموا بتحركه نحو الموصل , فترصده القائـد المغولي سنداغو على الرغم من تردده أولا في مواجهته , ثم باغته عند وصوله إلى سنجار , وهزمه وشتت قواته البالغة في حدود ألف ومائتي رجل قتلاً وأسرا في معركة حصلت في 14 جمادى الآخرة من سنة 660هـ/ 1261م ([3]) .

4 – الاستعانة بعملاء المغول .

استعان المغول في محاولاتهم للقضاء على الإمارة البدرية بعميلين أولهما : الزين الحافظي **([4])** الذي كان له تاريخ طويل في الدعاية للمغول, وتثبيط الهمـم عن مواجهتهم , فقد أرسله هولاكو لمساندة قواته المحاصـرة للموصـل , وقـد وصل إلى القوات المغولية وهي تتأهب للهرب بعد أن سمعت بقدوم جيش مـن

([1]) أبو شامة , الذيل , ص213 ؛ ابن العبـري , مختـصر الـدول , ص492 ؛ مجهـول , الحوادث الجامعة , ص345 ؛ بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص17 ؛ مختـار الإخبـار , ص68

([2]) بيبرس المنصوري , التحفة الملوكية في الدولة التركية , ط1 , الدار المصرية اللبنانيـة , القاهرة 1987م ' ص48 وسيشار إليه تاليا , التحفة الملوكية ؛ مختـار الأخبـار , ص19 , اليونيني , الذيل , ج2 , ص109

([3]) أبو شامة , الذيل , ص218 ؛ اليونيني , الذيل ,ج2 ,ص152 , 157

([4]) هو سليمان بن المؤيد بن عامر العقرباني , كان طبيبا للملك الناصر يوسـف الأيـوبي , توفي سنة 662هـ/ 1263م انظر : الذهبي , العبر , ج3 , ص304

حاب على رأسه الأمير شمس الدين البرلي , فاتصل بقادة الجيش , ولعب دورا كبيرا في رفع معنويات جند المغول ، وعرفهم أن " **المصلحة** [أي المصلحة المغولية] **أن تلاقوهم لئلا توصفوا بالعجز , فيطمع فيكم** " ([1]) .

وقد عقب المؤرخ اليونيني (ت726هـ/ 1325م) على ذلك بقوله :

" **فقوى عزمهم الحافظي على الحصار** " ([2]) .

أما العميل الثاني فقد كان له دور كبير في زعزعة التماسك الداخلي في مدينة الموصل أبان الحصار , ونعني به زوجة الملك الصالح إسماعيل ؛ تركان خاتون ([3]) التي وصفها اليونيني " **بالتترية** " ([4]) .

5- مواجهة صمود الموصليين خلال الحصار بإحكام التضييق عليهم وإضعاف معنوياتهم .

وصف صاحب الحوادث الجامعة صمود أهل الموصل أمام حصار المغول لهم فقال **أنهم** " **ابلوا في الجهاد بلاء حسنا** " ([5]) , وأشار إلى دور الملك الصالح إسماعيل فذكر انه " **قام في ذلك قياماً تاماً ونصب حيال مجانيق المغول بباب الميدان والجصاصين ثلاثين منجنيقا ترمي ليلا ونهارا** " ([6]) .

([1]) اليونيني , الذيل , ج2 , ص157

([2]) اليونيني ، الذيل , ج2 ,ص157

([3]) أصلها من قبائل تركية تدعى قنقلي , أرسلت إلى قراقورم بأمر من جنكيز خان وعاشت في البلاط المغولي اصطحبها هولاكو في حملته على الشرق وأهداها إلى بدر الدين لؤلؤ ليزوجها ابنه الملك الصالح سنة 655هـ/ 1257م انظر : الجويني , تاريخ , ج2 , ص100 - 101

([4]) المصدر نفسه , ج2 , ص106

([5]) المصدر نفسه , ج2 , ص346

([6]) مجهول , الحوادث الجامعة , ص 346 -347

أمام هذه الصورة ركز المغول على إحكام الحصار على الموصـل طـوال أثنى عشر شهرا ([1]) , حتى " **فنيت ميرة أهلها , وتعذرت الأقوات علـيهم , واشتد بهم الأمر حتى أكلوا الميتة ولحوم الكلاب** ([2]), على حد تعبير صـاحب الحوادث الجامعة , وقد وصف بيبرس المنصوري ما أصاب أهل الموصـل " **بالضيق العظيم** " ([3]) , وأنهم " **ضعفوا لعدم الأقوات وانقطاعها وتعذر الاجلاب وامتناعها** " **([4]) .**

وقد حاول المغول إضعاف الروح المعنوية العالية عنـد أهـل الموصـل وحاكمهم الملك الصالح إسماعيل , فقاموا بإدخال عدد من الأسرى إلى المدينـة من خلال الثقوب الموجودة في أسوارها , وكان هؤلاء قد وقعوا في أيديهم إبان انتظارهم قوات لمساندة الموصل ورفع الحصار عنها ([5]) , ونعني بذلك عساكر شمس الدين البرلي ([6]) التي لم تتمكن من الدخول بسبب المغول .

وقد تركت خطوات المغول هذه أثرها , واضطر الملك الصالح إسـماعيل إلى أن يطلب الأمان له ولأهل البلد من القائد المغولي سنداغو ([7]) .

وعلى الرغم من أن المغول أعطوا الأمان كما طلبه الملك الصالح , إلا إنهم لم يفوا بما أعطوه , بل اتبعوا وسائل عنيفة ووحشية تجاهه وتجاه أهل الموصل , فقد ذكر صاحب الحوادث الجامعة أنهم قبضوا عليه , وعلى ولـده , وإتباعـه الذين خرجوا معه , ثم أمر سنداغو " **بقتل ولده الملقب علاء الدين , فقتل**

([1]) المصدر نفسه , ص345 ؛ ذكر بيبرس المنصوري أن مدة الحصار تسعة أشهر, واليونيني ثمانية أشهر , انظر : زبدة الفكرة , ص68 ؛ مختار الأخبار , ص19 ؛ اليونيني , الذيل , ج2 ص492,

([2]) مجهول , الحوادث الجامعة , ص347

([3]) بيبرس المنصوري , التحفة الملوكية , ص48 , مختار الأخبار , ص19 , زبدة الفكـرة , ص68 .

([4]) المصدر نفسه , ص68

([5]) اليونيني , الذيل , ج2 , ص158

([6]) المصدر نفسه , ج2 , ص 158

([7]) مجهول, الحوادث الجامعة, ص345

وعلق رأسه على باب الجسر " ([1]) , أما الملك الصالح وأخوه الملك الكامل فقد سيرا إلى هولاكو " **فأمر بالملك الصالح فسلخ وجهه وهو حي , ثم قتل , وقتل أخوه** [وكان طفلا] **وقتلا أصحابهم وأتباعهم " ([2]) .**

ومع أن الصورة التي قتل بها الملك الصالح ومن معه وردت في مـصادر أخرى بصيغة مختلفة ([3]) , إلا أنها في جوهرها تؤكد على بـشاعة مـا فعلـه المغول بهم , فقد ذكر في واحد من هذه المصادر أن الملك الـصالح إسـماعيل **"حمل إلى مراغة في أذربيجان فأمر هولاكو أن يدخل في الدهن ويربط عليـه باللبد , ووضع في الشمس إلى أن تحول الدهن إلى ديدان أخذت تلتهم جـسد الصالح " ([4]) .**

كما تعامل المغول مع أهل الموصل بالصيغة نفسها فقد أعطوهم الأمان أولا فلما خرجوا لمزاولة أعمالهم " **اعملوا فيـهم السيف تسعة أيام** " ([5]) , وقـال الهمذاني أن المغول " **قتلوا بقية سكان المدينة بحد السيف , واسروا بعضا من أرباب الحرف والصنائع بحيث لم يبق احد في الموصل , فلما رحل المغول عن المدينة خرج ما يقرب من ألف شخص من الجبال والمغارات وتجمعوا** " ([6]) .

هذا ما كانت عليه السياسة الخارجية للدولة الايلخانية تجاه الإمارة البدريـة في عهد بدر الدين لؤلؤ وولده الملك الصالح إسماعيل .

([1]) المصدر نفسه , ص347

([2]) المصدر نفسه, ص347

([3]) مجهول , الحوادث الجامعة , ص345

([4]) الهمذاني , جامع التواريخ , ج2 , ق1 , ص330

([5]) اليونيني , الذيل , ج2 , ص159

([6]) الهمذاني , جامع التواريخ , مج2 , ج1 , ص330

3.1 تجاه إمارة أرمينية الصغرى .

أولا : المغول و إمارة أرمينية الصغرى

قبل قيام الدولة الأيلخانية

تقع إمارة أرمينية الصغرى (472 – 776هـ/1080 – 1375 م) في إقليم قيليقية بين جبال طوروس والبحر المتوسط وتمتد حتى حدود إنطاكيا ([1]) . وقد تنبه المغول إلى أهمية موقعها الجغرافي المتوسط بين القوى الإسلامية والفرنجية في الساحل، والأوروبية ، فعملوا على إخضاعها ، و نجحوا في إثارة قلق حاكمها الملك هيثوم الأول (Hethum I) (624- 669هـ/1226-1270م) ([2])، بعد تمكنهم سنة 643 / 1245م من إخضاع جيرانه سلاجقة الروم ([3]).

وقد دفع هذا بالملك هيثوم إلى المسارعة في السنة ذاتها إلى إرسال رسالة إلى الخاقان كيوك ([4]) يعلن فيها ولاءه وخضوعه إليه , وأعقب ذلك بسنتين (644هـ/1246م) إرساله أخاه الأمير سمباد ([5]) لتأكيد هذا الولاء وقد نجح في

([1]) سعيد عاشور, الحركة الصليبية, ج2, ص1215

([2]) هو حاتم الثاني ملك دولة سيسليان الارمنية , تزوج إيزابيل ابنة الملك ليو سنة 665هـ/1226م , تنازل بإرادته لابنه ليو الثالث وانظم إلى الكنيسة الكاثوليكية الرومانية. انظر: ابن العبري , تاريخ الزمان , ص277 ؛ Josheph strayer , Atamian Dictionary Of The Middle Ages ,New York 1985, vol .6 , p219

([3]) عطية، حسين محمد, سفارات الأرمن إلى المغول وأثرها على العلاقات الأوروبية المغولية , المجلة التاريخية المصرية , ع 36 , 1989, ص230 وسيشاراليه تاليا : حسين عطية , سفارات الأرمن

([4]) هو الابن الأكبر لاوكتاي خان بن جنكيز خان انظر الهمذاني , جامع التواريخ (خلفاء جنكيز خان) , ص180

([5]) هو المؤرخ الأرميني المعروف الذي وضع تاريخا لمملكة أرمينية الصغرى , مات سنة 674هـ / 1276م انظر: حسين عطية , سفارات الأرمن , ص207

الحصول على إعفاء بلاده من الضرائب المغولية ([1]) ,كما تعهد من جانبه بأن يدل عساكرهم على جميع الطرق والمعابر مقابل عدم التعرض للأرمن بسوء ([2])

ويبدو أن ما قدمته الإمارة الأرمنية من ولاء للمغول شجع الخاقان منكو خان على توجيه الدعوة للملك هيثوم لزيارته في قراقورم التي وصلها فعلا في الحـادي عشر من سبتمبر من سنة 652هـ / 1254 م استغرقت أكثر من عام ([3]) .

كان من ابرز نتائج هذه الزيارة قيام منكو خان بإصدار مرسـومين مـوثقين بختمه منع بموجبهما التعرض لشخص الملك الارمني أو لبلاده ، وإعفاء الكنـائس في كل مكان من الضرائب المغولية ([4]) ، بيد أن ما تلا ذلك من قـرارات أرسـى السياسة المغولية تجاه الأرمن وحدد آفاق التعاون ، فقد دعا الخاقان منكو خان إلـى عقد مجلس القوريلتاي وخاطب أعضاءه بحضور الملك هيثوم تعقيبا على ما كـان قد طلبه منه ([5]) , وأعلن تقديره الكبير له , وعلى حد تعبيـر المـؤرخ الأرمنـي

([1]) هلال, العلاقات, ص97؛ الخالدي، إسماعيل, العالم الإسلامي والغـزو المغـولي , د.ط, مكتبة الفلاح , د. ت, ص182 وسيشار إليه إسماعيل الخالدي , العالم الإسلامي ؛ ديورانت ، دل وايريل, قصة الحضارة , ترجمة محمد بـدران , د.ط , دار الجيـل , بيـروت ,1988 ,ج4 , ص152وسيشار إليه ديورانت , قصة الحضارة ؛ حسين عطية , سفارات الأرمن , ص230

([2]) رنسيمان , تاريخ , ج3 , ق 2 , ص526

([3]) حسين عطية , سفارات الأرمن , ص216

([4]) Rene grousset, histoire des croisades et- du Royaume , Paris ,1963, tom ,1 , p . 651

([5]) تقدم الملك الارمني بسبعة طلبات هي أن يعتنق الأيلخان وشعبه المغـولي المـسيحية , وان يرد لمغول كل الأراضي التي فتحوها في البلاد المسيحية , وان تحرر الكنـائس ورجـال الدين والمسيحيين من العبودية , وان يساهم منكو خان برد الأراضي المقدسـة وإعادتهـا إلـى المسيحيين , وان يصدر الأيلخان أوامره إلى مغول جغتاي بالتوجه إلى العراق للقـضاء علـى الخلافة العباسية وتدمير بغداد , وطلب أن يحصل على مساعدة قوات المغول عند طلبهـا , وان يرد إليه المغول كل الأراضي التي فتحها المغول منهم أو ما استولى عليه المسلمون من أراضي وان يكون له الحق في الاحتفاظ بكل ما يغنمه هو من أراضـي المـسلمين دون أن يعارضـه المغول في ذلك . انظر : حسين عطية , سفارات الأرمن , ص218

هايتون [وهو ابن أخي الملك هيثوم] الذي انفرد بذكر ما صدر عـن القوريلتـاي المشار إليه , ما يوضح أن المغول كان لديهم رؤية واضحة فـي سياسـتهم تجـاه أرمينية الصغرى فقال : " **لان ملك أرمينيا قد أتى إلينا بإرادته من بلاد بعيدة جدا , فيجدر بنا أن نلبي كل طلباته , ونقول لك يا ملك أرمينيا , بأننـا نحـن الأيلخـان سنعمد أولا ونعتنق عقيدة المسيح , وسنعمد أهل قصرنا كلهم , أما الآخرون فإننا سننصحهم بأن يفعلوا نفس الشيء , ولكننا لن نجبرهم على ذلك , لان العقيـدة لا تفرض بالقوة . وعن الطلب الثاني نجيب بأننا نرغـب فـي أن يـسود الـسلام والصداقة الأبدية بين المسيحيين والتتار , ولكننا نريد أن يتعهد المسيحيون بـأن يحافظوا على السلام والصداقة المخلصة تجاهنا كما سنفعل نحن بهم . ونريـد أن تتحرر كل الكنائس وكل المسيحيين أيا كان وضعهم , رجال دين أو علمانيين** [1] **, ويخلصوا من العبودية وان تتم حمايتهم ضد الأذى فـي الأرواح أو الممتلكـات . وفيما يخص الأراضي المقدسة فإننا كنا بالفعل سنذهب شخصيا وبإرادتنا لتبجيـل يسوع المسيح , ولكن لم كان لدينا الكثير لنقوم به في هذه البلاد , فإننـا نـأمر شقيقنا هولاكو بان يذهب إلى هناك وينجز هذه المهمة , وان يخلـص الأراضـي المقدسة من سلطة المسلمين , وان يسلمها إلى المسيحيين , وسنصدر أوامرنـا إلى باطو والتتار الآخرين الموجودين في تركستان , والتتار الذين هنا بأن يطيعوا شقيقنا هولاكو , وسيتوجه شقيقنا هولاكو ليستولي على مدينـة بغـداد ويـدمر الخليفة بصفته عدونا اللدود** " [2] .

إن قراءة للنص الذي أورده المؤرخ هايتون يعكس القراءة الأرمنية لـسياسة الخاقان المشار إليه , فقد ذكر أولا ما طلبه الملك الأرمني مـن الخاقـان ثـم رد الأخير عليه .

ذلك ما كانت عليه السياسة المغولية تجاه إمارة أرمينية الصغرى قبل قيـام الدولة الأيلخانية ، فكيف كانت عليه بعد قيامها ؟

ثانيا : سياسة الدولة الأيلخانية تجاه إمارة أرمينية الصغرى

---

(1) استخدم المؤلف كلمة "**علمانيين**" وهي مفهوم لم يكن معروفا في ذلك العصر .

(2) حسين عطية , سفارات الأرمن , ص218 - 219

في ضوء زيارته للبلاط المغولي تعهد هيثوم الأول سـنة 653هـ / 1255م بإمداد المغول بالجيش والمؤن عند دخولهم بغداد أو غزوهم بلاد الشام , كما وعدوا بالمساعدة في تخليص بيت المقدس من يد المسلمين .([1])

كما أظهرت المحادثات التي جرت بين الجانبين إظهار الخاقـان منكـو خـان عطفه الشديد على الأرمن وإعلان وضع الكنيسة , ورعاياها في جميع البلاد التابعة له تحت حمايته ورعايته ([2])

في ضوء هذه العلاقة الراسخة بين الأرمن والدولة الأيلخانية , كان هولاكو هو من جني ثمراتها , سواء فيما يخص تحركاته العسكرية قبل قيام الدولـة الأيلخانيـة سنة 654هـ / 1256م أو بعد ذلك , لذا فقد عمل على ترسيخ السياسة ذاتها تجـاه الإمارة الأرمنية وكان من ابرز نتائج ذلك في عهده مساهماتها الفاعلة جنبـا إلـى جنب مع الدولة الأيلخانية , يدال على ذلك مايلي :

1- مشاركـة جيش الأرمـن فـي حمـلة هولاكـو نحـو بغـداد سـنة 656هـ/1258م ([3]).

2- مشاركته في حملته على بلاد الشام([4]) , وكان دوره فاعلا في احتلال مدينة حلب سنة 657هـ/ 1258م ([5]) ، بدعم الجيش المغـولي بقوات إضافية ([6]) ,

---

([1]) ابن شداد , الاعلاق الخطيرة, ج3 , ق2 , ص479 ؛ بيبرس المنصوري , زبدة الفكـرة , ص36 ؛ عادل هلال , العلاقات ,ص97 ؛ ريجاردكوك , بغـداد , ج1 ,ص200 ؛ بارتولـد , العالم الإسلامي , في العصر المغولي، ترجمة خالد اسعد عيسى , مراجعة سهيل زكار ، ط1 ، دار حسان للطباعة ، دمشق ،1982 , ص60, وسيشاراليه تاليا :بارتولد , العالم الإسلامي

([2]) سعيد عاشور, الحركة الصليبية, ج2, ص1102

([3]) مجهول , تتمة كتاب وليم الصوري المنسوب خطأ إلى روثلان , ترجمة أسامة زكي زيد , ط2 , دار المصطفى للطباعة والكمبيوتر , طنطا 2001م , ص240 وسيـشار إليـه تاليـا : مجهول , تتمة كتاب ولـيم الـصوري ؛ Setton , K .M , A history of the crusades , Philadelphia , Pennsylvania University press , vol ,II , p . 574 , Rene crousset ,histoire des croisades , tom ,1 , p . 651

([4]) النويري , نهاية الأرب , ج30 , ص86

([5]) رنسيمان , تاريخ , ج3 , ق2 , ص 526

([6]) المرجع نفسه , ج3 , ق2 , ص 526

وبيع أسراها من الأشراف والأعيان إلى بلاده (1) , وقد كافأه هولاكـو بإعـادة بعض الحصون والمدن ممن كانت بأيدي المسلمين مثل اللاذقية , وحصلوا على بعض الغنائم (2) .

في أعقاب هذا التعاون الكبير, توطدت العلاقة بين الدولة الأيلخانية, والإمـارة الأرمنية , فقد قام الملك هيثوم بزيارة إلى هولاكو سنة 662هـ/ 1263م ,اسـتطاع الأخير أن يفيد من هذه العلاقة بالتأكيد على الإمارة الأرمنيـة بمـسـألة اسـتمرار الحصار الاقتصادي المفروض على دولة المماليك التي أصبحت العدو اللدود للدولة الأيلخانية بعد سيطرتها على بلاد الشام (3).

على أن الملك هيثوم لم يجازف بتنفيذ متطلبات الحصار على المماليك بحـسب ما ذكره ابن العبري حيث " **خاف ملك الأرمن من المغول فلم يجب إلى ذلك** " (4) فان بلاده تعرضت إلى هجوم مملوكي سنة 665هـ/1266م انزلوا بـه وبقواتـه هزيمة كبرى,بل قتل احد أبناءه واسر الآخر، وهو الأمير ليون (5)

استفادت الدولة الأيلخانية في عهد أباقا خان (664-681هـ/ 1265-1282م) من هذا الحدث , واستطاعت أن تكسب مشاركة الملك ليو الثالث ابن هيثوم في حملة جديدة نحو بلاد الشام سنة 666هـ/ 1267م (6) , إلا أن المغـول هزمـوا أمـام المماليك (7) .

---

(1) بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص 48

(2) رنسيمان , تاريخ , ج3 , ق2 , ص 526

(3) ابن العبري , مختصر الدول , ص285

(4) المصدر نفسه , ص285

(5) الكاتب، شافع بن علي, الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنـصور سـيف الـدين قلاوون , د.ط , د.ن , د. ت , ص54 ؛ بيبـرس المنـصوري , زبـدة الفكـرة , ص196 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج30 , ص23-24 ؛ المقريـزي , الـسلوك , ج1 , ق3 , ص249 ؛ العيني , عقد الجمان , ج1 , ص384 ؛ ابن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج7 , ص140

(6) بيبرس المنصوري , مختار الأخبار , ص 32 ؛ Setton , a history of the crusades , vol ,II , p . 578

(7) النويري , نهاية الأرب , ج30 , ص165

وقد أدى فشل الحليفين ؛ الايلخاني والارمني , إلى تحول في سياستيهما نحـو منحى آخر , ذلك أن الأيلخان أباقا أدرك أن الحملات الحربية ضد المماليك لم تحقق أهدافها , فآثر الاتجاه نحو مسالمتهم , كما أن وجود بعض أفراد الأسرة الارمنيـة أسرى لدى المماليك , كان مبررا كافيا لانسجام مملكة أرمينية مع السياسة الايلخانية الجديدة , لذا فقد استجابت إلى ما كلفها به الأيلخان أباقا للعب دور الوسيط في تحقيق صلح مع المماليك .

ويبدو أن المماليك كانوا إلى جانب هذا التـوجه , نظرا لوجود أفراد خـارجين عليهم لدى المغول , وخاصة الأمير سنقر الأشقر حيث كانوا راغبيـن باستعـادة هؤلاء .

قام الملك هيثوم الذي كان قد ترك حكم المملكة الارمنية لابنه ليو الثالث سـنة 666هـ/1267م , بهذا الدور نيابة عن الدولة الايلخانية وعن مملكته ([1]) .

وقد نقل ابن العبري جانبا من مفاوضاته مع المماليك , وردهم عليه بخـصوص ما طلبه منهم , وأنهم أجابوه بقولهم " **.. فلو أراد هيثوم أن نطلـق سـراح ابنـه ليون, فليطلب من المغول أن يطلقوا سراح سنقر الأشقر حتى نترك ابنـه فـي مقابله** " ([2]) , وان يتنازل ملك الأرمن مقابل ذلك عن حـصون ؛ دربـساك([3]) , وبهنسا([4]) , ومرزبان , وشبح الحديد , ورعبان, والرزب ([5]) .

ظلت السياسة الخارجية للدولة الايلخانية تجاه مملكة أرمينية حريـصة علـى إبقائها حليفة لها , وكان من ابرز مظاهر ذلك خلال الحقبة التي أعقبت وفاة الأيلخان أباقا:

([1]) بيبرس المنصوري , مختار الأخبار , ص37 ؛ التحفة الملوكية , ص65

([2]) ابن العبري , مختصر الدول , ص286 ؛ بيبرس المنصوري , زبدة الفكـرة , ص115 ؛ ابن الوردي , تاريخ , ج2 و ص313 ؛ العيني , عقد الجمان , ج2 , ص31

([3]) قلعة مرتفعة في الشام. انظر أبو الفدا , تقويم البلدان , ص261

([4]) قلعة حصينة قرب حلب. انظر أبو الفدا , تقويم البلدان , ص265

([5]) بيبرس المنصوري , مختار الأخبار, ص 37 ؛ كرد علي ، محمد, خطـط الـشام , ط2 , د.ن , بيروت 1969م , وسيشاراليه تاليا , كرد علي , خطط الشام , ج2 و ص114

1- استقبال الأيلخان محمود غازان (695-704هـ/ 1295-1304م) للملك هيثوم سنة 695هـ/ 1295م في بلاطه وقبوله لهداياه وتقديره لقدومه " **مؤديا الخضوع وموافيا للنهوض بخدمة من يستوي على عرش**" ([1]) الدولة الأيلخانية .

2- استجابة الأيلخان محمود غازان لالتماس الملك هيثوم بإبقاء الكنائس التي كان قد أمر بهدم ما هو موجود منها في دولته , واصدر أوامره بإبقاء الأمر على ما هو عليه ([2]) .

3- انسحاب مملكة أرمينية من صلح كانت قد عقدته مع المماليك, ووقوفها إلى جانب الأيلخان محمود غازان في غزوه لبلاد الشام سنة 699هـ/ 1299م ([3]) .

ومع أن العلاقة الايلخانية الارمنية توترت في عهد الأيلخان اولجايتو خدابنده (704-716هـ/ 1304-1316م) الذي شن حملة عسكرية على مملكة أرمينية سنة 705هـ/1305م , أراد بها إلزام المملكة الارمنية بتعهداتها المالية له ([4]) , بل دبر بعد سنتين من هذا التاريخ لقتل الملك هيثوم , ونفذ ذلك وهو في ضيافته سنة 707هـ/ 1307م([5]) إلا أن العلاقات بين الطرفين ظلت ايجابية حتى سقوط الدولة الايلخانية سنة 736هـ/1335م([6])

من ابرز المفارقات في هذه العلاقة قيام الأيلخان بوسعيد (716-736هـ/ 1316-1335م) سنة 723هـ /1323م, بالتوسط لدى المماليك الذين كان قد تحالف معهم , لحل المشكلات العالقة بينهم وبين مملكة أرمينية , وقد أشار النويري

([1]) ابن العبري , تاريخ الزمان , ص377

([2]) المصدر نفسه , ص377

([3]) أبو الفدا , المختصر , ج4 , ص36

([4]) المقريزي , السلوك , ج2 , ق1 , ص17

([5]) المصدر نفسه ، ج2 , ق1 , ص38 ؛ العيني , عقد الجمان , ج4 , ص458

([6]) بيبرس المنصوري , التحفة الملوكية , ص183 ؛ العيني , عقد الجمان , ج4 , ص458

إلى ذلك ، فقال انه سأل في " **أمر الأرمن والشفاعة فـيهم** " ([1]) , وان المماليـك استجابوا لذلك وتقرر الصلح على أن يدفع الأرمن الجزية , وان يمتنعوا عن عمارة ثغر إياس([2]), لكي لا يتخذ موقعا للاعتداء على القوات المملوكية ([3])

ذلك ما كانت عليه السياسة الخارجية تجاه القوى السياسية فـي العـراق واسـيا الصغرى .

([1]) النويري , نهاية الأرب ، ج33 , ص46

([2]) بلدة على ساحل البحر المتوسط . انظر أبو الفدا , تقويم البلدان , ص249

([3]) النويري، نهاية الأرب ، ج33 , ص46

الفصل الثاني

السياسة الخارجية للدولة الايلخانية تجاه القوى المغولية الأخرى

654 - 736هـ/1256 - 1335م

1.2 السياسة الخارجية للدولة الايلخانية

تجاه القبيلة الذهبية في عهد هولاكو.

ترجع علاقة هولاكو بأبناء عمومته من حكام القبيلة الذهبية ([1]) إلى ما قبل قيام الدولة الايلخانية سنة 654هـ/ 1256م , إذ بدأت العلاقة في إطارها العام ايجابية, فقد كان مغول القبيلة الذهبية من أوائل من أرسلوا بقواتهم العسكرية مع بداية تحرك هولاكو نحو إيران , في حملته الشهيرة على المشرق الإسلامي سنة 651هـ 1253م ([2]) , كما أرسلوا كبار قادة وأمراء الاويراتية , وعددا من الأمراء من الأسرة الحاكمة إلى إيران للمشاركة في غزو العراق ([3]) على الإسماعيلية سنة 651هـ 1253م ([4]) .

إلا أن ذلك تزامن مع عوامل مناقضة لهذه العلاقة الطيبة ، ومهد إلى توترها وتحولها إلى حالة من العداء بل والصدام العسكري .

ولعل أول تلك العوامل التباين في النظرة إلى الخلافة العباسية بين دولة القبيلة الذهبية من جهة ، وهولاكو من جهة أخرى , فقد قام الأخير بتوجيه حملات على

([1]) انظر هامش رقم (1) , ص 19

([2]) بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص11

([3]) أبو شامة , الذيل , ص20 ؛ الهمذاني , جامع التواريخ , مج 2 , ج2 , ص 123 ؛ بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص11 ؛ التحفة الملوكية , ص52 ,ابن كثير , البداية , ج, 13 , ص249 , النويري , نهاية الأرب , ج, 30 , ص38 , رنسيمان , تاريخ , ج3 , ق 2 , ص550 , بارتولد , تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي , ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم , ط1 , المجلس الوطني للثقافة والفنون , الكويت 1981 , ص 702 وسيشار إليه تاليا : بارتولد , تركستان

([4]) بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص11

بلاد الخلافة العباسية في العراق ابتداء بسنة656هـ/1258م , وهو ما لم يقبله احد ابرز أمراء القبيلة الذهبية آنذاك الأمير بركة([1]) ، الذي كان على علاقة حميمة مع الخليفة العباسي المستعصم .

وقد عبر عن موقفه في رسالة بعث بها إلى أخيه باتو ([2])، الذي كـان يتـولى الحكم آنذاك ، جاء في هذه الرسالة قوله : " **إننا نحن أقمنـا منكـو خـان** [أي : أسهمنا في إيصاله إلى عرش الإمبراطورية المغولية] **، وما جزاؤنا منه** [ويقصد به:هولاكو] **انه يكافينا ؟ بالسوء في أصحابنا وينقض عهدنا , ويخفـر ذمتنـا , ويتعرض إلى ممالك الخليفة , وهو صاحبي بيني وبينه مكاتبات وعقـود مـودة , وفي هذا ما فيه من القبح** " ([3]) .

وقد أعقب ذلك بعد وفاة الأمير باتو سنة 654 هـ/1256م وحصول تنـافس بين المتطلعين لعرش القبيلة الذهبية ، استنجاد أميرة مغولية بهولاكو لكي يـساعدها في إيصال ابنها إلى العرش ([4]).

قبل هولاكو رجاء الأميرة وسار بجيوشه فدخل إلى أراضي القبيلـة الذهبيـة واصطدم بعساكر ابرز مناهضي الأميرة المشار إليها وهو الأمير بركة خـان ، إلا انه فشل في تحقيق هدفه وعاد أدراجه ، ويبدو أن هولاكو كان يخطط وراء ذلك إلى

([1]) هو بركة بن باتو بن دوشي بن جنكيزخان , ابن عم هولاكو , تولى عرش ايلخانية القبيلة الذهبية بعد وفاة أخيه طرطو , أول من اعتنق الإسلام على يد الشيخ شمس الدين الباخوري على المذهب السني، وهذا دفع القبيلة الذهبية التحول إلى الإسلام, توفي سنة 665هـ/ 1266م انظر : بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص 108 ؛ أبو الفدا , المختصر , ج2 , ص334 ؛ الذهبي , العبر , ج3 , ص312 ؛ الصفدي , الوافي , ج10 , ص117 ؛ ابن خلدون , تـاريخ , ج5 , ص362 ؛ العيني , عقد الجمان , ج1 , ص362 ؛ ؛ابن تغري بردي , الـدليل الـشافي , ج1 , ص189

([2]) هو الابن الثاني لجوجي خان حاكم القبيلة الذهبية , ولد في مستهل القرن الثالـث عـشر توفي سنة 625هـ/ 1227م , انظر : دائرة المعارف الإسلامية , مج ,3 , ص254

([3]) ابن فضل ا , مسالك الأبصار , ج3 , ص 80 - 90

([4]) أبو شامة , الذيل , ص220 ؛ بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص14 , 17 ؛ التحفـة الملوكية , ص37 ؛ ابن خلدون , تاريخ , ج5 , ص517

أن يكون له نفوذ في دولة القبيلة الذهبية، وهو ما صـرح بـه المـؤرخ بيبـرس المنصوري (ت725هـ/1324م) فقد ذكر أن مناصرته للأميرة المغولية إنمـا جاء " **رجاء أن يكون له نصيب في الأمر** " ([1]) , وقد أعقب ذلك استجابة هولاكـو سنة 652هـ/ 1254م .

في ضوء هذه الأحداث واثر قيام الدولة الأيلخانية سـنة 654هـ ـ/1256م ، ووصول الأمير بركة خان إلى عرش القبيلة الذهبيـة فـي الـسنة التاليـة (655 هـ/1257م) كان متوقعا أن تزداد العلاقة توترا , وقد ساعد على ذلك , بل كان أساسا فيه إصدار الخاقان قوبيلاي فرمانا اقتطع بموجبـه بـلاد آران وأذربيجـان ومدينتي مراغة وتبريز التي كانت تابعة لمغول القبيلـة الذهبيـة , وإدماجهـا مـع ممتلكات الدولة الايلخانية([2]) , مما أثار بركة خان وبخاصة أن البلاد المشار إليها كانت من حقه استنادا إلى قوانين الياسا ([3])، التي كانت دسـتور المغـول الـذي يفترض ألا يحيدوا عنه .

وقد أعقب هذا قيام هولاكو بقتل رسل بركة خان الذين قدموا إليـه للمطالبـة بحقهم من الغنائم التي حصل عليها هولاكو جراء حروبه في إيران وغيرهـا مـن البلاد ([4]) , أي انه رفض تنفيذ حق تضمنته قوانين الياسا لمغول القبيلة الذهبيـة , مما يعني أنه كان يريد لهذه العلاقة أن تسير في هذا الاتجاه , وربمـا هـدف وراء تأزيم الموقف مع القبيلة الذهبية مهاجمتها والسيطرة عليها وخلق مبررات تسوغ له ذلك .

([1]) بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص 56 ؛ التحفة الملوكية , ص 37

([2]) بارتولد , العـالم الإسـلامي , ص50 , تركـستان , ص702 ؛ Robert Irwin , the middle east , p . 51

([3]) كلمة مغولية تعني السياسة وهي قوانين وضعها جنكيزخان وقررها ورتب لهـا أحكامـا وحدودا من ذهنه, مخالفة لقوانين الشريعة الإسلامية وأمر أن تتوارث ويتعلمها أعقابه منهـا أن من زنا قتل ومن اطعم أسير قوم قتل انظر : النويري , نهاية الأرب , ج32 , ص232

([4]) Robert Irwin, The Middle East, p. 51

وثمة إشارات إلى اتهامات كان كل طرف يوجهها للآخر، فقد اتهم هولاكو بأنه أرسل أميرا مغوليا إلى بلاط بركة خان لكي يدس السم له ولبعض أمرائه([1]) , كما اتهم هولاكو مغول القبيلة الذهبية بأن لهم علاقة بالإسماعيلية وأنهم اتفقوا معهم لقتله ([2]) . وسواء صحت هذه الاتهامات أم لم تصح فإنها جاءت تبريرا لسياسة هولاكو العدائية تجاه القبيلة الذهبية .

إن هذا ما جعل كلا من هولاكو وبركة خان , يتأهبان لمرحلة جديدة من الانقضاض ؛ كل على الآخر، فقد أخذا يستعدان عسكريا ، وشرعا يشكلان تحالفات مع القوى السياسية في المنطقة بما يرجح احدهما على الآخر.

اتصل بركة خان بدولة المماليك البحرية بهدف التعامل معها , بل انه أوعز لقواته التي سبقت الإشارة إلى أنها أرسلت إلى هولاكو لمشاركته في غزو إيران والعراق بالتوجه نحو مصر, حيث استقبلها السلطان المملوكي الظاهر بيبرس بترحاب كبير ([3]) , كما أرسل بركة خان رسالة إلى السلطان المملوكي طلب فيها النجدة على هولاكو جاء فيها : " **.. أن جميع ما فعله هولاكو من إتلاف النفوس بطريق العدوان منه , وأنني قمت أنا وإخوتي الأربعة بحربه من سائر الجهات لإقامة منار الإسلام , والتمس إنفاذ جماعة من العسكر إلى جهة الفرات لامساك الطريق على هولاكو ..** " ([4]) .

([1]) ابن خلدون , تاريخ , ج5 , ص517 ؛ بارتولد , تركستان , ص702

([2]) ابن فضل ا , مسالك الأبصار , ج3 , ص80 ؛ القلقشندي ، احمد بن علي, صبح الأعشى في صناعة الانشا ,شرحه وعلق عليه محمد حسين شمس الدين . د.ط , دار الفكر للطباعة والنشر , د. ت . ج4 , ص314 وسيشار إليه تاليا : القلقشندي , صبح الأعشى

([3]) أبو شامة , الذيل , ص220 ؛ بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص85 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج30 , ص38 ؛ العيني , عقد الجمان , ج1 , ص364

([4]) النويري , نهاية الأرب , ج30 , ص54

أما هولاكو فقد عمق هو الآخر علاقاته مع القوى السياسية في المنطقة كإمارة أرمينية الصغرى, والإمارات الفرنجية في الساحل باعتبارهم العدو التقليدي للمماليك ([1])

من الواضح أن سياسة هولاكو الخارجية هذه ، تجاه القبيلة الذهبية كانت مؤهلة للبقاء في مرحلة من التصادم بفعل تناقض المصالح بين الدولتين , وهو ما حصل سنة(660 هـ/ 1261 م فقد اصطدم جيشاهما في معركة على مقربة من نهر آمد هزم فيها الجيش الايلخاني ([2]) .

ويبدو أن أعداد القتلى من الطرفين كان كبيرا. قد عقب بركة خان على ما حصل من قتل للمغول من الطرفين بقوله : " **يعز علي أن يقتل المغول بعضهم بعضا** " كما حمل هولاكو مسؤولية ذلك فقال : " **ولكن كيف الحلة فيمن غير سنة جنكيزخان** " ([3]) .

وقد أراد بركة خان أن يعزز انتصاره على هولاكو فكتب إلى السلطان المملوكي الظاهر بيبرس يحدثه عن انتصاره عليه ويذكره برابطة الإسلام التي تربطهما ويدعوه إلى توجيه ضربة مشتركة إليه .جاء في هذه الرسالة:" **فليعلم السلطان أنني حاربت هلاوون** [أي هولاكو] **الذي من لحمي ودمي لإعلاء كلمة الله العليا تعصبا لدين الإسلام لأنه باغي , والباغي كافر بالله ورسوله** " ،([4]) مشجعا له على توجيه العساكر لاستعادة بغداد .

([1]) بارتولد , العالم الإسلامي , ص51 ؛ هلال , العلاقات , ص105

([2]) أبو شامة , الذيل , ص219 ؛ بيبرس المنصوري , التحفة الملوكية , ص37 ؛ النويري , نهاية الأرب ,ج30 , ص38 ؛ لذهبي , العبر , ج3 , ص301 ؛ ابن كثير , البداية , ج13 و ص239 ؛ ابن خلدون , تاريخ , ج5 و ص517 ؛ الديار بكري ، حسين بن محمد بن الحسن, تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس , دار صادر , مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع , بيروت , د. ت ,ج2, ص379 , وسيشار إليه تاليا : الديار بكري , تاريخ ؛ العماد الحنبلي , شذرات , ج5 , ص300

([3]) ابن كثير , البداية , ج13 و ص239

([4]) المصدر نفسه , ج1 , ص360

تلك هي الصورة عن واقع العلاقة بين الدولة الايلخانية ودولة مغول القبيلة الذهبية في عهد هولاكو وتلك هي سياسته تجاهها وهو مـا كـان علـى خلفـه الأيلخان أباقا أن يحدد موقفه منه .

السياسة الخارجية للدولة الأيلخانية

تجاه القبيلة الذهبية في عهد أباقا خان.

تعرضت الدولة الأيلخانية في عهد أباقا خان إلى هجمات متعددة مـن القبيلـة الذهبية مما اثر سلبا على خططها لاستعادة بلاد الشام من أيدي المماليك , وعليه فقد اتخذت سياسة أباقا تجاه القبيلة الذهبية منحيين هما :

أولا: اعتماد سياسة هجومية.

استهل الأيلخان أباقا خان حال توليه عرش الدولة الايلخانية بشن هجوم علـى مغول القبيلة الذهبية أواخر سنة 663 هـ/ 1264م ([1]) , علـى كـل مـن آران ومناطق أذربيجان حيث الحقت بجيش بركة خان هزيمة ساحقة .([2])

ومع أن الأيلخان أباقا خان حقق نصرا في هذه المعركة فانه على ما يبدو شعر بقوة ضغط القبيلة الذهبية على بلاده ، فلجأ في السنة التالية إلى بناء سد في منطقـة الدربند لمنع دخول رجالها إلى بلاده ([3]) , وقد أشار إلى ذلك رشيد الدين الهمذاني فقال : " **أمر أباقا جنوده فأقاموا سدا من ذالان ناوور ؟ إلى سهل كرومان المتصل**

([1]) رشيد الدين , جامع التواريخ , م2 , ج2 , ص14 ؛ بيبرس المنصوري , التحفة الملوكية , ص54 ؛ ابن كثير , البداية , ج13 , ص245 ؛ ابـن خلـدون , تـاريخ , ج5 , ص517 ؛ رنسيمان , تاريخ , ج3 , ق2 , ص548

([2]) الهمذاني , جامع التواريخ , م2 , ج2 , ص125 ؛ بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص 100 ؛ العيني , عقد الجمان , ج1 , ص417

([3]) الهمذاني , جامع التواريخ , م2 , ج2 , ص 14 ؛ بارتولد ، دائرة المعارف الإسلامية, ج1 , ص15؛ رنسيمان , تاريخ , ج3 , ق2 , ص548

بوادي كر , وحفروا خندقا عميقا وعينوا جماعة من المغول والمـسلمين [ممـن عملوا إلى جانب المغول] **للمحافظة عليه** " ([1]) .

ثانيا: اعتماد سياسة التقارب

شكل غياب بركة خان زعيم القبيلة الذهبية اثـر وفاتـه سنـة 665هـ/ 1266م([2]) , وتولي منكو تمر (666 – 679هـ/ 1267 – 1280م) ([3]) مكانه ، تحولا في العلاقات الايلخانية مع مغول القبيلة الذهبية , فقد بادر منكو تمـر مـع السنة الأولى لتوليه الحكم إلى إرسال رسل من قبله إلى الأيلخـان أباقـا محملـة " **بأنواع التحف والهدايا** " ([4]) , ويبدو أن منكو تمر أدرك عدم جدوى الحرب مـع الايلخانيين فلجأ إلى عمل ، على غرار ما فعله أباقا خان ، وبنى سورا على طـول النهر الذي يفصل بين الدولتين ليمنع وصول القوات الايلخانية إلى أراضـيه ([5]) , وقد ظل منكو تمر معتمدا هذه السياسة طوال فترة حكمه , بل انه أرسل رسالة إلى الأيلخان أباقا خان سنة 679هـ/ 1280م يؤكد فيها علاقـات الصداقة ([6])

ومهما يكن من أمر فان السياسة الخارجية للدولة الأيلخانية تجاه القبيلة الذهبية في عهد الأيلخان أباقا , ظلت تجنح نحو السلم , باستثناء بعـض الأحـداث التـي حصلت آخر عهده , وهي هزيمة جيش منكو تمر أمام الجيش الايلخاني على نهـر اللور ([7]) .

([1]) الهمذاني , جامع التواريخ , م2 , ج 2, ص14

([2]) بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص228 ؛ التحفة الملوكية , ص 6 , ابن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج7 , ص194

([3]) هو منكو تمر بن طغان بن باتو خان بن دوشي بن جنكيز خان انظر : الصفدي , الوافي , ج10 , ص118 ؛ ابن خلدون , تاريخ , ج5 , ص517

([4]) الهمذاني , جامع التواريخ , م2 , ج2 , ص56

([5]) المصدر نفسه , ج10 , ص118

([6]) الصفدي , الوافي , ج10 , ص118

([7]) المصدر نفسه , ج10 , ص118

سياسة الدولة الأيلخانية تجاه القبيلة الذهبية منذ عهد احمد تكودار وحتى سنة 736هـ/ 1335م .

بدراسة العلاقات التي قامت بين الدولة الأيلخانية ومغول القبيلة الذهبية خـلال عهود كل من الأيلخان احمـد تكـودار (681 -683 هـ ـ/ 1282- 1284م) , وأرغون (683 – 690هـ/ 1284 – 1291م) , وكيخـاتو (690 – 695هـ ـ/ 1291 -1295م) , و بايدو (695هـ ـ/1295م) , و محمـود غـازان (695 – 704هـ/ 1295 – 1304م) , واولجايتو خدابنـده (704 – 716هـ ـ/ 1304 – 1316م) , وبوسعيد (716 – 736هـ/ 1316 – 1335م) , يتضح أن الـسياسة الأيلخانية تجاه مغول القبيلة الذهبية ظلت تجنح نحو التصالح , علـى الـرغم مـن تحركات الطرف الآخر النشطة لإقامة تحالفات عدائية ضدهم , ونعني بذلك : قيام تودان منكو ، خان القبيلة الذهبية سنة 682هـ ـ/ 1283م بإرسـال سـفارة إلـى السلطان المملوكي المنصور قلاوون بهدف تشكيل حلف معـاد للايلخـانيين ([1]) , يستثنى من ذلك أن الدولة الأيلخانية في هذه الحقبة ردت بقوة على أي تجاوز لهـذه السياسة , يتضح هذا مما يلي :

أولا : رفض الأيلخان غازان تهديد القبيلة الذهبية فيمـا يخـص طلـب ممتلكاتهم المتنازع عليها في آران , وأذربيجان ([2]) , ومراغـة , وتوريـز ([3]) وكان مما أرسلوه في رسائلهم إلى الأيلخان غازان بطلب هذه المناطق إن " **هـذه**

([1]) الحجي ، حياة ناصر, العلاقات بين دولة المماليك ودولة مغول القفجاق في الفترة ما بين (658- 741 هـ/ 1269- 1341م) , حوليات كلية الآداب , جامعة الكويت , الحولية الثانية , الرسالة الثامنة , 1982م , ص14 وسيشار إليه تاليا : الحجي , العلاقات

([2]) Bertold Spuler , Ilkhans ,The Encyclopedia Of Islam , new edition , vol III , London 1979 , p . 1122

([3]) ابن فضل ا , مسالك الأبصار , ج3 , ص126

حبوس أبينـا فتحتها سيوفهم , وهي لنا , وحقنا بالإرث عنـهم , فأعطنا حقنا ؟ " ([1]) .

كان رد الأيلخان غازان برفض هذا الطلب قائلا : " **أنا مـا أخـذت الملـك إلا بالسيف لا بالميراث , وما أخذته وحزته بسيفي ، توريز ومراغة , بيني وبيـنكم السيف فيها** " ([2]) .

ثانيا : قيام الأيلخان محمود غازان بصد هجوم قام به , خان القبيلة الذهبية طقطا ([3]), وتمكنه من هزيمته سنة 697هـ/ 1297م ([4]) .

ثالثا : إفشال الأيلخان محمد خدابنده محاولة مغول القبيلة الذهبيـة إقامـة تحالف مع المماليك ضده بالمسارعة إلى عقد صلح معهم . ذلك أن طقطا خـان كان قد أرسل إلى السلطان المملوكي حسام الدين لاجين رسالة جاء فيهـا " **.. إننا قد سيرنا إلى خدابنده نطلب منه من خراسان إلى تبريز , وقد عزمنا على الركوب إليه , فتجمع عساكرك وتدخل من قبلك , ونحن من قبلنا ونجتمع أنـا وأنت على طردهم من البلاد ونكون نحن وانتم يدا واحدة , وحيثمـا وصـلت خيلنا من البلاد فهو لنا , وحيث ما وصلت خيلكم من البلاد فهو لكم ..** " ([5]) ، إلا أن السلطان لم يستجب لما طلبه وأجابه برسالة ورد فيها إعلامه " **أن الصلح**

([1]) ابن فضل ا , مسالك الأبصار , ج3 , ص126

([2]) المصدر نفسه , ج3 , ص126

([3]) هو طقطا بن منكو تمر بن طغان بن باتو خان بن جنكيز خان , تولى عرش القبيلة الذهبية وعمره سبع سنين , توفي سنة 716هـ/ 1316م انظر : الذهبي , ذيول العبر , ج4 , ص35 ؛ الصفدي , الوافي , ج16 , ص469 ؛ ابن تغري بردي , الدليل الشافي , ج1 , ص367

([4]) المقريزي , السلوك , ج1 , ق3 , ص841

([5]) ابن أيبك ، عبدا الدواداري , كنز الدرر وجامع الغرر , الدر الفاخر في سـيرة الملـك الناصر , تح : هانس روبرت رويمر , مطبعة سـامي الخـانجي , القـاهرة 1960م , ج8 , ص281 وسيشار إليه تاليا : ابن أيبك , كنز الدرر ؛ المقريزي , السلوك , ج1 , ق2 , ص28 ؛ العيني , عقد الجمان , ج4 , ص246 ؛ ابن سباط , تاريخ , ج2 , ص586

قـد وقع مع خدابنده , ولا يليـق نقضـه , وان حـدث غيـر ذلـك عمـل بمقتضاه " ([1]) .

رابعا : قيام الأيلخان محمد خدا بندة بصد هجوم للقبيلة الذهبية قامت به سنة 713هـ/ 1313م ([2]) .

يبدو أن الأيلخان خدابنده كان واثقا من أن ميزان القوة أصبح لصالحه بعد تحالفه مع المماليك , حتى انه خاطب مجموعة من جندهم معبرا عن ثقتـه بهـم وبنفسه فقال : " **انتم وحدكم اخذ بكم بلاد بركة** [باعتبار أن بركة خـان كـان سبب هذا الصراع] **, وافتح بكم إلى آخر المشرق** " ([3]) .

غير أن الدولة الايلخانية التي ظلت في سياستها تنحو منحى المواجهة والتـصدي لمغول القبيلة الذهبية منذ عهد الأيلخان هولاكو, بدت في عهد آخر الايلخانات ؛ بوسعيد تتبنى موقف الدفاع عن نفسها أمام هجمات عديدة لمغول القبيلة الذهبية , والتي مكنتها من احتلال أجزاء كثيرة منها , إذ توغلـت جيوشـها ([4]) عبـر الدربند , واتسع تغلغلها حيث يقول ابن خلدون (ت808هـ/1405م) متحـدثا عن تراجعها بقوله : " **استولى على أكثرها** [أي الدولة الايلخانية] **ملك الشمال** [أي : حاكم القبيلة الذهبية] **اوزبك** ". ([5]) , ولم ينقذ الدولـة الايلخانيـة مـن استمرار هذا التغلغل إلا عقدها صلحا جديدا مـع المماليـك سـنة 720هـ ـ/ 1320م فقد أفاد الأيلخان بوسعيد من هذا الصلح وأرسل بعد سنتين مـن هـذا

([1]) ابن أيبك , كنز الدرر , ج8 , ص128 ؛ المقريزي , السلوك , ج1 , ق2 , ص28 العيني , عقد الجمان , ج4 , ص246

([2]) ابن أيبك , كنز الدرر , ج8 , ص 280 ؛ ابن خلدون , تاريخ , ج5 , ص531

([3]) ابن أيبك , كنز الدرر , ج8 , ص273

([4]) هو اوزبك بن طقطا خان القبيلة الذهبية , تولى الحكم بعد وفاة والـده , اعتنـق الإسـلام وصاهر السلطان المملوكي الملك الناصر محمد , توفي سنة 742هـ/ 1341م انظر : الصفدي , أعيان العصر وأعوان النصر , تح: علي أبو زيد زنبيل أبو عمشه , ط1 , دار الفكر , دمشق 1998م , ج1 , ص155 وسيشار إليه تاليا : الصفدي , أعيان العصر

([5]) ابن خلدون , تاريخ , ج5 , ص534

التاريخ ، حملة بقيادة الأمير المغولي جوبان ([1]) , انتهت إلى عقد صـلح بـين الطرفيين المغوليين ، إلا أنها مع ذلك لم تستطع استرجاع مـا كانـت القبيلـة الذهبية قد استولت عليه من قبل وقد كان آخر ما قام بـه الأيلخـان بوسـعيد ، توجهه على رأس حملة لتحقيق هذا الهدف , إلا انه لم يوفق فقـد تـوفي أثنـاء تحركه سنة 736هـ/1335م لتنتهي مع موته الدولة الايلخانية ([2]) .

مما سبق ذكره يتضح أن السياسة الخارجية للدولة الايلخانية تجاه مغـول القبيلة الذهبية ، فشلت في تحقيق أهدافها ومع أنها كانت قد ضمت بعض أراضي القبيلة الذهبية واحتفظت بها في بداية تأسيسها, إلا أنها خسرتها مع الكثير مـن أراضيها أواخر أيامها إبان عهد الأيلخان بوسعيد.

([1]) هو أمير مغولي ناب عن الدولة الايلخانية في عقد الصلح مع المماليك بين الأيلخان بوسعيد والسلطان المملوكي الناصر محمد , انشأ مدرسة بالمدينة المنورة, قتلـه دمـشق خواجـا سـنة 683هـ/ 1284م منع السلطان الناصر دفنه في المدينة وأمر بدفنه في البقيع انظر : الصفدي , الوافي , ج11 , ص220 ؛ أعيان العصر , ج2 , ص169؛

([2]) Bertold Spuler , Ilkhans ,The Encyclopedia Of Islam, vol III , p . 1122



خريطة توضح حدود دولة مغول القبيلة الذهبية ، عن Wikipedia,The Free: Encyclopedia

2.2 سياسة الدولة الايلخانية تجاه مغول جغتاي .

قامت ايلخانية جغتاي بين نهر جيحون ومنغوليا ؛ أي بين المنطقة الواقعة بين نهر بلاد الايغور وحتى مدينة سمرقند ([1]) مجاورة للدولة الايلخانية في حدودها الشرقية .

وقد أخذت هذه الايلخانية اسمها من مؤسسها الأمير جغتاي بن جنكيز خان الذي كان قد خوله حكمها , ثم بقيت من بعده بيد أولاده . ([2])

تحددت السياسة الخارجية للدولة الأيلخانية تجاه ايلخانية جغتاي بالمشكلات التي نجمت عن ادعاء كل منهما بحقه في بعض المناطق في بلاد ما وراء النهر ، حيث الحدود المشتركة بينهما , وقد رفضت الدولة الأيلخانية قرار الخاقان قبلاي ([3]) بمنح بلاد تركستان لحاكم ايلخانية جغتاي بايدو الذي بادر على الفور بغزو خراسان ونيسابور وضمهما إلى ايلخانيته ([4]) .

وقد تبادل الأيلخان أباقا مع الأمير براق([5]) الرسائل بصدد معالجة هذه الإشكالية وقدم له بدائل عما سبق أن استولى عليه, فعرض عليه منطقة كرمان إلا أن الأخير

([1]) بارتولد , العالم الإسلامي , ص85 ؛ القزاز , الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية , ص456

([2]) ابن خلدون , تاريخ , ج5 , ص514

([3]) هو قبلاي بن تولي خان بن دوشي بن جنكيز خان , تولى عرش القبيلة الذهبية بعد وفاة أخيه منكو تمر توفي سنة 695هـ/ 1295م بخان بالق ببلاد الخطا انظر : الهمذاني , جامع التواريخ (خلفاء جنكيز خان) , ص237 ؛ ابن تغري بردي , الدليل الشافي , ج2 , ص533

([4]) بارتولد تركستان , ص700 , القزاز , الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية , ص457

([5]) هو براق بن بيسون توا بن مواتوكان بن جغتاي انظر عنه : الهمذاني , جامع التواريخ (خلفاء جنكيز خان) , ص140

لم يقبل بهذا العرض مما أدى إلى اصطدام الطرفين سنة 668هـ ـ/ 1270م [1] حيث كان النصر للايلخان أباقا خان .

ومع أن الأمير براق أوفد في السنة ذاتها احد رجاله , وهو الأمير مسعود إلى بلاط الأيلخان أباقا لإيجاد حلول للمشكلات بينهما , فقد شك الايلخانيون في أسـباب قدومه الفعلية وأحسوا انه إنما جاء بهدف التجسس والتعرف على الوضع الايلخـاني من الناحية العسكرية [2] , مما جر الطرفين إلى الحرب ثانية , حيـث اصـطدم جيشاهما في السنة نفسها , وألحقت الهزيمة بجيش براق [3] .

إن هذا ما جعل السياسة الايلخانية تتحرى الاسـتمرار بالمواجهـة والتـصدي لايلخانية جغتاي , فقد تجددت الحرب بينهمـا فـي عهـد الـسلطان نفـسه سـنة 670هـ/1271م [4] , ثم سنة 671هـ/1272م [5] , وقد وقع خلال ذلك بعض أمراء جغتاي أسرى لدى الايلخانيين[6], وظل التوتر قائما فـي عهـد الأيلخـان أرغون (683- 690هـ/ 1284- 1291م) وبخاصة بعد تعرضه لمحاولة اغتيال من قبلهم [7] .

---

(1) Percy Sykes , History of Persia , third edition , , vol , ii , p . 101 , London 1963 .

(2) القزاز , الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية , , ص458 ؛ إقبال، عباس, تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية , ترجمة عبد الوهاب علوب , د. ط, المجمع الثقافي , أبو ظبي 2000م , ص221 وسيشار إليه تاليا : عبـاس إقبـال , تـاريخ المغول

(3) فهمي ،عبد السلام عبد العزيز , تاريخ الدولة المغولية في إيـران , د.ط, دار المعـارف , القاهرة 1981م , ص156 وسيشار إليه تاليا : فهمـي , تـاريخ , 156 ؛ دائـرة المعـارف الإسلامية , ج1 , ص15

(4) بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص134 ؛ العيني , عقد الجمان , ج2 , ص94

(5) القزاز , الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية , ص459

(6) بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص141 ؛ العيني , عقـد الجمـان , ج2, ص116 ؛ القزاز , الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية , ص154

(7) المرجع نفسه , 459

وقد بلغ التوتر بين الدولتين المغوليتين ، حدوده القصوى في عهـد الأيلخـان محمود غازان (695- 704هـ/ 1295 -1304م) بعد قيـام ايلخانيـة جغتـاي بتوجيه حملات عدة على أملاك الدولة الايلخانية في خراسان حيـث تـصدى لهـم وأوقع بهم هزيمة سنة 699هـ/ 1299م . ([1])

ومع أن صلحا وقع سنة 705هـ/ 1305م بين الطرفين في عهـد الأيلخـان اولجايتو محمد خدابنده (704 – 716هـ ـ / 1304- 1316م) , إلا أن مغـول جغتاي استغلوا توجهه إلى غزو بلاد الشام في هذه السنة , فتوغلوا فـي أراضـي خراسان وعاثوا فيها فسادا , مما دعا إلى إرسال حملة تأديبية لطردهم منها سـنة 712هـ/ 1312م ([2])

استمر هذا الصراع حتى سقوط الدولة الايلخانية سنة 736هـ/1335م بمحاولة دولة جغتاي التغلغل في أراضي الدولة الايلخانية في خراسان ومازندران بمـشاركة مغول القبيلة الذهبية ([3]) .

أما في عهد الأيلخان بوسـعيد (716- 736هـ ـ/ 1316- 1335م) فقـد تعرضت الدولة الايلخانية في بداية عهده , إلى ثورات الدولة الجغتائية قادها الأمير يسور, بعبوره نهر جيحون وإعلان الثورة على بوسعيد , وشملت ثوراتهم خراسان ومازندران طلب الأيلخان أثرها المساعدة من الأمير جوبان , ([4]) والأميـر حـسن الجلايري ([5]) .

كان اضطراب الأحوال في الدولة الايلخانية في عهد بوسعيد سببا فـي إغـارة أمراء المغول من حكام الدولة الجغتائية في تركستان بمشاركة القبيلة الذهبية علـى

([1]) القزاز , الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية , ص460

([2]) المرجع نفسه , ص461

([3]) فهمي , تاريخ , ص223

([4]) عباس إقبال , تاريخ المغول , ص328

([5]) هو ابن عمة الأيلخان بوسعيد, ونائبه في حكم الايلخانية , استولى على بغـداد مـستغلا ضعف الدولة الايلخانية وهو مؤسس الدولة الجلائرية . انظر المقريزي , السلوك , ج2 , ق2 , ص315

إطراف الدولة الايلخانية , ومحاولاتهم المتكررة للاستيلاء على الـسلطة والعـرش الايلخاني حيث استولى الأمير سيور على خراسان ومازندان وهـزم بوسعيـد فيها ([1]) . تلك هي سياسة الدولة الايلخانية تجاه مغول الجغتاي .

([1]) فهمي , تاريخ , ص223

الفصل الثالث

السياسة الخارجية للدولة الايلخانية تجاه القوى السياسية في بلاد الشام

654 - 736هـ/1256 - 1335م

1.3 تجاه الأيوبيين في بلاد الشام.

لم يرتق الأيوبيون في بلاد الشام إلى مستوى المتغيرات السياسية التي نجمت عن غزو المغول للمشرق الإسلامي وقيام دولتهم الكبرى , إذ لم يستطيعوا تجاوز خلافاتهم وتوحيد صفوفهم لمواجهته , واثر معظمهم التواطؤ معهم من منطلق أنهم قوة مسيطرة لا يمكن الوقوف بوجهها . وقد أفادت الدولة الايلخانية من ذلك وبنت سياستها الخارجية تجاههم باستغلال أوضاعهم.

يعتبر الملك الناصر يوسف صاحب دمشق وحلب اكبر الشخصيات الأيوبية في بلاد الشام نفوذا فقد ملك بلاد الجزيرة كحران والرها والرقة ورأس عين وما معهما من البلاد وملك حمص ... ثم ملك الشام **,** وعظم شانه جدا **,** وقد كان إبان قيام الدولة الايلخانية سنة 654هـ /1256م في حالة حرب مع دولة المماليك البحرية في مصر, ويبدو انه ارتأى أن يسالم المغول ويبني علاقة ودية معهم لكي يتفرغ لغزو مصر([1]).

أمام هذا التوجه اعتمدت الدولة الايلخانية المرتكزات التالية في سياستها تجاه الناصر يوسف:

1- الترحيب بخطوة الناصر يوسف لتعميق الصلة بهم وإعطاء ولائه له

يفهم مما ذكره ابن العميد (ت672هـ/1273م) أن الملك الناصر يوسف كان على صلة بالمغول و "**يسير إليهم الهدايا والتحف في كل سنة**..." ([2]) كما أن مصادر أخرى أشارت إلى سفارة أرسلها إلى هولاكو سنة 655هـ/1257م كان على رأسها ولده الملك العزيز محمد حاملا هدية بقيمة " **ألف**

([1]) ابن دقماق , نزهة الأنام , ص254 ؛ المقريزي , السلوك , ج2 , ق1 , ص56

([2]) ابن العميد , أخبار الأيوبيين , ص 41

وخمسمائة دينار , وحياصة([1]) **مجوهرة , وسيف مجـوهر " (**[2]**) ,** ورسـالة مضمونها الشكوى من تعرض المغول لبـلاد الجزيرة وقتل من بها مـن الرعية **(**[3] **) . وقد قام** المغول بإرسال بعثة من جانبهم في السنة التالية حيث اسـتقبلها الناصر , واظهر اهتماما بها وأهداها أموالا جمة .

2- **العمل على كسب بعض الشخصيات الشامية وتوظيفها لصالحهم بشكل سري**

استطاع المغول كسب شخصيتين من كبار الأمراء المقربين من الناصر يوسـف , وهما كل من زين الدين العقربوي الذي يعرف بالزين الحافظي , فقد ذكـر ابـن العميد (ت672هـ/ 1273م) أن ممن كان في وفد الملك العزيـز قـال أن الـزين الحافظي **: " كان يتردد إلى هولاكو بمفرده وتحدث معه سرا وقد أطمعـه فـي البلاد " (** [4]**) .**

ووصف ابن العبري موقف الملك الناصر يوسف من هولاكو انه بدا " **متحيـرا خائفا مذعورا لم يدر ما يصنع** " ([5]) .

([1]) هي الحزام أو المنطقة, وهي في الأصل السير الذي يشد به حزام سرج الحـصان, أو مـا يشد على الوسط, وعرفها القلقشندي أنها من الآلات القديمة وروى أن لعلي بن أبي طالب رضي ا عنه منطقة , وذكرت في الآلات المملوكية يلبسها الأمراء عند إلباسهم الخلـع والتـشاريف وهي تختلف باختلاف الرتب مرصعة الذهب وغيره . انظر : البقلي , مـصطلحات الأعـشى , ص112

([2]) ابن العبري, تاريخ الزمان , ص314 ؛بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص43 ؛ أبـو الفدا , المختصر , ج2, ص305 ؛الذهبي , العبر ,ج3 , ص273 ؛ ابن كثير , البدايـة , ج13 , ص215 ؛ ابن خلدون , تاريخ ,ج5 , ص385 ؛ ابن دقماق , نزهة الأنام , ص242 ؛الـدويهي ,تاريخ, ص238, وكان زين الدين الحافظي من الرافضين لخروج الملك الناصر لمقابلة هولاكو بعكس الأغلبية من الأمراء. "انظر : ابن شداد , الأعلاق الخطيـرة ,ج3 ,ق2 ,ص485 ؛ ابـن العبري , تاريخ الزمان , ص314 ؛ابن دقماق , نزهة الأنام , ص256

([3]) ابن شداد , الأعلاق الخطيرة , ج1 , ق 1, ص18

([4]) ابن العميد , أخبار الأيوبيين , ص47

([5]) ابن العبري , مختصر الدول , ص278

ترجم هذا الخوف حين وصلت رسائل هولاكو له سنة 656هـ / 1258م يطلب منه تقويض القلاع وهدم الأسوار مما نصه : " **فساعة وقوفك على كتابنا تجعل قلاع الشام سماءها أرضها وطولها عرضها والسلام .** " (1)

وأمام عجز واضطراب الملك الناصر المتردد بين نصيحة زين الدين الحافظي انه " **مع ما بلغ هولاكو خروجك إليه جعله سببا إلى قصد بلادك والمصلحة اعتذارك إليه ورده** " (2) .

ساهم زين الدين الحافظي في إضعاف نفس الملك الناصر ونفوس الأمراء عن لقاء هولاكو وقتاله وكان مما يشدد بقوله على أن " **كل من يلتقي هولاكو يتحدث وما يعرف ما يقول ومن هو الذي يلتقي هولاكو ومعه مائتي ألف فارس .**" (3) , وبين الاستنجاد بالمماليك , حيث أرسل إلى قطز سنة 656هـ / 1258 م (4) " **يسأله النصر واجتماع الأيدي على المدافعة** " (5)

أرسل له هولاكو رسالة أخرى سنة 658هـ /1260م بين فيها انه " **.... في طلب الازدياد على ممر الآباد فلا تكن كالذين نسوا ا وابدأ ما في نفسك إما إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان** " (6) , ثم ألحقها برسالة أخرى قال فيها " **.... دمرنا البلاد وأيتمنا الأولاد وأهلكنا العباد وأذقناهم العذاب وجعلنا**

---

(1) انظر ملحق د

(2) ابن شداد , الأعلاق الخطيرة , ج3 , ق2 , ص485

(3) ابن العميد , أخبار الأيوبيين , ص48

(4) ابن الوردي , تاريخ , ج2 , ص289 ؛ ابن كثير , البداية , ج13 ,ص215 ؛ ابن خلدون , تاريخ , ج5 , ص359 ؛ السيوطي ، جلال الدين, حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة , د.ط , المطبعة الشرقية , بغداد 1927م , ص409؛ ابن سباط , تاريخ , ج1 ,ص386

(5) ابن كثير , البداية , ج13 ,ص215 ؛, ص56 ابن خلدون , تاريخ ,ج5 , ص359 ؛ ابن دقماق ,نزهة الأنام , ص254 ؛ السيوطي , تاريخ , ص409 ؛ ابن سباط , تاريخ , ج1 ص386 ؛ الدويهي ,تاريخ, ص239

(6) انظر ملحق هـ

عظيمهم صغيرا وأميرهم أسيرا تحسبون إنكم منا ناجون أو متخلصون وعما قليل سوف تعلمون على ما تقدمون وقد اعذر من انذر " ([1]) .

وباجتياح جيوش المغول بلاد الشام والاستيلاء على حران سنة 657هـ / 1259م ([2]) ثم الاتجاه نحو حلب والسيطرة عليها سنة 658هـ/1260م بالتعاون مع صهر زين الدين الحافظي الذي " **فتح لهم أبواب المدينة فدخلوها** " ([3]) توجهوا نحو دمشق وفي رواية ابن العميد (ت672هـ / 1273م) أن الحافظي " **عبر إلى دمشق وأغلق أبوابها وسير الملك الناصر طلبه ليجتمع به فامتنع من الخروج إليه وجمع أكابر دمشق واتفق معهم على تسليم دمشق لنواب هولاكو .** " ([4]) فسقطت دمشق في قبضتهم , والحافظي يقدم لهم الضيافة كل يوم ([5]) .

لم يكن الملك الناصر يوسف مطمئنا لما كان متوفرا لديه من إمكانات عسكرية قياسا على ما كان لدى المغول , إذ لم يقدم على نجدته نواب الشام و طرابلس و صفد , ومن يثق به من أمراء مصر ممن اتصل بهم ([6]) , ولعدم ثقته بقوة جيشه ومن التحق به من المتطوعة والأعراب([7]) , خاصة بعد أن تفرقت العساكر الشامية عنه واتخذت موقفا عدائيا حين بادر إلى إرسال الهدية إلى هولاكو مع ابنه الملك العزيز ([8]) , إذ " **... تفللوا وتفرقوا وتسللوا وعجز الناصر عن ردهم لتناقص حرمته وتقاصر همته وكلمته** " ([9]) .

([1]) انظر ملحق و : أورد ابن العبري رسالة بمضمون مشابه للرسائل السابقة . انظر: ملحق رقم ز

([2]) ابن العميد , أخبار الأيوبيين , ص 48

([3]) المصدر نفسه, ص49

([4]) المصدر نفسه , ص51

([5]) المصدر نفسه , ص51

([6]) المقريزي , السلوك , ج2 , ق1 , ص56

([7]) ابن كثير , البداية , ج13 , ص216 ؛ ابن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج7 , ص69

([8]) أبو شامة ,الذيل , ص203 ؛ بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص48 ؛ ابن كثير , البداية , ج13 ,ص216

([9]) بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص48

ويقول ابن العميد (ت672هـ/ 1273م) أن انسحاب العساكر الشامية عن الملك الناصر " **أنه لا يلتقي هولاكو وان الأمراء الذين عنده جبنوا عن قتال التتار** " ([1]) .

لم يتمكن الناصر يوسف من الصمود في وجه الغزو المغولي فهرب من دمشق نحو فلسطين ([2]) . حيث قبض عليه كتبغا وسلمه إلى هولاكو وقتل سنة 659هـ/1261م بأمر من هولاكو بعد انتصار المماليك في معركة عين جالوت([3]) .

ومن الشخصيات الأيوبية ، الملك السعيد بن العزيز بن العادل , فقد استجاب إلى المغول ودخل تحت حمايتهم ، حين دخل هولاكو البيرة([4]) سنة 657هـ/1258م وأطلقه من سجن الملك الناصر يوسف وتقديرا لجهوده في الوقوف إلى جانب هولاكو في فتح دمشق وقلعتها ([5]) أعطاه " **الصبيبة وبانياس** " ([6]) , وجميع البلاد التي كانت له ولايته بالشام ([7]) , وبلغ في تواطئه أن قاتل في صفوف المغول ضد المماليك في معركة عين جالوت سنة 658هـ/ 1260م , وانتهى مصيره على يد السلطان قطز بعد انتهاء المعركة ([8]) .

([1]) ابن العميد , أخبار الأيوبيين , ص 47

([2]) أبو شامة ,الذيل , ص203 ؛ ابن شداد , الاعلاق الخطيرة , ج3 , ق2 , ص17 ؛ بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص48 ؛ابن خلدون , تاريخ ,ج5 , ص359 ؛ العماد الحنبلي , شذرات , ج5 , ص290

([3]) أبو شامة , الذيل , ص206 ؛ ابن العبري , , مختصر الدول , ص280 ؛ أبو الفدا , المختصر , ج2 , ص322 , اليافعي , مرآة الزمان , ج4 , ص115

([4]) قلعة حصينة قرب الفرات . انظر أبو الفدا , تقويم البلدان , ص269

([5]) أبو شامة , الذيل , ص207 ؛ العماد الحنبلي , شذرات , ج5 , ص292

([6]) بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص48 ؛ العيني , عقد الجمان , ج1 , ص230 ؛ ابن كثير , البداية , ج13 , ص225 ؛ ابن خلدون , تاريخ ,ج5 ,ص359 ؛ ابن سباط , تاريخ , ج1, ص392

([7]) ابن العميد , أخبار الأيوبيين , ص49

([8]) العيني , عقد الجمان , ج1 , ص244 ؛ ابن كثير , البداية , ج13 , ص225

أما الملك الاشرف موسى بن الملك غازي صاحب حمـص , فقـد اسـتجاب لطلبات هولاكو بسبب استخفاف الملك الناصر يوسف به حين طلب منه نجدة لمنـع المغول من دخول الشام ([1]) , فهرب من دمشق واستجاب لطلبات هولاكـو بـان خرب بعض الأجزاء من قلعة حمص سنة 658هـ/ 1258م ([2]) , وسمح بـدخول حامية مغولية لتوطيد سلطانه ([3]) , ونال مكافأة مميزة من هولاكو على تعاونه بان أعاد إليه حمص ([4]) , وكتب له نيابة دمشق وبلاد الشام , وكتب كتبغا قائد هولاكو في الشام إلى النواب في دمشق " **بان يتفقـوا على مصالح المملكة فصار الدواوين والنواب , يترددون إليه في بعض الأوقـات ويشاورونه في الأمور المهمة** " ([5]).

كما اظهر الملك المغيث عمر حاكم الكرك والشوبك ارتباكا واضحا في تعامله مع الغزو المغولي , حين اكتسح بلاد المشرق الإسلامي , وبدا محتارا بين أن يقـدم ولاءه للمغول كما فعل غيره , كالناصر يوسف صاحب دمشق وحلـب , وبـين أن يسلك سلوك المماليك البحرية وقائدهم الأمير بيبرس , الـذين آثـروا أن يتناسـوا خلافاتهم مع المماليك المعزية ([6]) خصومهم الألداء ويقرروا العـودة إلـى مـصر لمؤازرة حكامها في تصديهم للمغول ([7]) , ويبدو انه أراد أن يفعل الأمرين معا فقد روى النويري نقلا عن الملك العزيز بن الملك المغيث أن أباه أرسله لمقابلة هولاكو

([1]) ابن العبري , تاريخ الزمان , ص314 ؛ مختصر الدول , ص277

([2]) ابن الوردي , تاريخ , ج2 , ص293 ؛ ابن خلدون , تاريخ , ج5 , ص361

([3]) رنسيمان , تاريخ , ج3 , ق2 , ص526

([4]) بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص49 ؛ ابن الـوردي , تـاريخ , ج2 , ص 292 ؛ العيني , عقد الجمان , ج1 , ص239 ؛ ابن كثير , البداية , ج13 , ص221 ؛ ابـن خلـدون , تاريخ ,ج5 ,ص359

([5]) ابن العميد , أخبار الأيوبيين , ص52

([6]) المعزية نسبة إلى معز الدين أيبك الجاشنكير التركماني الصالحي ، هربوا منه لاختلافهم معه سنة 652هـ وقتل زعيمهم الأمير اقطاي فهربوا إلى الشام . انظر, المقريزي , السلوك , ج1 , ق2 , ص388,390

([7]) الحسو، احمد عبد ا , تاريخ الكرك في العصور الإسلامية , ط1 , وزارة الثقافة , عمـان 2004م , ص111 وسيشار إليه تاليا : الحسو , تاريخ الكرك

في مدينة تبريز لطلب الأمان له ولأسرته , ونجح في مهمته بل أرسل معـه عنـد عودته إلى بلاد الشام قوة مغولية تحميه وتكون ممثلة للمغول في الكرك , وهو مـا يؤيد نص ابن شداد : " **أن المغيث انضوى إلى التتار وصيروا معـه نائبـا فـي الكـرك** " ([1]) .

ومع أن هذا الاتفاق لم يخرج إلى حيز التنفيذ بسبب الظروف التـي كانـت تحيط ببلاد الشام آنذاك , فيبدوا انه دفع بالقائد المغولي كتبغا الذي سيطر على بـلاد الشام سنة 657هـ / 1259م إلى إرسال مبعوث عنه يطلب مـن الملـك المغيـث الدخول في طاعته فأجابه بجواب" **ظاهره الطاعة وباطنه المراوغة وانتظـار مـا تجري به المقادير** " **([2]) ,** وبالرغم من هذا التظاهر فقد اخذ الملك المغيث " **يراسل هولاكو ويكشف له أحوال البلاد**" ([3]) , وزاره سنة 658هـ/1270م بعد أن تـرك الملك الناصر يوسف حين هرب من المغول ([4])

وفي إشارة إلى العلاقة التي تميزت بالتقدير والعرفان مع المغول تشير إحدى رسائل هولاكو إلى المغيث عمر ما يؤيد ذلك قوله**: " قد أقطعتك من بصرى إلـى غزة . " ([5])**

وسار الملك الظاهر أخو الناصر يوسف صاحب دمشق وحلب على نهج مـن سبقه من الأمراء الأيوبيين في الانضواء تحت راية المغول سنة 658هـ ـ/1260م والنزول عن صرخد وتخريب أسوارها , " **وإرسال الهدايا والتقادم الجليلـة**" ([6]) إلى هولاكو, ثم اقره عليها حيث كان يقيم ([7]) .

([1]) الحسو ، تاريخ الكرك, ص111

([2]) اليونيني ,الذيل , ج1 , ص358

([3]) القزاز , الحياة السياسية في عهد السيطرة المغولية , ص378

([4]) ابن الوردي , تاريخ , ج2 , ص292 ؛ ابن خلدون , تاريخ , ج5 , ص359

([5]) عيسى ، عبد المعز, الغزو المغولي لدمشق وآثاره الـسياسية والاجتماعيـة والاقتـصادية والثقافية , رسالة ماجستير غير منشورة , جامعة اليرموك , اربد 1997م , ص49

([6]) ابن العميد , أخبار الأيوبيين , ص51

([7]) بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص50 ؛ العيني , عقد الجمان , ج1 , ص237

رغم الموقف المتواطئ للأيوبيين أمام السياسة المغولية تجاه بلاد الشام , فقـد اظهر بعض الأمراء الأيوبيين خلافا لما ذكر آنفا , وقرروا الاسـتعداد للمواجهـة العسكرية , متناسين الخلافات في البيت الأيوبي , ومن هؤلاء الملك الكامل صاحب ميافارقين الذي اتخذ موقفا حازما في موقفه تجـاه الغـزو المغـولي وكـان مـن المعارضين لاستجابة الملك الناصر يوسف صاحب دمشق وحلب فـي اضـطراب موقفه أمامهم , وكان من الناصحين له من منطلق أن سياسة المغول واضحة , وهي فيما يشير إليه في نصيحته للناصر : " **أن هؤلاء التتر لا تفيد معهـم مـداراة ولا تنجح فيهم خدمة , وليس لهم غرض إلا في ذهاب الأنفس والاستيلاء على الـبلاد ومولانا السلطان قد بذل لهم الأموال من سنة اثنتين وأربعين والى اليوم فما الذي اثر فيهم من خلوص المودة** [وعبر عن موقفه تجاههم] " **وأما أنا فقد علمت أني مقتول سواء كنت لهم أو عليهم فاخترت بأن أكون باذلا مهجتي في سبيل ا** " ([1])

كما اظهر الملك المعظم توران شاه نائب الملك الناصر في حلب , موقفا حازما أمام دخول هولاكو البلاد سنة 656 هـ/ 1258م رغم كبر سنه , وأعلـن رفـض التبعية له أو استقبال شحنة ممثلة للمغول في حلب , وقد ساومه هولاكو على ذلـك في رسالة نصت على قوله : " **نحن إنما جئنا لقتال الملك الناصر بدمشق , فاجعلوا لنا عندكم شحنة فان كانت النصرة لنا فالبلاد كلها في حكمنا , فان كانت علينا فان شئتم قبلتم الشحنة وان شئتم أطلقتموها** " ([2]) .

([1]) ابن شداد , الاعلاق الخطيرة , ج3 , ق2, ص485 , يذكر القزاز أن الملك الكامل كـان من المتخاذلين أمام المغول إلا انه استيقظ من غفلته بعد أن انكشفت حقيقـة المغـول وضـياع سلطانهم في الشام . انظر: القزاز , الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية , 152

([2]) ابن الوردي , تاريخ , ج2 , ص 290 ؛ العيني , عقد الجمـان , ج1 , ص230 ؛ العمـاد الحنبلي , شذرات , ج5 , ص29

ورغم الضغط الواقع على الملك المعظم من قبـل هولاكـو إلا أن رده كـان واضحا بأن : " **مالك عندنا إلا السيف** " ([1]) .

لم تسر الأمور كما أراد لها الملك المعظم بالمقاومة , لمعارضة الجيش المرابط في حلب المواجهة , وموافقة أهلها على تسليمها بعد الحصار بالأمان , كما رضـوا بدخول شحنة ([2]) , أما الملك المعظم فقد أطلقه هولاكو عند دخول المدينة لكبر سنه ([3]) ومات اثر ذلك سنة 658هـ/1260م ([4]) .

كما أن الملك المنصور صاحب حماة كان على نفس القدر في مواجهة الغـزو المغولي , إلا انه لم يستطع المواجهة منفردا , فالتجأ إلى الملك الناصر يوسف ثـم تركه , وتوجه إلى مصر وأوصى نائبه في حماة " **بمـداراة التتـار** " ([5]) , فلـم يتعرضوا لها , وقاتل في صفوف المماليك في معركة عين جـالوت([6]) , وكـان خروجه من حماة فرصة لأهلها أن يسلموها بالأمان سنة 658هـ ـ/1260م بعـد دخول المغول حلب حفاظا على أنفسهم . ([7])

([1]) ابن شداد, الاعلاق الخطيـرة , ج3 , ق2 , ص504 ؛ مجهـول , الحـوادث الجامعـة , ص347 ؛ ابن الوردي , تاريخ , ج2 , ص93 الذهبي , العبر , ج3 , ص292 ؛ ابن كثيـر , البداية , ج13 , ص215 ؛ ابن خلدون , تاريخ , ج5 , ص358

([2]) ابن كثير , البداية , ج13 , ص218

([3]) بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص48 ؛ رنسيمان , تاريخ , ج3 , ق2 , ص526

([4]) العماد الحنبلي , شذرات , ج5 , ص290

([5]) ابن العميد , أخبار الأيوبيين , ص51

([6]) ابن كثير , البداية , ج13 , ص221 ؛ ابن خلدون , تاريخ , ج5 , ص361العيني , عقـد الجمان , ج1 , ص232

([7]) العيني , عقد الجمان , ج1 , ص332 ؛ اليافعي , مرآة الجنان , ج4 , ص113 ؛ ابن كثير , البداية , ج13 , ص219 ؛ ابن خلدون , تاريخ , ج5 , ص361 ؛ العماد الحنبلي , شـذرات , ج5 , ص290 محمد كرد علي , خطط الشام , ج2 , ص11

2.3 تجاه فرنج الساحل في عهد هولاكو.

لم يكن من الممكن للدولة الايلخانية أن تتجاور فرنج الساحل الشامي ونعني بهم كلا من إمارة إنطاكيا وطرابلس, وإمارة صيدا , وإمارة عكا ، ذلك أن مخططاتهـا للسيطرة على بلاد الشام ومصر تتطلب كسبهم لصالحها , كما أنهم يمكن أن يلعبـوا دورا آخر في تنبيه الايلخانيين إذا ما صدر عن هذه البلاد تهديد ما لهم , فهل أفادوا من هذا ؟ ما هي السياسة التي اتبعتها الدولة الايلخانية تجاه الفرنج في بلاد الشام ؟

رغم أن الفرنج أعلنوا ابتهاجهم بعد وصول أنباء سقوط بغداد سنة 656هـ ـ/ 1258م على يد مغول فارس , إلا أنهم اخذوا جانب الحذر من الاتصال بهم ([1]) , وقرروا إعداد أنفسهم عسكريا لمواجهة المغول , خاصة بعد وصول أخبار قربهم أي المغول من مدينة عكا سنة 656هـ/ 1258م , ولأنهم كانوا مستبعدين وصولهم إلى مثل هذه الأراضي . ([2])

كان لدوقوز خاتون زوجة هولاكو التي كانت تعتنق الديانة المسيحية دورها في فسح المجال للفرنج للعب دور سياسي في الدولة الايلخانية , وقد مهد ذلك للـدخول معهم في علاقات دبلوماسية ([3]) , ويقع في هذا الإطار اختيار البطريق ماكيكا سنة 656 هـ/ 1258م لإتمام عملية التفاوض مع الخلافـة العباسية قبل إسقاطهـا([4]).

وقد ذكر عادل هلال أن فرنج الساحل هم من بدأ الاتصال بالايلخانيين مشيرا بذلك إلى " **سفارة استطلاعية من بطريق مملكة بيت المقـدس سـنة 657هـ ـ/**

([1]) Boyle , John Andrew , The Mongol World Empire 1206 – 1370 , preface by Owen Lattimore , Variorum Reprints , London 1977 , p . 554

([2]) مجهول, تتمة كتاب وليم الصوري , ص239 - 240

([3]) Bertold , Ilkhans ,The Encyclopedia Of Islam , vol . III . p . 1122

([4]) رنسيمان , تـاريخ , ج3 , ق2 , ص ؛ Bertold , Ilkhans , The Encyclopedia Of Islam , vol . III . p . 1122 , Rene crousset , l` Empire Des Steppes , Paris , 1980 . p , 434

1258م أي قبل معركة عين جالوت " والتي كان هدفها كما يرى الكاتب نفسه **"... جس نبض هولاكو دون أن يكون لها أية دوافع أخرى** " ([1])

ومن مظاهر توطد العلاقات بين هولاكو والفرنج بهدف إقامة تحـالف ضـد المماليك ، دخول بوهيموند السادس (Bohemond)(649 - 667هـ / 1251 – 1268م) حاكم أنطاكيا وطرابلس حليفا قويا لهولاكو بإقناع مـن هيثـوم ؛ ملـك الأرمن , إضافة إلى جهود الملك الفرنسي لويس التاسع أثناء وجوده في بلاد الـشام في توثيق العلاقة بين الفرنج والملك هيثوم بزواج بوهيموند وحكام قبرص وصـيدا من بنات الأسرة الارمنية الحاكمة ، مما دفع إمارة أنطاكيا إلى إقامة علاقات صداقة وتحالف مع الدولة الايلخانية ضد المماليك .([2])

وقد تمخض عن تحالف المغول مع الفرنج اشتراك بوهيموند السادس ؛ أميـر إنطاكيا بقواته مع هولاكو ضد الإمارات الأيوبية في بلاد الشام والاسـتيلاء علـى حلب ودمشق , حيث أعاد هولاكو له مقابل ذلك جميع الأراضي التي اقتطعت منـه في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي ([3]).

كما فتح هولاكو الباب إمام بوهيموند للقيام بزيارات للبلاط الايلخاني, وتقـديم المساعدات العسكرية عند طلبهـا , ويقـول اليـونيني (ت 726هـ ـ/ 1325م) أن بوهيموند تجرأ في زياراته إلى هولاكو بأن " **طلب بعلبك وان يبـذل لـــه مـــا يرضيه** "([4]), ووصفه النويري بأنه " **من اكبر أعوان التتار " ([5]) .**

([1]) هلال , العلاقات , ص143

([2]) المرجع نفسه , ص98 ؛ عمران ، محمود, المغول والاوروبيـون والـصليبيون وقـضية القدس , ط1, دار المعرفة الجامعية , د.م , 2003م , ص326وسيشار إليه تاليا عمران , المغول والاوروبيون ؛ Setton ,A history Of The Crusades , vol , II , p 653

([3]) النـويري , نهايـة الأرب , ج30 , ص194 هـلال , العلاقـات , ص100 ؛ Setton Ahistory Of The Crusades , vol .II ,p .663

([4]) اليونيني , الذيل , ج3 , ص92

([5]) النويري , نهاية الأرب , ج30 , ص194

إن فكرة عقد تحالف فرنج الساحل مع المغول لا تعـود إلـى أمـرائهم فـي الإمارات الصليبية فحسب ، بل إنها تتأثر بموقف أمراء وملوك الغرب الأوروبي, والبابوية, سلبا أو إيجابا .

من هنا فقد واجه تحالف بوهيموند مع الايلخـانيين معارضـة مـن القـوى الصليبية الأخرى , وبخاصة بارونات عكا , الذين لم يجدوا في الدولـة الايلخانيـة الرامية إلى التوسع في بلاد الشام , ما يلبي طموحهم بإقامة إمارات صليبية مستقلة , وإنما سيكونون مجرد تابعين لها ([1]) .

إن هذا ما دعا البابا الكسندر الرابع (652 – 660هـ/ 1254 _ 1261م) إلى إصدار قرار الحرمان بحق بوهيموند لاتخاذه قرار التحالف دون موافقته ([2]) , بـل لقد أقدم جوليـان (Juliende sidon) ؛ حاكم إمارة صيدا على مهاجمـة قـوات مغولية سنة 658هـ/ 1259م مما أدى إلى تحركهم نحو صيدا , مما أذن بانتهاء الحلف القائم بين بعض فرنج الساحل وبين المغول ([3]) .

وقد أشار المؤرخ أبو شامة إلى هذا الحدث فقال : " **اسـتولى التتـار علـى صيدا من بلاد الفرنج , واخذوا ثلاثمائة أسير منها** " ([4]) , مما دفع بهم إلى **إرسال** رسلهم ، كما يقول بيبرس المنصوري " **بالهدايا والتقادم لأنهم خافوا في بلادهـم من تطرق التتار**[أي: المغول الايلخانيين] **إليها وغاراتهم عليها** " **([5]).** وقد ذكر المؤرخ نفسه إنهم مع خوفهم هذا " **شرعوا في تحصين مدائنهم وحصونهم** " **([6]) .**

([1]) رنـسيمان , تـاريخ , ج , ق2 , ص 513 ؛ Rene crousset ,L ` Empire Mongol Des Steppes , p .437

([2]) هلال , العلاقات , ص100 ؛ عمران , المغول والأوروبيون , ص 347

([3]) رنسيمان , تـاريخ , ج3 , ق2 , ص513 ؛ Rene crousset , L Empire Des Steppes , Paris ,1980 , p , 437

([4]) أبو شامة , الذيل , ص207

([5]) بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص50

([6]) المصدر نفسه , ص50

يتضح مما سبق أن السياسة الأيلخانية في عهد هولاكو حققت نجاحا جزئيـا في محاولاتها لكسب فرنج الساحل فهل كان الأمر كذلك قبيل وأثناء معركة عـين جالوت التي اشتبك فيها الايلخانيون مع المماليك وتم بموجبها طردهم من بلاد الشام؟

للإجابة على هذا لابد من استعراض ما طرحته المصادر, والمراجـع الأجنبيـة, والعربية بهذا الصدد .

انفرد بيبرس المنصوري (ت 725هـ/ 1324م) بالقول أن المغول " **اتحـدوا مع فرنج الساحل بقيادة كتبغا نوين ، وصحبه من لاذ به من فارسهم وراجلهم ، ووافى المظفر (قطز) في كتائبه ومواكبه فكانت الكسرة عليهم** " ([1]) , في حين يذكر المقريزي (ت845هـ/ 1441م) أن الفرنج بادروا إلى عرض التحالف مـع السلطان المملوكي قطز ضد المغول , ولكنه شكرهم وطلب منهم أن يكونـوا علـى الحياد وطلب منهم السماح له بعبور أراضيهم ([2]) فظلوا على الحياد .

إن هذا التناقض بين روايتي المنصوري , والمقريزي عن موقف الفرنج قبيـل أو خلال معركة عين جالوت يمكن أن نجد تفسيرا له فيما رواه المـؤرخ المجهـول صاحب كتاب : تتمة كتاب وليم الصوري , الذي قال أن المماليك هم من " **اسـتقر رأيهم على أن يطلبوا من الصليبيين أن يحاربوا إلى جانبهم ضـد التتـار** " ([3]) , وذكر أن معظم الفرنج وافقوا على ذلك باستثناء الاسبتارية ([4])الذين نقل عن سيدهم قوله : " **... أن هذا الأمر ليس في صالح الصليبيين ، لأنه ثبت أن المـسلمين لا**

([1]) بيبرس المنصوري , التحفة الملوكية , ص44

([2]) المقريزي , السلوك , ج1 , ق2 , ص429 -430

([3]) مجهول , تتمة كتاب وليم الصوري , ص243

([4]) هم طائفة من فرسان الصليبيين تأسست سنة 493هـ/ 1099م بعد استيلاء الصليبيين على بيت المقدس من اجل القيام بخدمة المرضى الصليبيين ثم تحولت إلى فرقة عسكرية وبسط البابا حمايته عليها سنة 507هـ/ 113م انظر باركر، ارنست, الحروب الصليبية , ترجمة السيد الباز العريني , د.ط , دار النهضة العربية , بيروت 1967م , ص58 ؛ سميث ، جوناثـان رايلـي, الاسبتارية فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس وقبرص 1050-1310م , ترجمة : صـبحي الجابي , ط1 , دار طلاس للدراسات والترجمة , دمشق , 1989م , ص7

يحافظون على ما يعقدونه من اتفاقات مع الصليبيين وأنهم مخادعون في كثير من المرات " ([1]) , لذا فقد اكتفى الفرنج بتقديم المساعدات من المـؤن دون الـسلاح فوافق السلطان على ذلك ([2]) ، وقد جاءت دراسة المؤرخ المعاصـر رنـسيمان متفقة مع ما ذهب إليه المؤرخ المجهول ([3]).

في ضوء هذه الروايات يمكن القول أن السياسة الايلخانية تجاه فرنج الـساحل لم تستطع جرهم إليها , ولكنها كانت عاملا مهما في وقوفهم على الحياد .

تجاه فرنج الساحل في عهد أباقا خان .

نهجت السياسة الخارجية للدولة الايلخانية في عهد أباقا خان نهج والده هولاكو تجاه الفرنج , إذ بدا واضحا لأباقا خان أن استمرار السعي لجرهم نحو مـا يعمـق العلاقات معهم , هو طريقهم إلى بلاد الشام , والى الاتصال مع الغرب الأوروبـي بما يخدم مصالحهم الحيوية .

لجا أباقا خان إلى تحسين علاقاته مع فرنج الساحل , بان توجه إليهم للتحـالف معه ضد المماليك , وقد وجدت نداءات أباقا صداها لدى الفرنج للمشاركة في فـتح البلاد المقدسة , وهذا ما أشار إليه بيبرس المنصوري (ت725هـ / 1324م) : " **أن التتار تواعدوا مع الفرنج الساحلية وأغاروا** [سـنة 668هـ /1269م] **علـى الساجور قرب حلب واخذوا مواشي العربان** " ([4]) , وهو ما أكـده ابن خلـدون (ت808هـ/ 1405م) : فقال أن " **المراسلة وقعت بينه** [أي أباقا خان] **وبـين الفرنج في الإغارة على بلاد الشام , وجاء صمغان في عسكره لموعـدهم فأغـار علـى أحيـاء العـرب بنـواحي حلـب ثـم عـادوا** " ([5]) , وقـال المقريـزي ت845هـ/1441م) الشيء ذاته عن "**... اتفاق فرنج الساحل مع المغـول للقيـام ببعض الأعمال العسكرية التي لم تحقق نجاحا في منطقة الـساجور , إذ تفرقـت**

([1]) مجهول , تتمة كتاب وليم الصوري , ص243

([2]) المصدر نفسه , ص243

([3]) رنسيمان , تاريخ , ج3 , ق2 , ص513

([4]) بيبرس المنصوري , مختار الأخبار , ص 43

([5]) ابن خلدون , تاريخ , ج5 , ص 381

حالما سمعت بخروج المماليك إليها " ([1]) , كما أشار إلى مراسلة بعض الفرنج للايلخان للتعاون معه " **لكن سفنهم لقيت نهايتها في أعمال البحر قبل وصولها إلى الساحل** " ([2]) , كما وجه أباقا سفارة على رأسها الأمير صمغان في السنة نفسها إلى الفرنج , والى بوهيموند صاحب طرابلس بخاصة ، يدعوهم فيها للمشاركة في الإغارة على نواحي حلب ومناطق بلاد الشام لكن شيئا لم يتحقق من ذلك ([3]) .

مع إن ثمة خروقات لهذا الاتفاق حصلت بعد سنتين **(** 670هـ / 1271م) من توقيعه , حيث هاجم الفرنج بعض المراكب التي تحمل وفدا مغوليا موفدا إلى المماليك فأخذوهم أسرى , ثم أطلقوا بعد عدة مراسلات ([4]) , كما أغاروا على عينتاب([5]) وحارم([6]) والقاقون([7]) وقال بيبرس المنصوري (ت725هـ / 1324م) " **وكانت باتفاق مع التتار, ولما بث السلطان العساكر في الجهات المذكورة أنكف التتار, وولى الفرنج الأدبار** " **(** [8]**)** .

ومع أن عادل هلال يقول استنادا إلى كونيل ويسترن أن مبعوث أباقا إلى الفرنج في عكا سنة 679 هـ/1280م , طالبا التحالف معهم عند تقدم جيوشه لقتال المماليك في العام الذي يليه ([9]) , لم يحظ بجواب منهم ، إلا أن المصادر العربية تشير إلى اتفاق بين الفرنج والأيلخانيين حصل سنة 680هـ / 1281م , وان

([1]) المقريزي , السلوك , ج1 , ق2 , ص585

([2]) المصدر نفسه , ج1 , ق2 , ص585

([3]) طه ، مصطفى, مغول إيران بين المسيحية والإسلام , د.ط , دار الفكر العربي, د.م , د. ت , , ص8 وسيشاراليه تاليا : مصطفى طه , مغول إيران ؛ رنسيمان , تاريخ , ج3 , ق2 , ص

([4]) العيني , عقد الجمان , ج2 , ص93

([5]) بلدة بها قلعة حصينة إلى الشمال من حلب ، البغدادي، مراصد الاطلاع ، مج2 ، ص977

([6]) بلدة صغيرة من أعمال حلب فيها قلعة حصينة , أبو الفدا , تقويم البلدان , ص259

([7]) حصن قرب الرملة انظر :المرجع نفسه , البغدادي ، مراصد الاطلاع ، مج3 ، ص1059

([8]) بيبرس المنصوري , مختار الأخبار , ص 48

([9]) هلال , العلاقات , ص85 , نقلا عن Connell Western , views of tartars , p 171

الفرنج ([1]) في ضوء ذلك هاجموا حصن المرقب ([2]) , فقد ذكر بيبرس المنصوري أن الفرنج " **لما بلغهم هجوم التتار على البلاد وانجفال العسكر من حلب طمعوا واعتمدوا الفساد وتطرقوا إلى أذية المسلمين** " ([3]) , وقد أكد عادل هلال هذا الهجوم استنادا إلى حولية انجليزية فقال: "**أن اسبتارية حصن المرقب قدموا مائتين من الفرسان والمشاة وان ملك التتار انضم إليهم لقتال السلطان المملوكي** " ([4]) , كما " **أمدوهم بالمؤن والعتاد من قلعتهم** " ([5]) , فهاجمهم السلطان المملوكي المنصور قلاون , واستولى على القلعة واضطروا إلى عقد هدنة مع المماليك لإحدى عشر سنة تعهدوا فيها بالا يتعاونوا مع المغول ([6])

ويبدو أن الفرنج آثروا العودة إلى سياسة الحياد بعد توقيع الهدنة المشار إليها , إذ لم يشارك في معركة حمص إلى جانب المغول إلا فئة قليلة منهم , كما يذكر رنسيمان كان معهم مقدم الاسبتارية الانجليزي القادم في جولة إلى الشرق والمؤيد للتحالف مع المغول , لتخليص بيت المقدس , حيث انتهت المعركة بالقضاء على أغلبية الجيش المغولي فيها. ([7])

ومع أن عادل هلال يشير إلى أن الفرنج , ومعظم القوى الصليبية , اختاروا موقف الحياد من الوقوف إلى جانب المغول في معركة حمص لخبرتهم في عدم

([1]) ابن خلدون , تاريخ , ج5 , ص388

([2]) قلعة حصينة تشرف على بانياس على سواحل البحر المتوسط , البغدادي , مراصد الاطلاع ، مج3 ، ص1260

([3]) بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص189 ؛ ابن خلدون , تاريخ ' ج5 , ص389

([4]) هلال , العلاقات , ص117, نقلا عن The Chronicle Of Bury St Edmunds , p . 77

([5]) المرجع نفسه , ص118

([6]) ابن خلدون , تاريخ , ج5 , ص389

([7]) رنسيمان , تاريخ , ج3 , ق2 , ص663

مقدرة المغول على حماية حلفائهم ([1]) , إلا أن رنسيمان يشير إلى مشاركة فئة قليلة من الفرنج ([2]).

أما المصادر الإسلامية فلم تقدم إلا إشارات عن مشاركة الفرنج في معركة حمص ، فقد أورد بيبرس المنصوري جانبا من قصائد قيلت في ذلك , ومنهـا إشارة القاضي فتح الدين محمد بن عبد الظاهر ما يشير إلى الفرنج الذين حاربوا مع المغول فقال: ([3])

" يا عزمة ما رأى الراؤون مشبهها   ووقفة سار في الدنيا لها ذكر
لما بغى جيش ابغا في تجـاسره   ولـن يمد له إلا القنا جسـر
واستجمع المغل والتكفور واتفقوا   مع الفرنج ومن أردى به الكفر "

ومنها قول ركن الدين بيبرس الفارقاني ([4])

" لها وقع ترن الأرض منه   وترعد منه آفاق الوجود
وأسياف لهـا لمع كبـرق   تقد بها العظام مع الجلود
فسائل من هلاون عن قلاون   وسائل للبرنس وللكنـود "

وقد انفرد المقريزي بالقول أن جيشا مكونا من " **خمسين ألفا مـن المغـل وثلاثين ألفا من الكرج والروم والفرنجة " ([5])** شاركوا في معركة حمص دون إن يحدد تفاصيل دور كل منهم .

لم تستطع السياسة الايلخانية في العهود التي تلت عهد أباقا خان , وحتى سقوط الدولة الايلخانية أن تخطو خطوات أكثر مما كانت عليه , فقد ظـل موقـف فـرنج الساحل قلقا ، بل أنهم لم يظهروا أي استعداد للتحالف مع الايلخانيين ، لذا فقد فشلت

([1]) هلال , العلاقات , ص117
([2]) رنسيمان , تاريخ , ج3 , ق2 , ص663
([3]) بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص201
([4]) المصدر نفسه , ص208
([5]) المقريزي , السلوك , ج1 , ق3 , ص692

محاولات الأيلخان محمود غازان للاستعانة بمقـدمي الاسـبتارية , والداويـة ([1]) للانضمام إلى حملته على بلاد الشام سنة 699هـ/ 1299م حيث رفضوا المشاركة إلى جانبه ([2]) **,** كما أن ما جاء على لسان الأيلخان نفسه قبيل خروجه من رحبـة الشام متوجها إلى مرج الصفر لحرب المماليك "**... وها نحن قد وردنـا بـالجنود المجندة والجيوش المؤيدة وسيصل إلينا من الروم والكرج وتكفور والفرنج عساكر لا تحصى ..** " ([3]) ، هو اقرب للتعبئة الدعائية منه إلى الحقيقة .

تلك هي السياسة الخارجية للدولة الايلخانية تجاه فرنج الساحل .

([1]) طائفة دينية نشأت عن فكرة عسكرية من فارس من شمبانيا اسمه هيوباينزا سـنة 1118م , تتألف من ثلاث طبقات فرسان من أصل نبيل ثم الأجناد من البرجوازية ثم رجال الدين واتخذوا من الصليب الأحمر شعارا لهم على أرديتهم البيضاء . انظر : البقلـي , مـصطلحات صـبح الأعشى , ص19

([2]) Rene crousset , L` Empire Mongol , tom , VIII , p . 375

([3]) بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص337 ؛ العيني , عقد الجمان , ج4 , ص53

الفصل الرابع

السياسة الخارجية للدولة الأيلخانية تجاه دولة المماليك البحرية

654 - 736هـ/1256 - 1335م

4 . 1 في عهد هولاكو .

انصب اهتمام هولاكو بشكل جوهري, على توفير أمن الدولة التي أنشأها , بما يحقق لها القدرة على البقاء والحفاظ على الأراضي التي فرضت هيمنتها عليها في العراق و بلاد الشام , ويمكنها من تنفيذ أوامر الخاقان منكوخان بخصوص إخضاع مصر .

إن تحقيق الأمن في دولة حديثة النشأة ، والتخطيط لتوسع كهذا ، اقتضى سياسة خارجية فاعلة تتناسب مع طموح هولاكو وخلفائه من بعده ، لتحقيق هذين الهدفين ، فهل كان الأمر كذلك ؟

إذ بعد تنفيذ خطته التي شملت معظم حدود العراق, وأصبح شماله حليفا قويا لها , وبعد أن خطى خطواته لضم بلاد الشام, والطريق المسيطرة على سواحل البحر المتوسط , لبروز العامل المملوكي في مواجهتها , أو نجاحه في غزو بلاد الشام , ونعني بذلك قدومهم إليها واصطدامهم بالجيش المملوكي في معركة عين جالوت سنة 658هـ/1260م([1]) , وتسجيل أول انتصار على المغول الذين اضطروا إلى الانسحاب من بلاد الشام والعودة إلى العراق([2]) , كان عليهم أن يحددوا سياستهم الخارجية تجاه المتغيرات التي نجمت عن هذا العامل .

([1]) أبو شامة , الذيل , ص207 ؛ ابن كثير , البداية , ج13 , ص220 ؛ العيني , عقد الجمان , ج1 , ص244 ,

([2]) اجبر هولاكو على العودة إلى العراق بعد وصول أخبار وفاة مانجو خان , والخلافات بين إخوته أريق بوقا وقوبيلاي على تولي العرش المغولي , إضافة إلى الخلافات بين هولاكو باعتباره حاكما فعليا للدولة الأيلخانية وبين بركة خان حاكم القبيلة الذهبية على اتخاذ قرار العودة إلى بلاده. ويقول بيبرس المنصوري :" **أن موته اوجب عود هولاكو عن ديار بلاد الشام** " , عن ذلك انظر : بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص56 , 55

فما هي أبعاد هذه السياسة في حياة مؤسسها هولاكو (654 –663هـ ـ/1256 - 1264م) ؟ ثم خلال عهود أبنائه وأحفاده حتى تاريخ سـقوط هـذه الدولـة سـنة 736هـ/1335م ؟

اقتضت سياسة هولاكو بعد وصول رسالة من قوبيلاي سنة 658هـ ـ/1260م التي يخاطبه فيها : " **إن الولايات قد سادتها الفتن والاضطرابات فيجب عليك أنت يا هولاكو أن تحكم ولايات التازيك ([1]) الممتدة من ضفاف جيحون حتى بحر مـصر وان تحافظ على جنود المغول الذين ناضلوا من اجل سمعة أجـدادنا ..** " ([2]) أن يبدأ التهديد الحقيقي للدولة المملوكية باتخاذ الإجراءات التالية :

أولا – استخدام الدبلوماسية السلمية .

اعتمد هولاكو في سياسته تجاه المماليك في مصر, أسلوب الترهيب والوعيـد الذي اعتاد إتباعه في حروبه , فقد أرسل رسالة إلى السلطان المظفر قطـز سـنة 658هـ/1260م يذكره بما فتح من بلاد أصبحت تحت سيطرته ويدعوه إلى " **بـذل الطاعة وتعبئة الضيافة** " ([3]) , وان يعلن التبعية ويسارع إلى "**حمل الفدية وقبـول شحنة في بلاده** " ([4]) ، مما يعني انه كان ينوي إخضاع البلاد الواقعة تحت سيطرة المماليك , بغض النظر عما سيكون عليه رد السلطان المملوكي , ويلاحظ هذا في ما تضمنته رسالته المكتوبة , والشفوية من ازدراء بالسلطان بقوله له : " **يعلم الملـك المظفر قطز الذي هو من جنس المماليك الذين هربوا من سيوفنا إلى هذا الإقلـيم يتمتعون بإنعامه , ويقتلون من كان سلطانه** " ([5]) , وما حملته من تهديد للمماليـك بشكل عام مخاطبا لهم " **... أن سلموا إلينا الأمر تسلموا قبل أن ينكـشف الغطـاء**

([1]) لفظ يطلق على العرب والمسلمين , استعمله المغول للدلالة على أهل فارس مـن العـرب المسلمين فقط . انظر : ابن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج8 , ص 230 , هامش رقم 2

([2]) الهمذاني , جامع التواريخ (خلفاء جنكيز خان) , ص252

([3]) بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص50 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج29 , ص302 ؛ العيني , عقد الجمان , ج1 , ص237

([4]) بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص50

([5]) انظر ملحق ح

فتندموا " , ثم قوله : " **فان انتم لشرطنا أطعتم , وما قلنا سمعتم فلكم مالنا وعليكم ما علينا , وان انتم خالفتمونا هلكتم فلا تهلكوا أنفسكم بأيديهم .. فما بقي لنا مقصد سواكم** " ([1]) .

أما الشفوية فذكر فيها أن السلطان " **هو احد الأرقاء الذين كانوا من جنس المماليك الذين هربوا من سيوفنا** [أي المغول] **بعد أن ابتاعوا ؟ إلى التجار بأبخس الأثمان** " ([2])

لم تفلح محاولة هولاكو الأولى مع المماليك في إرهابهم , وجاء رد السلطان قطز على غير ما توقعه الزعيم المغولي فقد رد عليه بقتل رسله ([3]) .

ومع أن هولاكو غادر الشام بعيد إرسال رسالته هذه , فقد تولى المهمة بعده وبتكليف منه القائد المغولي كتبغا نوين , الذي فوجئ بأخبار تحرك الجيش المصري نحو بلاد الشام لمواجهته ، فتوجه هو الآخر بقواته نحوه وهو ما تمخض عن المعركة الشهيرة والحاسمة ؛ معركة عين جالوت في يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة 658هـ/1260م حيث حقق المماليك انتصارا ساحقا على المغول وتمكنوا من قتل قائدهم المشار إليه .([4]) .

شكل هذا النصر فشلا ذريعا للسياسة التي اتبعها هولاكو في مرحلة ما بعد احتلال العراق , إذ لم يتمكن من تنفيذ أحلامه باحتلال مصر ، كما انه اجبر على الخروج من بلاد الشام بعد احتلال دام بضعة أشهر (من رمضان سنة

([1]) انظر الملحق ح نفسه

([2]) ابن دقماق , الجوهر الثمين , ج1 , ص61

([3]) بيبرس المنصوري , التحفة الملوكية , ص43 ؛ ابن دقماق , الجوهر الثمين , ص61 ؛ ابن إياس، محمد بن احمد, بدائع الزهور في وقائع الدهور , تح : محمد مصطفى , ط2 , الهيئة المصرية العامة للكتاب , القاهرة :1982 ج1 , ق1 , ص305 وسيشار إليه تاليا : ابن إياس , بدائع الزهور

([4]) أبو شامة , الذيل , ص207 ؛ اليافعي , مرآة الجنان , ج4 , ص113 ابن كثير , البداية , ج13 , ص220 ؛ العيني , العقد الجمان , ج1 , ص244 ؛ السيوطي , تاريخ الخلفاء , ص409 ؛ العماد الحنبلي , شذرات الذهب , ج5 , ص291

657هـ/1258م – الخامس والعشرين من رمـضان سـنة 658هـ ـ/1259م), إضافة إلى أن تراجع المغول إلى قواعدهم في العراق وإيران ، أدى إلى إضـعاف قدرتهم على الاتصال بحلفائهم من الفرنج . ([1]) .

لقد دفعت هذه المتغيرات بهم إلى التفكير برسم سياسة جديدة لمواجهة الوضـع الجديد وهو ما يلاحظ في أكثر من اتجاه :

1 - تحول المغول الايلخانيون عن سياسة الهجوم إلى سياسة الـدفاع , وأصـبح همهم الأول بعد خروجهم من بلاد الشام الاحتفاظ بنهر الفرات حداً طبيعياً يفـصلهم عن المماليك .

2- حولوا العراق إلى ترسانة عسكرية , و بدأوا يتحينون الفرصة لرد الاعتبـار لجيشهم ومقتل قائده كتبغا , وقد وجدوا في مقتل السلطان المملوكي المظفر قطـز, وحصول انقسامات بين صفوف المماليك, فرصة لإرسال حملة عسكرية إلى بـلاد الشام سنة 659هـ/ 1261م ([2]) , استولت على حلب وحماة ودمشق([3]) , ولكـنهم ردوا على أعقابهم, ثم تحالفوا مع أرمينية الصغرى وسلاجقة الروم , وشنوا هجوما مشتركا سنة 662هـ/1213م , هاجموا فيه مدينتي عينتـاب والبيـرة ([4]) ولكـن المماليك الحقوا بهم في السنة التالية في منطقة المحروسة ([5]) خسائر كبيرة ([6]).

([1]) القزاز , الحياة السياسية في عهد السيطرة المغولية , ص374 ؛ عبـد المـنعم رشـاد , موسوعة الموصل الحضارية , ج2 , ص221 ؛ عباس إقبال , تاريخ المغـول , ص212 ؛ فؤاد الصياد , المغول , ج1 , ص317

([2]) أبو شامة , الذيل , ص399 ؛ مجهول , الحوادث الجامعة , ص339

([3]) أبو شامة , الذيل , ص211 ؛ السيوطي , تاريخ الخلفاء , ص409

([4]) بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص88 ؛ مختار الأخبار , ص27

([5]) المصدر نفسه, ص29

([6]) أبو شامة , الذيل , ص233 ؛ القزاز , الحياة السياسية في عهد السيطرة المغولية , ص399

ثانيا : محاولة كسب الأمراء الأيوبيين .

حاول هولاكو الاتصال بالأمراء الأيوبيين ممن فقدوا امتيازاتهم في ظل الحكـم الأيوبي وتفضل عليهم بما أبقاه في أيديهم من سلطان,علـى أن يخلـصوا الطاعـة والولاء له ولم ينجح إلا في كسب الملك السعيد بن العزيــز صـاحب الـصبيبة وبانياس الذي شارك المغول في حملتهم على البيرة سنة 659هـ/ 1261م ([1]).

كما نجحوا في مراسلة الملك المغيث صاحب الكرك([2]) , إلا انـه حـين رأى موقف المماليك المندفع لمواجهة المغول وصدهم عن بلاد الـشام, أرسـل جيـشه لمساندتهم في معركة عين جالوت " **ونيل شرف طرد الغزاة عن البلاد** " ([3]), كمـا حاول كسب بعض أمراء الجيش المملوكي من الـشهرزورية([4]) , وجـرهم إلـى التعاون مع المغول , ([5]) ويقول اليونيني (ت 726هـ/1325م) مشيرا إلى تعاون الملك المغيث مع المغول سنة 659هـ/1261م أن " **العرب عثروا على قصاد منه** [أي الملك المغيث] **إلى التتر وعلى أيديهم كتب مضمونها انـه مـستمر علـى طاعتهم** " ([6]) , وهذا ما دفع أمراء الشهرزورية أن ينسحبوا عنه في حين انه فشل في جهد مماثـل مـع الملـك المنـصور صـاحب حمـاة , إذ يقـول بيبـرس(ت725هـ/1324م) أن المغول أرسلوا بعض رسلهم إليه سنة 660هـ/ 1260م " **ومعهم فرمان فأرسل** [أي الملك المنصور] **القصاد والفرمان إلـى الـسلطان** "

([1]) النويري , نهاية الأرب , ج30 , ص22

([2]) المصدر نفسه , ج30 , ص22

([3]) مجهول , تتمة كتاب وليم الصوري , ص242 – 245 ؛ احمد الحسو, الكرك , ص 112

([4]) هم أمراء أكراد أطلق عليهم الشهرزورية نسبة إلى شهرزور بين اربل وهمذان ، هـاجروا إلى بلاد الشام هربا من هولاكو انظر : اليونيني, الذيل ,ج1 , ص342؛ المقريزي , الـسلوك , ج1 , ق2 , ص414؛ المنصوري , التحفة , ص40

([5]) ابن شداد , الاعلاق الخطيرة , ج1 , ق2 , ص77 ؛ المقريـزي , الـسلوك , ج1 ,ق2 , ص482

([6]) اليونيني , الذيل , ج2 , ص107

الظاهر بيبرس([1]) , وقد لجأ الملك المنصور إلى الإقدام على هذه الخطوة " **ليبرئ نفسه من ممالأة التتار** " ([2]) , وقطع الطريق على هولاكو لمعاودة الاتصال .

ثالثا : إرسال الجواسيس إلى الدولة المملوكية .

حاول هولاكو استمالة بعض الأمراء المماليك, حين أرسل بعـض الجواسـيس لاستمالة الأمير فارس الدين اقطاي ([3]), وقد نجح المماليك في القبض علـيهم سـنة 662هـ/ 1264م ([4]) , وكان لسليمان بن المؤيد الحافظي دوره الفاعل في عملية التجسس حيث " **كان عينا على المسلمين والمغول في آن واحد ". ([5])**

رابعا : التأكيد على مساعدة حلفائه في آسيا الصغرى وسلاجقة الروم .

بناء على أوامر من هولاكو وصلت المساعدات العسكرية للمغول من حلفـاءه؛ ركن الدين قلج ارسلان صاحب الروم , وهيثوم ملـك الأرمـن , ويقـول بيبـرس المنصوري أن هيثوم ملك الأرمن " **وصل بنجدة لقصد البلاد الإسلامية " ([6]) .**

لم ينجح هولاكو في تحقيق اهدافه بالتغلغل إلى بلاد الشام والوصول إلى مصر , والقضاء على المماليك , وجاءت وفاته سنة 663هـ/ 1264م لتنتقل هذه المهمـة لمن أعقبه من الايلخانات .

2. 4 في عهد أباقا خان .

مع اعتلاء أباقا خان عرش الايلخانية الفارسية سنة 664هـ/ 1265م , أولى اهتمامه باستمرار سياسة المغول في السيطرة على البلاد , وفي نطاق هذه الـسياسة

([1]) بيبرس المنصوري , مختار الأخبار , ص22

([2]) المؤلف نفسه , زبدة الفكرة , ص88 ؛ العيني , عقد الجمان , ج1, ص388

([3]) هو فارس الدين اقطاي بن عبد ا النجمي الصالحي , توفي سنة 672هـ/1273م . انظر : ابن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج7 , ص85

([4]) بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص88 ؛ العيني , عقد الجمان , ج1, ص388

([5]) النويري , نهاية الأرب , ج30 , ص70 ؛ العيني , عقد الجمان , ج1, ص393

([6]) بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص88 ؛ مختار الأخبار , ص27

وجه إخوته لحفظ حدود المناطق الواقعة ضمن الايلخانية الفارسية حتى ضفاف نهر جيحون وبلاد الروم وديار بكر وحدود الشام لتأمين حدوده من خطر المماليك ([1]) .

لجأ أباقا خان لتنفيذ سياسته تجاه الممالك باتخاذ مجموعة مـن الخطـوات وهي :

أولا – إرسال رسائل تهديديه .

أرسل الأيلخان أباقا إلى المماليك سنة 667هـ/1268م , رسائل ظاهرها طلب إقامة صلح معهم , و باطنها مليء بالتهديد والوعيد ونعني بذلك الرسالة المكتوبـة التي بعث بها إلى السلطان الظاهر بيبرس , اظهر فيها رغبته في إقامـة الـصلح, وعدم اخذ ذنب الأب بذنب الابن ([2]) , أما رسالته الشفوية ، جاء فيها قولـه : " **.. أنت مملوك بعت بسيواس فكيف يصلح لك أن تخالف ملوك الأرض ؟ واعلم انك لو صعدت إلى السماء أو هبطت إلى الأرض ما تخلصت مني فاعمـل لنفـسك علـى مصالحة السلطان أبغا ..**" ([3]) ,

رفض السلطان الظاهر بيبرس قبول الصلح بهذه الصيغة المهينة , كما رفـض أسلوب المساومة الذي عبرت عنه الرسالة , وحمل رسله جوابا شـفويا يقـول : " **اعلمـوه إنني وراءه بالمطالبة ولا أزال حتى انتزع من يده جميع البلاد التي استحوذ عليها من بلاد الخليفة وسائـر أقطـار الأرض." ([4])** , كما حملهم جوابـا مكتوبا يهدد فيه بإعادة ما جرى عليهم في معركة عين جالوت ([5]) , ويبدو أن أباقا خان الذي تعرضت قواته إلى ضربات مملوكية بـين سـنتي 671 ـ 672هـ ـ/ 1272-1273م أدرك مدى حاجته إلى إقامة صلح مع المماليك ولكـن محاولتـه

([1]) الهمذاني , جامع التواريخ , ج2 , ص12

([2]) انظر الملحق ط

([3]) ابن كثير , البداية , ج13 , ص254 ؛ العيني , عقد الجمان , ج2 , ص43

([4]) ابن كثير , البداية , ج13 , ص254 ؛ العيني , عقد الجمان , ج2 , ص40

([5]) انظر ملحق ي

فشلت بسبب ما فرضه من شروط أغضبت السلطان الظاهر بيبرس فأعـاد الرسـل دون أن يتحقق شيء ([1]) .

ثانيا – إرسال حملات صغيرة .

في ظل فشل محاولتي الصلح ، لجأ أباقا خان إلى انتهاج السياسة التي انتهجها والده هولاكو مع المماليك من قبل , فأرسل أولى حملاته في أوائل سنة 664هـ ـ/ 1265م إلى البيرة ([2]), ونظرا لصغر الحملة المرسلة , يقول الكتبي (ت664هـ/ 1265م) : أن السلطان المملوكي الظاهر بيبرس توجه إليهم " **فقتل مـنهم مقتلـة عظيمة** " ([3]) , كما لجأ إلى إرسال حملة أخرى سنة 668هـ/ 1269م , إلى بلاد الشام نجحت في الوصول إلى حلب ([4]) .

لم تتخذ هجمات أباقا خان على المماليك طابع الهجوم المنتظم , وإنما توجه إلى شن الهجمات كلما وجد الفرصة سانحة لذلك , لذا جدد حملاتـه سـنة 670هـ ـ/ 1271م على دمشق ([5]) , وعينتـاب , وسـروج ([6]) , وحـارم ([7]) , وحلـب

([1]) بيبرس المنصوري , مختار الأخبار, ص75 ؛ العيني , عقد الجمان ,ج2 , ص101

([2]) ابن كثير , البداية ,ج13 ,ص263 ؛ الكتبي , عيون التواريخ ، تح : فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم ، وزارة الثقافة والإعلام ، العراق 1984م , ج21 ,ص9 ؛ عبد علي ياسين , العراق , ص308

([3]) الكتبي, عيون التواريخ , تح : فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم , وزارة الثقافة والإعلام , العراق 1984م ج21 ,ص9 وسيشار إليه تاليا : الكتبي , عيون التواريخ

([4]) بيبرس المنصوري , التحفة الملوكية , ص338 ؛ زبدة الفكرة ' ص132 ؛ أبو الفـدا , المختصر , ج2 , ص337 ؛ العيني , عقد الجمان , ج2 , ص58

([5]) العيني , عقد الجمان , ج2 , ص58

([6]) بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص132 ؛ أبو الفدا , المختـصر , ج2 ,ص338 ؛ ابن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج7 , ص140 وسروج بلدة بنواحي حران من بلاد الجزيرة إلى الشرق من البيرة , انظر البغدادي , مراصد الاطلاع ، مج2 ، ص611

([7]) بيبرس المنصوري , التحفة , ص73

وقسطون ([1]) , وحران ([2]) , ثم أعاد الهجوم علـى البيـرة والرحبـة([3])سـنة 671هـ/1272م ([4]) , وسنة 674هـ/ 1275م , والرحبـة ([5]) ، وكانـت هـذه الحملات تتراجع قبل وصول السلطان الظاهر بيبرس إليها ([6]) , ثم توالت هجماته على مناطق بلاد الشام فيما بين سنة 674 - 679هـ/ 1275-1280م على دمشق والبيرة وحلب ([7]) .

ثالثا :- التعاون مع حلفاء الدولة الايلخانية .

في إطار تحركاته العسكرية سعى أباقا إلى الاستعانة بحلفائـه وأولهـم الملـك هيثوم الذي انسحب من تحالف كان قائما بينه وبين المماليك , ودخـل فـي طاعـة المغول سنة 661/1262م , وقام بتنفيذ أوامرهم , وقطع التبادل التجاري بينهم، بعد أن سعى في إطلاق ابنه ليون الأسير لدى المماليك , مقابل إطلاق الأمير المملوكي سنقر الأشقر نائب الشام من اسر المغول ([8]) , كما سعى للحصول على مـساعدة فرنج الساحل في هجوم على حلب سنة 668هـ/ 1269م , وحرص علـى إقامـة تحالفات مع الفرنج في الغرب سنة 672هـ/ 1273م , بإرسال كتاب إلـى ادوارد

([1]) ابن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج7 , ص140؛ وقسطون حصن من أعمـال حلـب , انظر البغدادي , مراصد الاطلاع , مج3 , ص1092

([2]) ابن دقماق , الجوهر الثمين , ج1 , ص76 ؛ وحران من قرى حلب . انظر : البغدادي , مراصد الاطلاع , مج1 , ص389

([3]) مدينة على الفرات من الثغور المهمة انظر : أبو الفدا , تقويم البلدان , ص281

([4]) الكتبي , عيون التواريخ , ج21 , ص9 ؛ بيبرس المنصوري , مختار الأخبار , ص75

([5]) المؤلف نفسه , التحفة , ص82 ؛ أبو الفدى , المختصر , ج2 , ص340 العيني , عقـد الجمان , ج2 , ص142 ؛ الديار بكري ' تاريخ , ج2 , ص379 ؛ ابن كثير , البدايـة , ج13 , ص269

([6]) بيبرس المنصوري , مختار الأخبار , ص82 ؛ العيني , عقد الجمان , ج2 , ص58

([7]) ابن الفرات، محمد بن عبد الرحيم, تاريخ ابن الفرات , تح : قسطنطين زريـق , المطبعـة الاميركانية , بيروت 1939م , ج7 , ص10وسيشار إليه تاليا : ابن الفرات

([8]) ابن العبري , مختصر الدول , ص 285 ؛ العيني , عقد الجمان , ج2 , ص31 ,

الأول ملك انجلترا لإرسال حملة صليبية إلى الشرق , إلا انه لم يلمس تعاوناً لتعلـق أمر إرسال الحملة بالبابا ([1]) .

ويقول حسين عطية أن السلطان الظاهر بيبرس نجح في إقامة تحالفـات مـع بركة خان القبيلة الذهبية , وعز الدين كيكاوس حاكم سلاجقة الروم , لعزل فـرنج الساحل عن تقديم أي عون للمغول في معظم الأحوال , لذا لم يكن للحلفاء دور فاعل في دعم الحملات على المستوى العسكري ([2]) , كما اتصل أباقـا خـان بـصاحب ماردين لدعمـه عسكريا في حملته على المماليك سنـة 680هـ/1281م ([3])

رابعا :- محاولة كسب الأمراء المماليك .

لجأ أباقا خان إلى سياسة إغراء بعض أمراء المماليك وكسبهم إلى جانبه بهدف إحداث انشقاق في صفوفهم بما يتيح له الاستيلاء على بلاد الشام ثم الوصـول إلـى مصر ، إذ رحب بالأمير سنقر الأشقر نائب الشام , والذي كان خارجا عن طاعـة السلطان قلاوون سنة668هـ/1269م ([4]) , كما فتح أبوابه لاستقبال أمراء المماليك الذين هربوا من السلطان المملوكي سنة 673هـ/ 1274م ، وبين هـؤلاء الأميـر معين الدين البرواناه ([5])الذي حاول أن يتخذه عيناً على المماليك ، إلا انه ندم علـى تعاونه مع المغول و " **...اخذ ينقل أخبارهم وحركات جيوشهم** " ([6]) ، التي أعدها أباقا لمهاجمة بلاد الشام ، وكانت ثمرة تعاونه هذا ، تمكنهم من إبادة الجيش المغولي

([1]) رنسيمان , تاريخ , ج3 , ق2 , ص593

([2]) حسين عطية , سفارات الأرمن , ص224

([3]) بيبرس المنصوري , التحفة الملوكية , ص98

([4]) مجهول , الحوادث الجامعة , ص380 ؛ اليونيني , الذيل , ج3 , ص254 ؛ ابن تغـري بردي , النجوم الزاهرة , ج7 , ص254

([5]) هو معين الدين سليمان بن علي بن محمد بن حسن , والبرواناه لفظ فارسي معناه الحاجب , انظر : ابن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج7 , ص140

([6]) أبو الفدا , المختصر , ج2 , ص338 ؛ ابن تغري بـردي , النجـوم الزاهـرة , ج7 , ص140 ؛ بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص132

سنة 675هـ/ 1276م ([1]) في معركة الابلستين ([2]) , غير انه نجح ولو مؤقتا في كسب الأمير عيسى بن مهنا ([3])الذي وعده بالانحياز له عند وصول حملته إلى بلاد الشام ([4]) .

خامسا :- فرض حصار اقتصادي على المماليك .

للتضييق على المماليك ، وجه أباقا خان أوامره سنة 661هـ/1262م إلى الملك هيثوم ملك الأرمن لقطع التبادل التجاري بينه وبين المماليك ([5]) ,كما لجأ سنة 676هـ/1277م إلى منع قدوم التجار من مصر إلى بلاد المغول أو العكس([6]) .

سادسا :- إرسال الجواسيس .

جريا على عادة المغول , دأب الأيلخان أباقا خان على إرسال الجواسيس إلى الدولة المملوكية , وقد تغلب المماليك على الأيلخان بالقبض على أحدهم سنة 680هـ/ 1281م عندما أرسلوا أميرا مغوليا إلى مصر, قال بيبرس المنصوري (ت725هـ/ 1324م) عنه أنه **" كان قادما إلى مصر لكشف المراعي والمروج " ([7]) ,** إلا أن المماليك القوا القبض عليه واخذوا منه معلومات عن حملة كان لمغول يعدون

([1]) بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص157 ؛ اليونيني , الذيل , ج3 , ص186 ؛ ابن شافع الكاتب , الفضل المأثور , ج1 , ص54 ؛ أبو الفدا , المختصر , ج2 , ص338 ؛ العيني , عقد الجمان , ج2 , ص156 ؛

([2]) مدينة مشهورة ببلاد الروم قريبة من ابسس مدينة أصحاب الكهف انظر البغدادي , مراصد الاطلاع, ج , 1 , ص18

([3]) هو عيسى بن مهنا بن مانع حديثة , كتب له بيبرس عند توليه السلطنة بالإمرة على العربان , انظر , ابن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج7 , ص98

([4]) مجهول , الحوادث الجامعة , ؛ ابن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج7 , ص254 ؛ عاد الأمير عيسى بن مهنا نادما إلى السلطان المنصور قلاوون يسأل الصفح والعودة إلى المماليك انظر : ابن الفرات , تاريخ , تاريخ ج7 , ص186

([5]) ابن العبري , مختصر الدول , ص 285 ؛ العيني , عقد الجمان , ج2 , ص31

[6] اليونيني , الذيل , ج3 , ص254

([7]) بيبرس المنصوري , مختار الأخبار , ص98

العدة لها , حيث كشف لهم موعدها , وان المغول سوف " **... يقصدون الشام قصدا صحيحا , وجمعوا جمعا كبيرا "(1).**

يتضح مما سبق أن السياسة التي اعتمدها الأيلخان أباقا تجاه المماليك , لم تفلح, إذ لم يستطع أن يحقق أيا من اهدافه , لذا فقد قرر غزو بلاد الشام, فبعـث رسـالة انفرد ابن شاكر الكتبي (ت664هـ/ 1 265م) بذكر جزء منها , أرسلها على سبيل التهديد إلى السلطان بيبرس سنة 676هـ/ جاء فيها : " **.. فإذا كنتم تريدون لقاءنـا وقتالنا , فادخلوا الميدان كالرجال وثبتوا الأقدام ... وان لم تـأت فـان جيوشـنا مستعدة لقتالك في طليعة الشتاء , وإذا امتدت نار غضبنا إلى بلاد الشام فإنها بلا ريب سوف تأتي على كل مالكم من اخضر ويابس ... (2)** ، رفض أباقـا تهديـده ودخل بعض مناطق بلاد الشام , وملك عينتاب , وبغراس(3) , والدربساك, مستغلا وفاة السلطان الظاهر بيبرس سنة 676هـ/ 1277م , إلا أن قواته عادت أدراجها .

وقد تحرك ثانية على رأس جيشه سنة 680هـ/ 1281م وهاجم حلب وحماة (4)، فتصدت له العساكر المملوكية ومعها الملك المنصور صاحب حماة (5) ، فحلـت الهزيمة بالجيش المغولي في موقعة حمص (6) .

لم ينجح أباقا خان في الوصول إلى بلاد الشام أو مصر بعد هذه الهزيمة حيث توفي سنة 680هـ/1281م , تاركا المهمة للايلخان احمد تكودار.

---

(1) بيبرس المنصوري , مختار الأخبار , ص98

(2) الكتبي , عيون التواريخ ,ج21 , ص71

(3) مدينة قرب انطاكيا . انظر البغدادي, مراصد الاطلاع , مج1 , ص209

(4) بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص195 ؛ ابن دقماق , الجوهر الثمين , ح1 , ص94 فاروق فوزي , حكام بلاد فارس والعدوان على العراق خلال العصر العباسي , ط1 , دار الـشؤون الثقافيـة العامة , العراق , بغداد 1988م, , ص49 وسيشار إليه تاليا : فاروق فوزي , حكام بلاد فارس

(5) ابن الفرات , تاريخ , ج7 , ص186

(6) مجهول , الحوادث الجامعة , ص415 ؛ بيبرس المنصوري , التحفة الملوكيـة , ص100 ؛ ابـن الوردي , تاريخ , ج2 , ص326 ؛ العيني , عقد الجمان , ج2 , ص278 ؛ ابن دقماق , الجوهر الثمين , ج1 , ص95 ؛ المقريزي , السلوك , ج1 , ق3 , ص690

3.4 في عهد الأيلخان أحمد تكودار .

خرجت السياسة الخارجية للدولة الأيلخانية تجاه المماليك عن مسارها العـدائي بمقتل أباقا خان سنة 680هـ / 1282م ، وتولي الأيلخان احمد تكودار العرش ، فقد نهج سياسة تميزت عن غيره وكان من ابرز مرتكزاتها ، محاولتـه التقـارب مـع المماليك ودعوته للصلح معهم. وقد اتبع للوصول إلى ذلك ما يلي :

أولا : إتباع نهج جديد في حكم العراق.

كان استنقاذ العراق من أيدي المغول الايلخانيين هدفا من أهم أهداف الـسياسة المملوكية ، منذ أن أحيت الخلافة العباسية في مصر سنة 659هـ/1260م ، لذا فقد بادر الأيلخان احمد تكودار إلى إعلان سياسة جديدة تجاه العراق ، حيث وجه رسالة إلى أهل بغداد يعلمهم فيها اعتماده قواعد الشريعة الإسلامية وانه أمر بان يتبع مـا كان معمولا به إبان عهد الدولة العباسية بخصوص المدارس والأوقاف ؛ وهو مـا تضمنته رسالته إليهم والتي جاء فيها :

" بسم الله الرحمن الرحيم , وإنا جلسنا على كرسي الملك ، ونحـن مـسلمون فيتلقون أهل بغداد هذه البشرى، ويعتمدون في المدارس والوقوف، وجميع وجوه البر ما كان يعتمد في أيام العباسين ، ويرجع كل ذي حق إلى حقـه فـي أوقـاف المساجد والمدارس ، ولا يخرجون عن القواعد الإسلامية، وانتم يا أهـل بغـداد مسلمون، وسمعنا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: لا تزال هذه العـصابة الإسلامية مستظهرة ظافرة إلى يوم القيامة،وقد عرفنا أن هذا الخبر خبر صحيح، ورسول صحيح، ورب واحد احد فرد صمد, فتطيبون قلوبكم وتكتبون إلى الـبلاد جميعها . " ([1]) .

ثانيا : المبادرة بدعوة المماليك إلى التصالح .

بادر الأيلخان احمد تكودار إلى مخاطبة السلطان المنصور قلاوون برسالتيـن أحداهما مكتوبة , والأخرى شفوية على لسان سفيره إليه ، مع هدية ([2]) , أما مـا

([1]) بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص219

([2]) الكاتب , الفضل المأثور , ص79

ورد في رسالته المكتوبة سنة 681هـ/1282م ، فقد تـضمنت إعـلان إسـلامه وسياسته بإيقاف الجيوش التي أعدها قبله أباقا خان للانتقام من هزائمه أمام المماليك وقد جاء فيها قوله : "**فاجتمع عندنا في قوريلتاي المبارك وهو المجمع الذي تنقدح فيه الآراء (؟) جميع الأخوان والأولاد والأمراء الكبـار ومقـدمو(؟) العـساكر وزعماء البلاد , واتفقت كلمتهم على تنفيذ ما سبق به حكم أخينا الكبير في إنفـاذ الجم الغفير من عساكرنا التي ضاقت الأرض برحبها من كثرتها وامـتلأت الأرض رعبـا لعظيم صولتـها** " ([1]) .

كما أعلن في الرسالة نفسها استنكاره لما أحدثته هذه الجيوش من رعب وانـه أمر بان تكون مهمتها إعلاء كلمة الدين وإصلاح أمور المسلمين وحقن الدماء فقال " **.. فوجدناه** [أي ما أحدثته من رعب] **مخالفا لما كان في ضميرنا مـن اقتنـاء الخير العام الذي هو عبارة عن تقوية شعار الإسلام وان لا يصدر عن أوامرنا ما أمكننا إلا ما يوجب حقن الدماء وتسكين الدهماء** " ، وأمر كذلك " **بإصلاح أمـور المساجد والمدارس وتعظيم أمر الحاج وعدم التعرض لهم أو مصادرة أموالهم**" ([2]) ، كما سمح بحرية التجارة ، وبادر إلى إطلاق الجواسيس ممن قبض عليهم فـي دولته ([3]) .

وقد تفرد صاحب الحوادث الجامعة بإيراد جزء من رسالة بنص مختلف ذكـر أن الأيلخان احمد تكودار بعث بها إلى السلطان المنصور قلاوون يبدو أنها الرسالة ذاتها التي أشير إليها آنفا رغم انه أرخ إرسالها بسنة 680هـ / 1282م ، ذلك أن الرسالتين تحدثتا عن عرض الصلح وكف العساكر عن قصد دولة المماليك وحرية التجارة إلا أن الرسالة الثانية تضمنت نصا لم يرد في الأولى جاء فيـه : " **إن ا تعالى حبانا بالأيلخانية وأمر بالعدل , وحقن الدماء , فان أردت الموادعة فـنحن**

([1]) انظر ملحق ك

([2]) الملحق ك نفسه

([3]) المقريزي , السلوك , ج1 ,ق3 , ص708

نكف عسكرنا عن قصد بلادك ونفسح للتجار في السفر كيف شاءوا امنين , فـان فعلت ذلك وإلا فعين للقتال موضعاً . " ([1])

عرض الأيلخان احمد تكودار شروط الصلح في رسالته إلى السلطان المنصور بن قلاوون بإزالة العراقيل الموضوعة على التجار مـن قبـل الجهتـين المماليـك والأيلخانيين ، وتسهيل قوافل الحج وتوفير الحماية الأمنية لها ، وعدم تعرض جنوده لحدود دولة المماليك .

أما عما ورد في رسالته الشفوية للسلطان فقد تضمنت " **إن الله قد أعطاه من العطاء ما أغناه عن امتداد الطرف إلى ما في يد غيره مـن ارض ومـاء ، فـان حصلت الرغبة في الاتفاق على ذلك فالأمر حاصل** " أما فيما يتعلق بشن الغـارات قال الأيلخان انه " **.. إذا حصل التصميم على أن لا تبطل هذه الغـارات فيعـين** [السلطان] **مكانا يكون فيه اللقاء ، ويعطي الله النصر لمن يشاء** " ([2]) .

وقد أجاب السلطان المملوكي المنـصور قـلاوون علـى الرسـالة المكتوبـة بخصوص قضية العساكر التي سبق أن أعدها الأيلخان أباقا فامتدح موقف الأيلخان احمد تكودار ووصفه بأنه " **فعل الملك المتقي المشفق من قومه على مـن بغـي , المفكر في العواقب بالرأي الثاقب** " ([3]) , كما رحب بدخوله الإسلام وانه بذلك قد " **ذهبت الأحقاد وزالت الذحول** " ووعد السلطان باتخاذ الإجراءات نفسها التي اتخذها الأيلخان .

أما فيما يتعلق بجواب السلطان قلاوون على ما ورد في الرسالة الشفويـة من رغبة في الاتفاق ، فقال : **أن " ثمة أمورا متى حصلت عليها الموافقة ابتنى على ذلك حكم المصاحبة والمصادقة , وان كانت له رغبة معروفة إلى الاتحاد وحـسن الوداد وجميل الاعتضاد وكبت الأعداء والامتداد والاستناد إلى من يشتد الأمر بـه عند الاستناد فالرأي إليه في ذلك** " ([4]) ، وطالما أن لديه ما يغنيه من العطاء " **فلا**

([1]) مجهول ,الحوادث الجامعة , ص424

([2]) بيبرس المنصوري ,زبدة الفكرة , ص226

([3]) انظر ملحق ل

([4]) بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص226

حاجة إلى إنفاذ المغيرين الذين يؤذون المسلمين بغير فائدة فالجواب عن ذلك انـه إذا كف العدوان وترك المسلمين وما لهم من ممالك سكنت الدهماء وحقنت الدماء " ([1]) , وأما رده حول تحديد مكان للقاء والمواجهة في حالة عدم رغبة الـسلطان بالصلح ،أجاب السلطان قلاوون : " **أن الأماكن التي اتفق فيها ملتقى الجمعين مرة ومرة ومرة قد عاف مواردها من سلم من أولئـك القـوم , وخـاف أن يعاودهـا فيعاوده مصرع ذلك اليوم , فوقت اللقاء علمه عند ا فلا يقدر , وما النـصر إلا من عند ا , وما أمر ساعة النصر إلا كالساعة لا تأتي إلا بغتة .** " ([2])

وقد واجهت سياسة الأيلخان احمد هذه معارضة مـن بعـض أمـراء البيـت الايلخاني ([3]) ولكنه اظهر مع ذلك حماسا كبيرا لتنفيذ ما خطط له وأرسـل سـنة 682هـ/ 1283م رسالة إلى السلطان المنصور قلاوون يؤكد ما دعا إليـه فـي رسالته السابقة فقال :

"**...إن الملك العظيم الذي ادخره لنا جدنا جنكيز خان وآباؤنا الكرام ، بعد الـصبر على المشقة في تحصيله والمقاساة ، وتحمل أعباء الشدائد والمعانـاة ، بمجـرد النزاع والخصام وخلاف الوفاق واختلاف الكلام ، قد اشرف على شحوب بهجتـه وبهائه وتكدير رونق صفاء مائه والآن آن أن نستبدل وحشة النزاع بأنس الصلح ونتعوض عن غيهب ليلة النفار والنفار تباشير الصبح وتغمد السيوف البواتر التي استلت من الأغماد ...**" ([4]) .

كان لهذا الصلح أهميته خلال عهد الأيلخان احمد تكودار(680 ـ 683هـ/ 1282 ـ 1285م **)،** فقد أدى إلى وقوف الحرب بين المماليك والأيلخانيين وإلى انتعاش التجارة الخارجية بينهما([5]) إلا أنها لم تستمر طويلا , بل تعثرت بسبب الضمانات المطروحـة

([1]) بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص226

([2]) المصدر نفسه , ص196

([3]) المصدر نفسه 226

([4]) انظر ملحق م

([5]) ابن العبري , تاريخ الزمان , ص345 ؛ الحسو , الواقع الحضاري , موسوعة الموصل , ج2 , ص238

من المماليك ، لإدراكهم عدم تحمس الطبقة الحاكمة من المغول الرافضة لسياسة التقارب مع المماليك بعد فشل الأيلخان احمد تكودار إجبارهم على دخول الإسلام مما نـصه : " **.. وربما شرذمة من الجهال من أهل الشقاق والنفاق الذين لا تجتمـع كلمـتهم علـى الوفاق, تنافى طبائعهم الصلح والاتفاق, يريدون ليطفئوا نور ا بأفواههم, وا مـتم نوره لاختلاف ملتهم , وطمعاً في إدراك بغيتهم , فالواجب أن لا تسمع أقوالهم ,وتترك أفعالهم, أولئك الذين حبطت أعمالهم, من المعلوم أن كل أمر يمكن اعتماده على الوجه الجميل بحيث تنحسم فيه مواد القال والقيل لا ينبغي أن تكون الحال فيه بالضد خصوصاً في الخطب الاد والأمر الجد ." ([1])**

إضافة إلى مطالبة أرغون بن أباقا بالأيلخانية بعد أبيه مما أدى إلى زيادة التمـرد عليه وسقوطه سنة 683هـ/1285م ([2]) .

وقد عقب اليونيني على السياسة التي اتبعها الأيلخان احمد ، فذكر أنهـا جـاءت نتيجة " **لضعف الجيش (الايلخاني) وقتل الرجـال فـي المعـارك** " ([3])ولرغبـة الأيلخـان " **في سلامـة العقبى والمال ، ورفقا بمـن بقي عنده مـن جند ..** "([4]) هو ما دعاه إلى طلب الصلح من المماليك .

مع تولي الأيلخان أرغون عرش الأيلخانية ، عادت الدولة الأيلخانية إلى سياستها التقليدية تجاه المماليك أي أنها سلكت ذات السلوك الذي أرسى قواعده هولاكو ، حيث

([1]) انظر ملحق 13 السابق

([2]) ابن عبد الظاهر، محي الدين , تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور, تـح : مراد كامل , ط1, الشركة العربية للطباعة, الجمهورية العربية المتحدة وسيشاراليه تاليا : ابـن عبد الظاهر , تشريف الأيام , ص4 ؛ بيبرس المنصوري , التحفـة , ص109 ؛ أبـو الفـدا , المختصر , ج2 , ص350 ؛ المقريزي , السلوك ج1, ق3 , ص714 ؛عادل هلال , العلاقات , ص118 ؛ عبد علي ياسين , العراق في عهد المغول الايلخانيين , رسـالة دكتـوراه , جامعـة الأزهر 1978م , ص309 ؛ رنسيمان , تـاريخ , ج3 , ق2 , ص672 ؛ بارتولـد , العـالم الإسلامي , ص70

([3]) اليونيني , الذيل , ج4 , ص213

([4]) ابن شافع الكاتب , الفضل المأثور , ص67

حول الأيلخان الجديد وجهته نحو الغرب الأوروبي مـشجعا علـى التحـالف معهـم وإرسال حملة مشتركة للقضاء على المماليك.

ومهما يكن من أمر، فان هذه السياسة لم تسفر عن أية خطوة عملية في عهـد الأيلخان أرغون ، وظل الأمر كذلك حتى تولي الأيلخان محمود غازان الأيلخانيـة سنة 695هـ / 1295م ، فقد شغلت الدولة آنذاك بخلافاتهـا الداخليـة ونزاعـات الطامعين بعرشها ، دون التفكير بغزو بلاد الشام و مصر، باستثناء حملة صـغيرة وجهها الأيلخان كيخاتو(690 -695هـ/1291-1295م) سنة 691هـ ـ/1291م إلى مدينة الرحبة ، بيـد أن الأيلخـان نفـسه اتـصل سـنة 692 هـ ـ/1292م بالمماليك في عهد الأشرف خليل ، وعرض عليهم صلحا لا يخلوا من تهديد ، فقـد وجه إليهم رسالة أبدى رغبته فيها بالإقامة بمدينة حلب وقال " **...إنها مما فتحـه أبوه هولاكو , وان لم يسمح له بذلك اخذ بلاد الشام .** " فأجابه الأشرف بقولـه: " **قد وافق القان ما كان في نفسي فاني كنت علـى عزم من أخذ بغداد وقتل رجالـه فاني أرجو أن أردها دار إسـلام كما كانت وسينظر أينا يسبق إلـى بـلاد صاحبه .** " (1) مما عبر عن اتساع التناقض بين مصالح الطرفين .

من الواضح أن النشاط العسكري للدولة الأيلخانية في الفترة التي أعقبت وفـاة أباقا خان سنة 680هـ/ 1281م حتى سنة 695هـ/ 1295م ، قد توقـف بـسبب الخلافات الداخلية والنزاع على عرش الأيلخانية , مما ساهم في قتـل ثلاثـة مـن ايلخاناتها , إذ بعد إقصاء كيخاتو عن العرش في آذار سنة 695هـ/1295م وقتلـه وصل بايدو إلى السلطة ولم يصمد طويلاً فانسحب عن الحكم في تشرين الثاني من السنة نفسها لكي يتولى عرش الأيلخانية بعده الأيلخان محمود غازان.(2)

---

(1) المقريزي , السلوك , ج1 , ق3 , ص786

(2) بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص260, 262, 306 ؛ بارتولد , العالم الإسـلامي , ص74 ؛ القزاز , الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية , ص436

4 .4 في عهد محمود غازان .

لم تشهد السنوات الأربع الأولى من عهد الأيلخان محمود غازان توترا ملحوظا مع المماليك ، إلا انه بدأ منذ سنة 699هـ/1299م يخطط لضم بلاد الشام إليه جريا على ما سلكه الايلخانات ، قبل عهد الأيلخان احمد تكودار، وقد شجعته جملـة مـن المتغيرات التي حصلت في مصر إبان هذه الحقبة وهي :

1- **اضطراب أوضاع الدولة المملوكية .**

عاشت دولة المماليك حالة من الصراع والتنافس للوصول إلى السلطنة ، ويبدو أن غازان كان يترقب فرصة كهذه ، للانقضاض عليها ، فاستغل هذا الظرف ، ووجـه سنة 699هـ/1299م ، رسالة إلى الأمراء وعساكر المماليك ، طلب مـنهم فيهـا الاستسلام وفتح أبواب القلاع قال فيها : " **إن من أفعالكم المذمومة أن تنصبوا فـي كل شهر وعام سلطانا , وتبايعون وتحلفون على طاعته والإعراض عن مخالفته , ثم تخالفونه بعد قليل ، وتقتلون ذوي الأمر منكم خلافا لما أمر ا في كتابه العزيز بطاعة أولي الأمر منكم** " ([1])

2- **قبول السلطان المملوكي لجوء المغول الأوراتية إلى مصر.**

رحب السلطان المملوكي زين الدين كتبغا بأعداد كبيرة من مغول الأويراتية([2])، الذين فروا إلى مصر سنة 693هـ/ 1293م ، بعد أن شاركوا في مؤامرة للإطاحة بحكم الأيلخان كيخاتو ، ويبدو انه رحب بهم على قول ابن كثير لأن أصوله مـنهم ولأنه " **أراد أن يتقوى بهم** " ([3]) ، وقد أثار هذا الأمر الدولة الأيلخانية .

3- **ترحيب المماليك بالأمراء المغول الفارين من الدولة الأيلخانية .**

هرب بعض أمراء المغول للعمل إلى جانب المماليك , كالأمير سلامش بن افاك وأخيه , و أمراء آخرين , وكان سلامش قد تمرد على الأيلخان محمود غازان

([1]) انظر ملحق ن

([2]) انظر هامش رقم (3) ص29

([3]) ابن كثير , البداية , ج13 , ص343 ؛ العيني , عقد الجمان , ج3 , ص648

حين أرسله في حملة لتأديب الروم سنة 697هـ/1297م ([1]) , وقد عبر الأيلخان عن انزعاجه الكبير من قبول المماليك له , وقال في رسالته التي وجهها إليهم : " .. **فحيث عصى من عندنا سلامش , وانخرط في الخوارج والمرتدين , وأقدم على إيذاء المسلمين ببعض بلاد الروم , وتخريب بيوتهم ونهب أموالهم , هرب من عسكرنا المنصور, وتوجه إلى تلك البلاد , كانت الشريعة النبوية والشفقة الإسلامية تقتضي أن تمسكوه وتبعثوه مغللا بالحديد , مسلسلا إلى عتبتنا العالية , فتغافلتم وتهاونتم عن هذا , بل زودتموه بالعساكر والأنعام والنجدة إلى فوج من التركمان , ووعدتموه مواعيد حتى يقع القتال بين المسلمين** " ([2]) .

كما فشلت محاولة نيروز أتابك الأيلخان غازان ، الاتصال بالسلطان المملوكي لمساعدته في إرسال عسكر للقضاء على غازان ، حيث وقعت رسائله في يد الأيلخان وتم قتله ([3]) .

4- التحاق عدد من الأمراء المماليك بالأيلخان محمود غازان , ومنهم سيف الدين قبجق([4]) ،وسيف الدين بكتمر السلحدار ، وسيف الدين بلبان الطباخي ([5]) ، وقد ذكر المؤرخ بيبرس المنصوري أن هؤلاء " **لحقوا بغازان وأقاموا عنده إلى أن كان منهم ما كان ، واستبدلوا أرضا بأرض ، وإخوانا بإخوان ..ولما استقر بهم القرار زوجوا بنسوان من التتار**"([6]) ، ثم قال أيضا أنهم " **حسنوا له أن يزحف على**

([1]) بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص319

([2]) انظر الملحق ن

([3]) بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص318

([4]) نائب السلطان في الشام , وصله أن السلطان المنصور حسام الدين لاجين أرسل للقبض عليه اعتذر للسلطان عما بدر منه سنة 699 هـ/1299م وكاتبه في الباطن انظر : العيني , عقد الجمان , ج4 , ص428 ؛ ابن الجزري , تاريخ , ج1 , ص427 ؛ الهمذاني ؛ جامع التواريخ تاريخ غازان , ص156 ؛ مجهول , الحوادث الجامعة , ص156

([5]) منحه الأيلخان غازان همذان ورفضها لرغبته في البقاء إلى جانب الأيلخان انظر : ابن الجزري , تاريخ , ج1 , ص428

([6]) بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص318

البلاد " ([1]) ، مما ساعد على تهيئة الأجواء لتحقيق طموحات الأيلخان محمود غازان في السيطرة على بلاد الشام ومصر .

في ظل هذه العوامل ، اتخذ الأيلخان محمود غازان قراره بغزو بـلاد الـشام ، وابتدأت أولى غاراته سنة698هـ/ 1298م ، على مدن ديار بكر ، والبيـرة ([2]) ، والرحبة ، وحلب ([3]) ، إلا أنها لم تلبث أن تراجعت بسبب الثلوج وسوء الأحوال ([4]) ، ثم أعقبها في السنة التالية حملة كبرى كان على رأسها غازان نفسه ، ويلاحـظ انه اتبع في كل مرحلة من مراحل زحفه نحو مدن الشام ، وسائل الترهيب للمماليك ، إلى جانب وسائل الترغيب والاستمالة لأهل الشام ، أما هذه المراحـل فهي :

1 – المرحلة الأولى :

أغار غازان وقواته في هذه المرحلة على سلمية [قرب وادي الخزندار] ، ثـم حلب وحماة ([5]) ، وحقق سنة 699هـ/ 1299م انتـصارا كبيـرا علـى الجـيش

([1]) ابن إياس , بدائع الزهور , ج1 , ق1 , ص403

([2]) ابن الجزري , تاريخ , ج1 , ص423 ؛ ابن أيبك , كنز الدرر , ج9 , ص8 ؛ المقريزي , السلوك , ج1 , ق3 , ص675

([3]) ابن الجزري , تاريخ , ج1 , ص435 ؛ ابن تغري بـردي , النجـوم الزاهـرة , ج8 , ص95

([4]) ابن الجزري , تاريخ , ج1 , ص426 ؛ ابن أيبك , كنـز الـدرر , ج9 , ص8 ؛ ابـن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج8 , ص97

([5]) ابن الجزري , تاريخ , ج1 , ص463 ؛ الهمذاني , جامع التـواريخ (تـاريخ غـازان), ص163 ؛ أبو الفدا , المختصر , ح2 , ص382 ؛ ابن أيبك , كنز الدرر , ج8 , ص17 ؛ ابن الوردي , تاريخ , ج2 , ص353 ؛ ابن كثير , البداية , ج14 , ص7 ؛ ابن دقماق , الجـوهر الثمين , ج1 , ص130 ؛ المقريزي , السلوك , ج1 , ق3 , ص888 ؛ العيني , عقد الجمان , ج4 , ص7 ؛ ابن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج8 , ص98

المملوكي فيما يعرف بموقعة حمص ، بسبب تخاذل العسكر المملـوكي مـن جهـة الميمنة ([1]) .

وقد حاول خلال معاركه هذه أن يظهر بمظهر المدافع عن الإسلام والمسلمين في بـلاد الشام ومصر ، فكتب إلى أمراء ونواب المماليك يطلب تسليم القلاع ، وبين فيه أن الـسبب الذي اوجب عليه غزو الشام،أن سلاطينهم تجاوزوا الحد،وانه قادم لإقامـة العـدل وإزالـة الجور،وقال في ذلك "**.. أوجبنا على أنفسنا الغزو والجهـاد،وقمع المـشركين والخـوارج والمتمردين والظالمين ، وسمعنا أن أهل مصر والشام الذين أمسى منهم مسلمون ما لهـم عهد ولا ميثاق ولا أمانة ولا ديانة ، ويأخذون أموال المـسلمين , ويقـصدون دمـائهم , توجهنا قاصدين دمارهم لدفع الحركات الردية البادية منهم وإثباتهم على دين الإسـلام .. وها نحن متوجهون بأنفسنا إلى تلك البلاد بالعساكر الكثيرة التي ما لها نهاية ولا حد** ([2]).

2 - **المرحلة الثانية :**

تحركت جيوش غازان في هذه المرحلة على مدن البيـرة ، والرحبـة، وحلب،وحمـاة ، وبيسان([3])، وانتهت غاراتهم بالسيطرة على القدس ، والخليل وغزة ([4])،وفي حـين توجهـت نحو دمشق ، أرسل غازان إلى أهل الشام فرمانا جديدا هاجم فيه حكامهم وقال أنهم :"**...أمـم مختلفون يتسترون في الأكنان ، ويتغيبون في ابعد المكان ، وكان منهم سكان مصر والشام ، واجتمع بها من المماليك والخوارج زمرة ، غرتهم سلامتهم من المغل المشتغلين عـنهم بما كان أهم عندهم منهم ، وطفقوا كل قليل يختارون من بينهم مملوكا مـن أرذل الأجنـاس**

([1]) أبو الفدا , المختصر , ج2 , ص382 الهمذاني , جامع التـواريخ (التـاريخ غـازان) , ص163 ؛ ابن أيبك , كنز الدرر , ج8 , ص17 ؛ الصفدي , الوافي بالوفيات , ج4 , ص358 ؛ النويري , نهاية الأرب ,ج 31 , ص222 ؛ رنسيمان , تاريخ , ج3 , ق2 , ص736 ؛ العيني , عقد الجمان , ج4 , ص10

([2]) انظر ملحق ن

([3]) الهمذاني , جامع التواريخ (تاريخ غازان), ص163 ؛ أبو الفـدا , المختـصر , ج2 , ص382 ؛ ابن الوردي , تاريخ , ج2 , ص353

([4]) ابن كثير , البداية , ج14 , ص8 ؛ العينـي , عقـد الجمـان , ج4 , ص44 ؛ص84 ؛ اسطفان الدويهي , تاريخ , ص279

فيملكونه على الإسلام ويحكمونه في رقاب الأنام " , كما اتهمهم بالتقصير في إتباع أدب الملوك من المجاملة والتقرب بإرسال الهدايا فقال " **كان من الواجب المتعين وأدب الملوك الهين ، أن هؤلاء المماليك يهنئونا بما وهب الله لنا من الملك العظيم ، وهدانا إليه من الصراط المستقيم ،, ويرسلون إلينا رسلهم بتحف السلاطين ، فمرت على ذلك ثلاث سنين ، وهم يجهلون حقوق الأدب ، وأنهم تجاوزوا في البغي الحد ، واغتروا بعدم التفات المغول إليهم ، ورد ذلك بأنه كان وبالا عليهم ... لأننا رفعنا التنازع بيننا وبين أقاربنا ، وجعلنا قصد مملكتهم من مطالبنا..** "[1].

وقد شمل فرمانه دعوة إلى أمراء ونواب المماليك بمنحهم الأمان , وذكر انه أن كاف بعض أمرائه بتنفيذ ذلك فقال " **.. وكل من أعطاه احد من هؤلاء الأمراء أمانا فهو أماننا ، وكل جندي أراد خدمتنا فقد أمرناهم أن يعينوا له إقطاعا يليق به ، وليثقوا بما أودعه الله لهم في قلوبنا من الرأفة وحسن النية ، وليطيعوا هؤلاء الأمراء الطاعة الموفقة ، ولا يتخاف احد من طاعتهم ، فقد أخذنا عليهم العهود بالعدل والشفقة ، وان خالف أحد وعصى فلا بد أن يذوق كاس الردى** " .[2]

وتأكيدا لما وعد به أرسل فرمانا آخر لأهل دمشق انه يمنحهم الأمان فقال :

"**... فوجب علينا رعاية تلك العهود الموثقة , والنذور المؤكدة , فصدرت مراسيمنا العالية , أن لا يتعرض احد من العساكر على اختلاف طبقاتها لدمشق وأعمالها , وسائر البلاد الإسلامية الشامية ، أن يكفوا أظفار التعدي عن أنفسهم وأموالهم وحريمهم , ولا يحوموا حول حماهم بوجه من الوجوه , حتى يشتغلوا بصدور مشروحة , وآمال مفسوحة بعمارة البلاد وبما هو كل واحد بصدده من تجارة وزراعة** ." [3]

خلافا لكل ما وعد به غازان أهل دمشق ، دخلت جيوشه يوم الجمعة من ربيع الآخر سنة 699هـ/ 1299م ونهبتها , وقتلت كثيرا من الناس فيها و قرروا على من

([1]) انظر الملحق س
([2]) انظر الملحق س
([3]) انظر الملحق ع

بقي فيها غرامات مالية ([1]) . وقد قام غازان بعد ذلك بتشكيل إدارة مغولية في بلاد الشام ، فاصدر فرمانا أناب عنه في حكمها الأمير سيف الدين قبجق ([2]) ، كما عين الأمير سيف الديـن بكتمر السلحدار على حلـب وحمـاة ، وشـيزر وإنطاكيـا، والقلاع والحصون ([3]) ، وهما أميران مملوكيان كانا قد التحقا بغازان وتعاونا معـه فأثابهما .

ويبدو أن غازان شعر في هذه المرحلة بتمكنه وسيطرته على بلاد الشام ، لـذا فقد غادرها في يوم الجمعة ثاني عشر جمادى الأولى من السنة نفسها ([4]) ، إلى مقر حكمه ، لمعالجة هجوم أيلخانية جغتاي المغولية على خراسان ، غير أن تقديره لـم يكن في محله فقد حصلت متغيرات قلبت موازين القوة بينه وبين المماليك وهي :

1 - عودة الأمير سيف الدين قبجق نائب غازان في حكم بلاد الشام ومن معه مـن الأمراء إلى طاعة السلطان المملوكي كتبغا ([5]) .

2 - تمكن العسكر المملوكي دخول بلاد الشام وتحشده عند أطراف حـدود هـذه البلاد مع الدولة الأيلخانية .

ردا على هذه المتغيرات قدم الأيلخان غازان سـنة 700هـ ـ/ 1300م بقواتـه وحاول أن يظهر قوته فهاجم أطراف حلـب ([6]) ، وحمـاة وسـرمين والمعـرة ، ووصلت رجاله إلى أنطاكيا ([1]) " **فنهبوا وسبوا** " ([2]) ، وباعوا الأسرى للأرمن

([1]) ابن أيبك , كنز الدرر , ج8 , ص29

([2]) انظر فرمان غازان لسيف الدين قبجق لدى : بيبرس المنصوري , زبدة الفكـرة , 340-341 ؛ ابن أيبك , كنز الدرر , ج8 , ص25- 27 ؛ العيني , عقد الجمان , ج4 , 60 - 63

([3]) انظر فرمان غازان لسيف الدين بكتمر السلحدار لدى : بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص342-343 ؛ العيني , عقد الجمان , ج4 , ص63-65

([4]) ابن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج8 , ص103

([5]) بيبرس المنصوري , التحفة , ص160 ؛ المقريزي , السلوك , ج1 , ق3 , ص915

([6]) بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص160 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج31 , ص258 ؛ ابن أيبك , كنز الدرر , ج8 , ص46 ؛ ابن دقماق , الجوهر الثمين , ج1 , ص132 ؛ العماد الحنبلي , شذرات , ج5 , ص455 ا

والفرنج ([3]) ، إلا انه لم يستطع التقدم أكثر من ذلك([4]) ، ومع ما يبـدو شـعورا بالفشل ، عاد إلى نهج سياسة نقيضة لما سلكه من قبل فأرسل إلى المماليك مطالبـا بالصلح فقد جاء في رسالته إلى السلطان الناصر محمد قوله : " **.. انه متى تقـدمنا بعساكرنا الباهرة , وجموعنا العظيمة القاهرة , ربما أخـرب الـبلاد مرورهـا , وبإقامتهم فيها فسدت أمورها , وعم الضرر العباد , والخراب البلاد فعـدنا بقيـا عليها ونظرة لطف من ا إليهـا ..**" ([5]) ، كما تضمنت رسالته استنكارا لتعـديات العساكر المملوكية على أطراف بلاده وأنها تعني " **...مخالفة السلطان سنن الملوك في حسن السلوك** " وخاطب لسلطان الناصر محمد **قائلا: " .. صبرنا على تمـاديكم في غيكم وخلودكم إلى بغيكم** " وتمنى عليه المبادرة إلى إصلاح الأحوال .

وقد أورد المؤرخ ابن أيبك (ت 735هـ/1334م) رسـالة أخـرى أرسـلها الأيلخان غازان إلى السلطان الناصر في السنة ذاتها معتذرا عن غزوه لدمشق معلنا استنكاره لما فعله جنده فيها جاء فيها: " **.. ثم لما رأينا الرعية تضرروا بمقامنا في الشام لمشاركتنا لهم في الشراب والطعام وما حصل في قلوب الرعية من الرعـب عند معاينة جيوشنا التي هي كمطبقات السحب فأردنا أن نسكن خوفهم بعودتنا من أرضهم بالنصر والتأييد ..** " **([6])** مؤكدا على الصلح فقال : " **... فلنرجع الآن إلى إصلاح الرعايا , ونجتهد نحن وانتم في العدل في سائر القضايا فقد انضرت بيننـا وبينكم حال البلاد وسكانها , ومنع الرعية الخوف والقرار في أوطانها ..**" ([7])

([1]) ابن أيبك , كنز الدرر , ج8 , ص46 ؛ ابن الوردي , تاريخ , ج2 , ص355 ؛ ابن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج8 , ص107

([2]) ابن أيبك , كنز الدرر , ج8 , ص46 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج31 , ص258

([3]) ابن أيبك , كنز الدرر , ج8, ص46 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج31 , ص258

([4]) بيبرس المنصوري , التحفة , ص160 ؛ ابن أيبك , كنز الدرر , ج8 , ص46 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج31 , ص258 ؛ العماد الحنبلي , شذرات , ج5 , ص455

([5]) انظر ملحق ف

([6]) انظر ملحق ص

([7]) الملحق نفسه

إن هذا التحول المفاجئ في سياسة الأيلخان غازان جعل السلطان الناصر محمد يتشكك في نواياه ، وهو ما دعاه إلى نقل شكوكه بمدى صدقه في طلب الصلح إلـى القاضي ضياء الدين ؛ سفير الأيلخان غازان إليه ، " **فحلف القاضي إيمانا مؤكدة انه ما يعلم من غازان وخواصه غير الصلح وحقن الدماء ورواح التجـار ومجيـئهم وصلاح الرعية .** " وخاطب المماليك فقال : "**...ومن المصلحة أنكم تتقووا وتبقوا على ما انتم عليه من الاحتراز والاهتمام لعدوكم ،ولكم عادة في كل سنة تخرجون الجيوش لحفظ أطراف بلادكم ، فان كان الأمر صحيحا أو خديعة ،ظهر لكم بعـد ذلك** " ([1]) .

لم يعط الناصر ردا على طلب الصلح ، وطالب بإرسال احد كبار رجال دولته ليتم التداول معه بهذا الشأن ، لضعف أمر من أرسلهم من الرسل وهو ما نص عليه في رسالة بعث بها إليه سنة 701هـ/ 1301م وصفهم حيث قال : " **لم يخف علينا انحطاط قدرهم ولا ضعف أمرهم ..**" ([2]) كما أورد ابن أيبك رسالة أخرى بمضمون مشابه قال فيها : " **...إن كنتم تريدون الصلح والإصلاح فترسل إلينا شخـصا مـن كبار دولتك وحكام عشيرتك ليكون إذا قطع امرأ أو فصل حكما عولتم عليه .. وان لم يكن كذلك رددناه بخفي حنين .. " ([3]) .**

وتضمن رد السلطان الناصر محمد لغازان جوابا على تساؤله عن أسباب تغلغل القوات المملوكية عبر حدوده بأن سببه أن المغول " **سبوا وفسقوا** " فـي مدينـة ماردين ، كما أشعره بقوة دولته واعلمه انه عارف بكل أسرار دولته ، " **لان اقـرب بطانته إليه، هم العين لنا عليه وان كثر ذلك لديه** " ([4]) .

من الواضح أن غازان كان يناور المماليك لكي يكسب الوقت وينظم صـفوفه وقواته بدليل ما يلي :

([1]) ابن أيبك , كنز الدرر , ج9 , ص56

([2]) انظر ملحق ق

([3]) انظر ملحق ر

([4]) انظر الملحق ر

1- عند وصول رسل السلطان الناصر إليه ، لجأ إلى حجزهم ، ومنعهم من العودة إلى مصر . ([1])

2- تجاهل ما طلبه السلطان الناصر في رسالته إليه وأرسل كتابا إليه مع نائبه قطلوشاه مضمونه أن بلادهم " **قد أمحلت وأراضيهم من الإعشاب والمراعي قد خلت ، وأنهم على عزم الانتشار للمروج والمراعي ، فلا يرتاع المسلمون إذا سمعوا بهم**" ([2]) ، بما يعني أنهم قد يدخلون الأراضي المملوكية .

3- وجه الأيلخان غازان في السنة التالية (سنة 702هـ/ 1302م) كتابا إلى أهل الشام يستميلهم للوقوف إلى جانبه ضد المماليك ، وبين فيه أن المماليك أرسلوا الرسل إلى طقطا ، وأمراء مغول القبيلة الذهبية ، وأغروهم لإظهار الخلاف والشقاق ضد دولته ، وطالب "**...أهل الشام أهل الفطنة والدهاء ، فلا يشاركون المصريين في الشر والفتنة ، ولا يرون بما يؤول إلى وقوع المصريين في العذاب والمحنة , أردنا أن ننبههم من رقدة الغفول ونوضح طرف الود والقبول ...** " ([3]) .

يتضح مما سبق أن غازان لم يكن صادقا فيما كتبه ، وأن دعوته للصلح كانت خدعة بهدف كسب الوقت لإعادة تنظيم جيشه ومن ثم العودة إلى بلاد الشام ، وهذا ما حصل فقد قاد سنة 703هـ/ 1303م حملة جديدة إلى بلاد الشام حيث عبر نهر الفرات وهاجم القريتين ([4]) ، وغوطة دمشق ([5]) ، فالتقاه المماليك بقيادة الناصر

([1]) النويري , نهاية الأرب , ج32 , ص10 ؛ المقريزي , السلوك , ج1 , ق3 , ص927 ؛ العيني , عقد الجمان , ج4 , ص172 , 208

([2]) بيبرس المنصوري , التحفة , ص163 ؛ الزبدة ص368 ؛ العيني , عقد الجمان , ج4 , ص172 , 208

([3]) انظر ملحق ش

([4]) ابن خلدون , تاريخ , ج5 , ص408

([5]) النويري , نهاية الأرب , ج32 , ص20 ؛ ابن أيبك , كنز الدرر , ج8 , ص85 , 88 ؛ الذهبي , ذيول العبر , ج4 , ص5 ؛ الصفدي , الوافي , ج4 , ص361 ؛ المقريزي , السلوك , ج1 , ق3 , ص930 ؛ العيني , عقد الجمان , ج4 , ص222

محمد عند شقحب قرب مرج الصفر، وأوقعوا به وبقواتـه هزيمـة كبـرى ([1]) .
وأعقب ذلك إرسال رسالة إليه ، يذكره فيها بأنه " **تظاهر بـدين الإسـلام ، وأبطـن خلاف ما ظهر وتظاهر بالباطل وستر الحق ...**" ، وأعطاه صورة عما جرى لقواتـه في موقعة شقحب فقال : " **فلو رأيت أيها الملك ذلك اليوم بقيت زماناً يروعك رؤياه في النوم ، وما كنت ترى من جيشك إلا قتيلاً أو أسيراً ..**" وطالبـه العـودة إلـى شريعة الإسلام والخروج من بغداد ، وختم رسالته ببيتين قال فيهما :

" **وان كان أعجبكم عامكم فعودوا إلى الشام في قابل**

فان السيوف التي ورخت مواقعها في يـد القاتـل " ([2])

لم تؤثر خسارة غازان أمام المماليك في موقعة شقحب ، فقد قرر تجريد حملـة كبيرة أخرى وأمر بصنع سفن كبيرة ، ونصب جسرا على نهر الفرات ([3]) ، إلا أن وفاته في السنة ذاتها حالت دون تنفيذها ، لتشهد السياسة الخارجية للدولة الأيلخانيـة تغيرا جذريا بتولي الأيلخان خدابندة عرش الدولة الأيلخانية سنة 703 هـ/1303م .

4 .5 في عهد اولجايتو خدابنده .

شهدت الدولة الأيلخانية بتولي الأيلخان اولجـايتو خدابنـده تحولا مهما في السياسة الخارجية تجاه المماليك ، حين بادر فور اعتلائه العرش بعد وفاة الأيلخان غازان سنة 703هـ/ 1303م بإتباع سياسة جديدة عمن سبقه، فقد أرسل سفارة تحمل رسالة إلى السلطان الناصر محمد يؤكد فيها حرصه على توثيق روابط الصداقة ([4])، بعقد صلح لإخماد الفتن بين الجانبين ([5]) .

([1]) أبو الفدا , المختصر , ج2 , ص388 ؛ الصفدي , الوافي , ج4 , ص361 ؛ العيني , عقد الجمان , ج4 , ص235 ؛

([2]) انظر ملحق ت

([3]) ابن أيبك, كنز الدرر , ج8 , ص112

([4]) بيبرس المنصوري , التحفة , ص176 ؛ العيني , عقد الجمان , ج4 , ص320

([5]) المقريزي , السلوك , ج1 , ق3 , ص954 ؛ ابن تغري بردي , النجوم الزاهـرة , ج8 , ص134

وللتعبير عن موقفه هذا أوضح الأيلخان خدابنده انتقاده الشديد لسياسة أخيه غازان تجاه المماليك بقوله : " **إن أخي غازان ما كان له عقل في خراب البلاد وكان مسلم الظاهر وكافر الباطن ، وما دخوله الشام برضاي ولا برضا أمر المغل ، فلذلك قتله الله تعالى، وان أمراء المغل يسلمون على صاحب مصر ويطلبون منه الصلح ، وإخماد الفتنه ، وكان سبب هذا كله منهم انه بلغه أن الملك انغاي قد عزم على غزوهم فقصدوا أن يسدوا الباب من هذه الجهة ويتفرغوا لوجه واحد .. " (**[1] **)** , وختم رسالته بقوله **: " .. وعفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه . "** ([2]) , كما اقترح أن تكون مدة الصلح خمسين سنة، واقلها اثنتا عشر سنة حتى تعمر البلاد . ([3])

ويبدو أن ما دفع إلى هذه السياسة ، هو متاعب الجيش الايلخاني جراء حروبه الطويلة في عهد غازان ، إضافة إلى استمرار الدولة الجغتائية في هجومها على الأراضي الأيلخانية في خراسان ([4]) .

تأكيدا لصدق دعواه للصلح سمح خدابنده بهجرة جماعة كبيرة من المغول على رأسها الأمير بدر الدين جنكلي (البابا) مقدم التتار إلى مصر ([5]) ، الذي كان يكاتب الناصر محمد " **... ويطلعه على عورات التتار** " ([6]) وكان ممن غادر إليها أقارب الأيلخان غازان ، وأولاد الأمير سنقر الأشقر ([7]) ، وأولاد أمير العرب مهنا بعد أن كانوا عيونا على البلاد ([8]) ، والأمير سيف الدين أمير بني كلاب وهو ممن

([1]) ابن أيبك , كنز الدرر , ج8 , ص128- 129 ؛ ابن سباط , تاريخ , ج2 , ص585

([2]) العيني , عقد الجمان , ج4 , ص345

([3]) ابن أيبك , كنز الدرر , ج8 , ص128

([4]) القزاز , الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية , ص461

([5]) النويري , نهاية الأرب , ج32 , ص53 ؛ ابن كثير , البداية , ج14 , ص29 ؛ العيني , عقد الجمان , ج4 , ص303

([6]) ابن كثير , البداية , ج14 , ص29

([7]) المقريزي , السلوك , ج1 , ق3 , ص5

([8]) ابن أيبك , كنز الدرر , ج8 , ص127 ؛ العيني , عقد الجمان , ج4 , ص345

سبق له الخروج عن طاعة السلطان والغارة على نواحي حلب مع المغـول ([1]) ، كما أفرج عن رسل السلطان الناصر محمد الذين كان الأيلخان غازان قد منعهم من العودة إلى البلاد سنة 701هـ/1301م ([2]) .

ومع ما دفع إلى هذه السياسة هو متاعب الجيش الايلخاني جراء حروبه الطويلـة في عهد غازان إضافة إلى استمرار الدولة الجغتائية فـي هجومهـا علـى الأراضـي الأيلخانية في خراسان ([3]) ، إلا أن الايلخانيين ومنهم خدابندة ظلوا يعتبرون السيطرة على بلاد الشام ومصر مسألة حيوية .

إن هذا ما يفسر ما نقله القزاز عن هنري هورث (Howroth) في كتابه: (The History of Mongols) ، من أن خدابنده اقتفى سياسة أسـلافه بإرسـال الرسائل لمهادنة المماليك ، وأرسل سفرائه سنة704 هـ/1304م في الوقت ذاته إلـى أوروبا يشجعهم على غزو المماليك ويعدهم بالإمدادات ([4]) ، بل قام بإرسال جواسيسه إلى مصر للتجسس على المماليك **([5])** ، و جدد غاراته على حـدود المماليـك سـنة 708هـ/1308م باتجاه حلب([6]) ، وكرر حملاته على بلاد الـشام سـنة 711هـ ـ/ 1311م ([7]) ، و712/ 1312م ([8]) ، بعد أن فشل في حملة سابقة على مدينة الرحبة

([1]) العيني , عقد الجمان , ج4 , ص344

([2]) النويري , نهاية الأرب , ج32 , ص10 ؛ ابن أيبـك , كنـز الـدرر , ج8 , ص128 ؛ المقريزي , السلوك , ج1 , ق3 , ص927 ؛ العيني , عقد الجمان , ج4 , ص172 , 208

([3]) القزاز , الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية , ص461

([4]) القزاز , العراق في عهد السيطرة المغولية , ص438 نقـلا عـن Howroth, The History of Mongols.

([5]) ابن أيبك , كنز الدرر , ج8 , ص245

([6]) أبو الفدا , المختصر , ج4 , ص80 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج32 , ص112 , ج30 , ص 318

([7]) بيبرس المنصوري , التحفة , ص335

([8]) ابن الوردي , تاريخ , ج2 , ص373

([1]) ، وسعى خلال هجماته هذه إلى استمالة أمراء المماليك والعرب بل واستضافتهم ، حيث رحب بهرب الأمير سنقر الأشقر إليه سنة 711هـ/1311م ([2]) ، وكان قد أقام علاقة تحالف مع آل مهنا الذين شجعوه على غزو الـبلاد سـنة 715هـ ـ/1315م ، و716هـ/ 1316م ([3]) ، وشجع الانقسام في صفوف أشراف مكة إلـى مناصـرين للمغول ، وآخرين إلى جانب المماليك ، حين استقبل الأمير حميضة بن أبي نمي القادم من الحجاز بعد أن خرج عن طاعة السلطـان ، " **فتلقاه وأكرمه وبالغ في الإحـسان إليه**" ([4]) وقد جهز له الأيلخان جيشا من خراسان لغزو مكة ، بل انه راسل أخاه رميثة أن يأذن له بدخول مكة ويشاركه في الأمر إلا انه " **امتنع وكاتب الناصر** " ([5]) غير أن وفاة الأيلخان سنة 716هـ/ 1316م حالت دون تنفيذ تلك الحملة . ([6])

6 .4 في عهد الأيلخان بوسعيد .

تولي الأيلخان بوسعيد عرش الأيلخانية سنة 716هـ/ 1316م بكفالـة الأميـر جوبان الذي أدار شؤون الدولة لصغر سن الأيلخان الجديد ، وقد عبر هذا العهد عن سياسة صادقة لإحلال السلام ورفض الحرب .

لقد كان لهذا التوجه ما يبرره فقد عاشت الدولة الأيلخانية وضعا سياسيا و اقتصاديا سيئين ، إضافة إلى تعرضها لهجوم الجغتائيين والقبيلة الذهبية ([7]) .

في ضوء هذه الأوضاع أرسل الأيلخان بوسعيد سنة 717هـ/ 1317م هديـة تشير بعض المصادر أنها عادة لم يتبعها سلفه من الايلخانات([1]) ، كما بعث سـنة

([1]) المصدر نفسه , ج2 , ص373 , ابن كثير , البداية , ج14 , ص66 ؛ الـذهبي , ذيـول العبر , ج4 , ص32 , ابن سباط , تاريخ , ج2 , ص614

([2]) ابن دقماق , الجوهر الثمين , ج1 , ص151

([3]) المصدر نفسه , ج1 , ص152

([4]) ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج2 ، ص167

([5]) المصدر نفسه , ج2 ، ص167

([6]) الصفدي , أعيان العصر, ت , ج2 , ص304 ؛ ابن كثير , البداية , ج14 , ص80؛ ابـن خلدون , تاريخ , ج5 , ص422 , ص77 ؛ ابن سباط , تاريخ , ج2 , ص626

([7]) فهمي , تاريخ , ص229 ؛ دائرة المعارف الإسلامية , ج , ص348

720هـ/1320م برسالة إلى السلطان المملوكي الناصر محمد يطلب الـصلح([2]) ، قوبلت الرسالة بترحاب وتم الرد عليه بالمثل بإرسال الهدايا ، وبقبول الصلح الـذي شمل الأسس التالية :

1 - عدم دخول الجواسيس إليهم وان من يدخل منهم لا يطلب .

2 - من حضر منهم إلى مصر لا يعود إليهم إلا برضاه .

3 - وألا يبعث إليهم بغارة من العرب أو التركمان .

4 - وان يفتح الطريق بين المملكتين لإغراض التجارة .

5 - وتسيير قوافل الحج من العراق إلى الحجاز ، واحتماءها بموكب سلطاني في كل عام .

6 - وألا يطلب الأمير قراسنقر([3]).

7 - والاتفاق على جهاد الأعداء، وكف الحرب بين الجانبين([4]) .

8- وان تكون مدة الصلح عشر سنوات وعشر أيام ([5]) .

وقد تم التوقيع على هذا الصلح من قبل السلطان رسميا سنة 721هـ/ 1321م ([6]) ، كما شهدت السنوات التالية وحتى سقوط الدولة الأيلخانية 736 هـ/1335م ما يشير إلى نجاح سياسة آخر ايلخانات هذه الدولة ؛ الأيلخان بوسعيد ، فقد أخذت قوافل الحج تتجه إلى الحجاز بسلام ، وأدت إلى تأمين الاستقرار بـين البلـدين وتخلـص الأيلخان بوسعيد من بعض خصومه ممن احتموا بالسلطان المملوكي ([7]) ، ثم الدعاء

([1]) النويري , نهاية الأرب , ج32 , ص152 ؛ ابن أيبك , كنز الدرر , ج8 , ص315

([2]) النويري , نهاية الأرب , ج33 , ص6 ؛ الصفدي , أعيان العـصر , ج5 , ص94 ابـن كثير , البداية , ج14 , ص97 ؛ المقريزي , السلوك , ج2 , ق1 , ص178

([3]) المقريزي , السلوك , ج2 , ق1 , ص210

([4]) ابن خلدون , تاريخ , ج5 , ص421

([5]) ابن أيبك , كنز الدرر , ج8 , ص313

([6]) النويري , نهاية الأرب , ج33 , ص31 ؛ المقريزي , الـسلوك , ج2 , ق1 , ص242 , 246

([7]) ابن أيبك , كنز الدرر , ج8 , ص305

له في مكة بعد السلطان الناصر محمد ([1])، رغم معارضة آل مهنا لهـذا الـصلح ومنع دخول الرسل إلى الدولة المملوكية وتعرضهم إلى قوافل الحج ([2]) .

توقفت المراسلات بين الدولتين الأيلخانية والمملوكية حتى سنة 720هـ/ 1320م بسبب ضائقة اقتصادية عمت الدولة الأيلخانية ، ثم تلاها زيادة المراسلات أكثـر مـن مرة في العام الواحد وكانت ذات طلبات متنوعة ؛ لإرسال سنجق سلطاني لموكب الحج ، ولإعلام السلطان بهروب الأمير جوبان ، وانتصار بوسعيد عليه ، والتأكيـد علـى صلحه مع المماليك سنة 628هـ/ 1230م ([3]) ، ومراسلة لتـسليم الـسلطان الناصـر محمد لدمرداش مقابل تسليم بوسعيد قراسنقر المنصوري([4]) ،وطلب مصاهرة الأيلخان للسلطان الناصر محمد سنة 727هـ/ 1326م ([5]) , و 729هـ/ 732هـ ـ/ ([6]) ، اعتذر السلطان الناصر عن تلبية هذا الطلب ([7]) ، وأرسل رسالة في السنة ذاتها يطلب حرية دخول من يصل إلى المماليك من دولة المغول ، وان لا يطلب منهم في البيع ولا في الشراء بشيء من المقررات الديوانية ،ويحذر من تجاوز الحد المطلوب بالـسطوة الشريفة ([8]) ، والخوف من الجواسيس الذين يأتون لاغتيال المماليك وقد سـاهم هـذا الأمر في توتر العلاقات بين الجانبين بعض الوقت ، وأدت إلى خوف الأيلخـان علـى نفسه واحتجابه عن الناس ([9]) ، وسنة725هـ/1324م بإرسال مساعدات مالية لحفـر

([1]) القزاز , العراق في عهد السيطرة المغولية , ص305

([2]) المقريزي , السلوك , ج2 , ق1 , ص210 , 212

([3]) ابن الجزري , تاريخ , ج2 , ص256 ؛ أبو الفدا , المختصر , ج2 , ص446

([4]) النويري , نهاية الأرب , ج32 , ص195

([5]) ابن الجزري , تاريخ , ج2 , ص182

([6]) ابن أيبك , كنز الدرر , ج8 , ص372 ؛ المقريزي , السلوك , ج2 , ق1 , ص344

([7]) ابن الجزري , تاريخ , ج2 , ص324 ؛النويري , نهاية الأرب , ج32 , ص213 ؛ ابن أيبك , كنز الدرر , ج8 , ص349 , 351 ؛ ابن دقماق , الجـوهر الثمـين , ج1 , ص163 ؛ المقريزي , السلوك , ج2 , ق2 , ص310

([8]) القلقشندي , صبح الأعشى , ج7 , ص249

([9]) المقريزي , السلوك , ج2 , ق1 , ص207

القنوات والآبار في مكة ([1]) ، وإنشاء مدرسة بالمدينة المنورة ([2]) سـنة 730هـ / 1329م ، ولزيارة السلطان والهناء بعافيته بسبب المرض ([3]) والشفاعة فـي بعـض أشراف مكة سنة 731هـ/1330م ([4]) .

من الواضح أن تراجع صحة الأيلخان بوسعيد سنة 736هـ/1335م قد دفعته إلى إرسال رسالة إلى السلطان الناصر محمد يذكر فيهـا إسقـاطه المكـوس([5]) عن تبريز وبغداد والموصل ([6]) ، وربما دفعه إلى ذلك أن أوضاع البلاد لم تكـن مستقرة في أواخر أيامه ، فاضطربت الأحوال الداخلية وكثر عليـه المنـازعون ، وذكر عبد السلام فهمي دون أن يشير إلى مصدره إلى كثرة غارات مغول الدولـة الجغتائية في تركستان والقبيلة الذهبية على أطراف الدولة للاستيلاء على السلطة، إذ حاول الأمراء الجغتائيين الاستيلاء على خراسان ومازندران دون أن يحققـوا أيـة نتيجة ([7]) ، فبعث إلى الـسلطان الناصـر محمـد برسـالة قبـل وفاتـه سـنة 736هـ/1335م يستنجده على " **أن يسلم له بغداد ويعطي الرهن في العساكر حتى يقضي بها في أعداءه** " ([8]) فأجابه السلطان الناصر إلى ذلك .

تميزت مظاهر الدولة الأيلخانية بعد وفاة بوسعيد بالضعف والانهيار ولم تحافظ على تماسكها بتولي الأيلخان حسن زمام الأمور ([9]) .

([1]) ابن الجزري , تاريخ , ج2 , ص115 , 127 ؛ الصفدي , الوافي , ج11 , ص220

([2]) الصفدي , الوافي , ج11 , ص220

([3]) النويري , نهاية الأرب , ج32 , ص232 ؛ المقريزي , السلوك , ج2 , ق1 , ص320

([4]) ابن الجزري , تاريخ , ج2 , ص458

([5]) مفردها مكس وهي ضريبة تفرض على الإنتاج وعلى السلع الواردة والصادرة الموجـودة في الموانئ انظر : البقلي , مصطلحات الأعشى , ص325

([6]) المقريزي , السلوك , ج2 , ق1 , ص391

([7]) فهمي , تاريخ , ص223

([8]) ابن خلدون , تاريخ , ج5 , ص429

([9]) ابن خلدون , تاريخ , ج5 , ص439 ؛ دائرة المعارف , ص349

الفصل الخامس
السياسة الخارجية للدولة الأيلخانية
تجاه الغرب الأوروبي
654 - 736هـ/1256 - 1335م

5. 1 في عهد هولاكو .

نهجت الدولة الأيلخانية في سياستها تجاه قوى الغرب الأوروبـي نهـج الدولـة المغولية الكبرى في الانفتاح عليها واستقبال ممثلين عنها ، كما أن هذه القوى كانت متحمسة هي الأخرى للتحالف مع المغول بهدف القيام بعمـل عـسكري مـشترك لاجتياح بلاد الشام واسترجاع بيت المقدس من المـسلمين ، غيـر أن فـشلها فـي الوصول إلى صيغة عملية مع المغول لتنفيذ أهدافها جعلها تتردد في جدوى مواصلة سعيها هذا، وجاء نجاح هولاكو؛ مؤسس الدولة الأيلخانية في السيطرة على العـراق وإسقاط الخلاف العباسية سنة 656هـ/ 1258م لينعش هذه الآمال

شعر الغربيون أن أمالهم يمكن أن تتحقق وبخاصة بعد أن امتدت حدود الدولة الأيلخانية حتى حدود نهر الفرات ، فهل اخذ هولاكو ومن جاء بعده من الايلخانـات هذا بنظر الاعتبار؟ وما هي السياسة التي اتبعوها في ضوء ذلك؟

تبع سقوط بغداد سنة 656هـ/ 1258م قيام هولاكو باتصالات مع قوى الغرب الأوروبي([1]) ، و بدأ ذلك بمبادرة من البابا أوربان الرابع(*URBAN IV*)(660 –

([1]) John Andrew , The Mongol World Empire , p . 554

663هـ/ 1261 – 1264م) برسالة تضمنت دعوة هولاكو إلى اعتناق المـسيحية وتمكينه من الوصول إلى بيت المقدس مؤكدا على سرعة التعميـد ([1]) .

كما تردد إلى بلاطه ابتداء بسنة 658هـ / 1259م وما بعدها ، رسل عدد من البابوات وهم :

1 - البابا الكسندر الرابع (652 – 660هـ/1254 _ 1261م) . ([2])

2 - البابا أوربان الرابع(*Urban IV*) (660– 663هـ/1261– 1264م) ([3])

3 - البابا بونيفاس وقد أرسل رسالته إلى هولاكو سنة 659هـ/1260م ([4])

وقد ركز معظمهم على دعوة هولاكو لاعتناق المسيحية وجاء فـي رسـالة لأحدهم انه فرح بما سمعه من انه اعتنقها فعلا .

أما كتب هولاكو إلى الغرب الأوروبي فقد أظهرت دراسة حديثـة أنهـا مفقودة ([5]) ، إلا أن ثمة معلومات مقتضبة وصلت عنها ، ومنها انه أرسل بعثة إلى البابا أوربان الرابع(*Urban IV*) (660 – 663هـ/ 1261 – 1264م) ورسالة حملها رسله إليه .

ومع أن تفصيلات هذه الرسالة غير معروفة ([6]) ، إلا أن تقريرا مغوليا ، يفيـد بان هدفها الأساس كان يركز على دعوة هولاكو إلى عقد تحالف دائم لـيس مـع البابوية وحدها ، بل مع ملوك وأمراء الغرب جميعا ، يدلل علـى ذلـك تقريـر مغولي تقدم به الأيلخان الذي حل محل هولاكو في الحكم وهو ابنه أباقا ، أرسـله إلى المؤتمر الديني في فرنسا والذي عقد سنة 673 هـ/ 1273 م ، حيث جاء فيه أن " **...الملك هيلي**[أي هولاكو] **هو الذي بعث بأفضل ما عنده من مبعـوثين**

([1]) Ibid , p . 556

([2]) عبد علي ياسين , العراق في عهد المغول , ص497 ؛ مصطفى طه , مغـول إيـران , ص7 ؛ Percy Sykes , A history of Persia , p 99

([3]) Ibid , vol . 11 . p . 556

([4]) Ibid , vol . 11 . p 99

([5]) عادل هلال , العلاقات , ص 108

([6]) Percy Sykes , Ahistory of Persia , vol . 11 . p 99

إلى السيد البابا قدس الله سره ، كما بعث بهم إلى جميع الملوك والأمراء بهدف الوصول إلى تحالف دائم معهم ، واقل واحد من بين هؤلاء السفراء هو أننا ريخالدوس كاتب العدل عند الملك العظيم والمترجم الخاص للغة اللاتينية له وقد اعترض طريقنا نحن المبعوثين السيد مانفريد ملك صقلية ، وهو ابن الإمبراطور السابق فريدريك الثاني ، ومنع مواصلاتنا للسفر، وأجبرنا بالقوة على الرجوع " ([1]) .

غير أن رد البابا تضمن الطلب السابق في سرعة اعتناق المسيحية ([2])

وقد أرسل هولاكو كذلك رسالة إلى الملك لويس الثاني ملك فرنسا سنة 661هـ/1262م كان مما ذكر فيها انه " **... قدر فيها قتلى سقوط بغداد بأكثر من 200 ألف " ([3]) .**

ويذكر عادل هلال أن كتب هولاكو إلى الغرب مفقودة سوى رسالة غير محددة التاريخ ، يبدي فيها البابا سعادته لما سمعه من الرسول من رغبة هولاكو في اعتناق المسيحية ، ومما أرسله البابا إلى هولاكو انه : **سيرى كيف ستزيد قوتك في حربك مع المسلمين لو أن الجنود المسيحيين يساعدونك علانية وبكل قوتهم بفضل معونة الرب ومن ثم فانك ستزيد قوتك في الدنيا وبالتأكيد سوف تضمن المجد الخالد في الآخرة.. " ([4]) .** لم يتمكن هولاكو من الرد على رسالة البابا بسبب وفاته سنة 663هـ/ 1264م .

يتضح مما سبق أن سياسة هولاكو تجاه الغرب الأوروبي كانت تعتمد إقامة تحالف معه ، وانه كان مندفعا في هذا الاتجاه ، بيد أن الصورة عن تفصيلات ما جرى بين الطرفين حول ذلك تبقى غامضة بانتظار اكتشاف ما قد يجعل الصورة أكثر وضوحا.

([1]) هلال , العلاقات , ص281

([2]) John Andrew , the Mongol World Empire , p . 556

([3]) David Morgan , Medieval Persia 1040 – 1797 , first published , long man group uk limited , New York , , p . 60

([4]) هلال , العلاقات , ص108

5.2 في عهد أباقا خان .

تابع الأيلخان أباقا سياسة سلفه ووالده هولاكو فـي سياسـته مـع الغـرب الأوروبي . وفي حين اظهر الأيلخان الجديد حماسا كبيرا في هذا الاتجـاه ، فـان الغرب الأوروبي أولى موضوع التحالف مع المغول والإعداد لحملة صليبية اهتماما ملحوظا سنة 666هـ/1267م ([1]) لتمكينهم من بيت المقـدس ، وكـان هـذا أول اتصال لهم مع الغرب الأوروبي .

وجه أباقا خان بعد توليه عرش الأيلخانية رسالـــة إلـــى البابـا كليمنـت الرابـع(664-667هـ/ 1265-1268م) ردا على رسالته التي وصلت بعد وفاة والده هولاكو هنأه فيها بانتصاره على مانفريد ابن الملك فردريـك ملـك فرنـسا ، واقترح عليه فيها التقاء الجيوش الصليبية ، والمغولية لمحاربة المماليك والوصـول إلى بيت المقدس ([2]) .

وقد أشار بيتر توراو إلى وجود بعثة مغولية سنة 666هـ/ 1267م أرسـلها أباقا إلى الملك جيمس الأول (609- 673هـ/ 1212 – 1274م) ملـك أرغـون الذي وعد بصداقة أباقا ومساندته ، ثم أعقبها بإرسال مبعوث آخر إليه في منتـصف سنة 666هـ/1267م ، وهو *جيم الاريك اف بيربيجنـان* (*James Alaric of Perpig*) لتأكيد استعداده للقيام بهجوم مشترك على المماليك .

وقد وصلت الحملة في منتصف السنة نفسها حدود دولة المماليك الشمالية غيـر أن غرق السفن أدى إلى انسحاب المغول والتراجع عن الهجوم ([3]).

([1]) عمران , المغول والأوروبيون , ص347 ؛ القزاز , الحياة السياسية في العراق في عهد لسيطرة ص428 ؛ بارتولد , دائرة المعارف الإسلامية , مج1 ، ص15 , , Rene Grousset L , Empire Mongol ,puplies sous la direction de m . e . cavaignas , tom , viii ,p . 315

([2]) John Andrew , the Mongol World Empire , p . 556 ؛ Percy Sykes , A history Of Persia , vol . 11 . p 103

([3]) توراو، بيتر, الظاهر بيبرس , ترجمة : محمد جديد , ط1 , قدس للنشر والتوزيع , سـوريا 2002 م, ص186, وسيشار إليه تاليا : بيتر توراو , الظاهر بيبرس

وقد أشارت المصادر إلى مراسلات بين البابا والأيلخان أباقا ، تضمنت تفاصيل حملة مشتركة كان يخطط للقيام بها ، كما أشارت إلى لقاء أباقا بلويس التاسع ملـك فرنسا سنة 669هـ/1270م للغرض ذاته ، إلا أن ظروف الطرفين لم تساعد على تنفيذ الحملة . ([1])

وقد تبادل أباقا الرسائل مع الملك ادوارد الأول ملك انجلترا مستغلا وصوله إلى قبرص على رأس حملة صليبية سنة 670هـ/ 1271م ، ورغم أن الحملة لم تنفـذ من أهدافها شيئا , فقد رد الملك ادوارد سنة 672هـ/ 1273م على رسالة أباقا خان حملها ديفيد الاشبي(*DAVID OF ASHBY*) إلى بلاطه سنة 673هـ/1274م ، شكره فيها على حماسه لإنقاذ البلاد المقدسة ، ووعده بالوصول علـى رأس جـيش يقرره البابا ([2]) .

جدد أباقا كتاباته إلى البابا لإعداد الحملة إلى بيت المقـدس سـنة 673هـ ـ/ 1274م وسنة 674هـ/ 1275م ، ولكنها قوبلت باعتذار البابا عن عدم مقدرته على تقديم المساعدة ، ثم جدد أباقا الطلب من الملك ادوارد الذي اعتذر أيضا باعتبار أن القرار يعود إلى البابا . ([3])

ويبدو أن عدم نجاح الأيلخان أباقا في تحويل علاقاته المتميـزة مـع الغـرب الأوروبي ، ووعود هؤلاء إلى صيغة عملية ، دفعت به إلى إرسال وفد كبير سنة 673هـ/ 1274م ; كان على رأسه ديفيد الاشبي (*D avid Of Ashby* للاشتراك في المؤتمر الديني في مدينة ليون بفرنسا برئاسة البابـا جريجـوري العاشـر(x *Gregory*) (670 – 675هـ/ 1271- 1276م) ، لحثهم علـى تحقيـق حلـف مغولي أوروبي ضد المماليك . وقد حمل الوفد تقريرا مفصلا أوضح فيـه سياسـة

([1]) John Andrew , The Mongol World Empire , p . 558

([2]) عمران , المغول والأوروبيـون , ص122 و348 ؛ John Andrew , The Mongol World Empire , p . 558

([3]) Rene Grousset , l` Empire Mongol, tom v111 , p 389 ؛John Andrew , the Mongol World Empire Mongol , p . 558

الدولة الايلخانية تجاه الغرب الأوروبي منذ نشأة الدولة ، وفيما يلي جانب من التقرير وهو الذي أورد عادل هلال نصه، وقام بترجمته إلى العربية ، وفيما يلي الجانب المتعلق بسياسة الأيلخان أباقا فيه :

1- " **ليعلم أقدس الآباء رئيس القساوسة الأعلى , وليعلم الآباء الأفاضل السادة الكرادلة وجميع السادة الأحبار الكثيرون القائمون على خدمة كنيسة روما المقدسة , وليعلم جميع ملوك المسيحية وأمراؤها أن أسلاف الملك المعظم أبغا من شعب المغول الذين تسمونهم التتار هؤلاء هم الذين اخضعوا بعون الإله الحي وبقوتهم كثيرا من بلدان الشرق وسيطروا ببطشهم على جميع ممالك الشمال وممالك الجنوب من البداية حتى نهر جيحون ونود أن نبلغكم بان والد الملك المعظم أبغا المذكور آنفا هو واحد منكم ووالده هو الأمير الهمام الشريف هولاكو أما نحن فمبعوثو الملك أبغا . ([1])**

2 – " **...نريد أن نعلن إلى جميع من يعيش تحت الشمس أن ملكنا صاحب العظمة أبغا خان يريد التحالف ويريد السلام مع كل المسيحيين التابعين لكنيسة روما المقدسة وقد قرر إرسالنا نحن المبعوثين الدائمين إلى قداسة البابا إلى المجمع المقدس الحالي لإبلاغهم قرار الملك هذا كما يؤيد ذلك ختم الملك على الرسائل المكتوبة باللغة المغولية واللاتينية وقد عرضنا هذه الرسائل على الأب المقدس وعلى الأمراء العلمانيين بحضور السادة المحترمين الكرادلة والسادة الأحبار الآخرين" ([2])**

3 – " **وربما يتعجب الآباء والسادة الحاضرون من شان ملكنا ، وذلك انه مع عظمته هذه ، يظهر الآن رغبته وحبه للمسيحيين ، وربما يتساءلون لماذا لم يتحرك ضد المصريين أعداء العقيدة المسيحية حتى الآن ؟ .**

وللإجابة على مثل هذه الأسئلة نقول انه بعد وفاة والد ملكنا المحمود السيرة كما تقضي الطبيعة البشرية بذلك أحاط بوجه ملكنا أشجع أعدائه الثائرين فكان كل واحد من هؤلاء الأعداء معززا بثلاثة أمثال القوة المعزز بها سلطان مصر ..

([1]) هلال , العلاقات , ص278

([2]) المرجع نفسه , ص281

وانتصر عليهم في القتال انتصارا حاسما وقد أيد قسم منهم حكمه وخضعوا لطاعته وعقدوا صلحا وسلاما دائمين معه وبعد أن قضى أبغا على هذه المشاكل في السنة الماضية قرر أن يتقدم تجاه البابليين الكافرين المذكورين آنفا فجمع جيوشه فـإذا برسل أولاد الملوك يتقاطرون عليه ليقدموا له العون في ظروفه الآتية . ([1])

وبينما كان الملك أبغا يتدبر هذه الأمور نما إلى علمه في هذه الأثنـاء معلومـات مباشرة فحواها أن المؤمنين اللاتين بصدد عقد المجمع المقدس الحالي مما دعـاه إلى إرسال تهانيه إلى حبرنا الأعظم البابا جريجوري العاشر وقد عيننا الملك أبغـا لهذا السبب ممثلين عنه لحضور الاجتماع المقدس الحالي وكما يؤيد ذلك بوضوح مضمون الرسالة المفتوحة " ([2])

لم يخرج الوفد المغولي من مجمع ليون بنتائج ذات أهمية سوى مـا يتعلـق بتعميد اثنين من الوفد على يد (البابا انوسنت الخامس) ونظـرا لعـدم اطمئنـان الأوروبيين من الحليف المغولي الجديد ، فقد اقتصر الأمر على تلقي الوفد المغولي ردودا ودية على رسالتهم في المجمع ([3]) .

وقد أجرى الوفد المغولي بعد خروجه من مجمع ليون اتصالات مع الملـك ادوارد الأول وسلمه رسالة من الأيلخان أباقا بخصوص الحملة المقترحة إلـى بيت المقدس ([4]) ، وقد بعث الملك ادوارد سنة 674هـ/ 1275م برسالة رد فيها علـى مـا جاء برسالة أباقا وابلغه مدى احترامه لما يقدمه للمسيحية ، وتصميمه على إعـادة الأراضي المقدسة ، ويبلغه بعدم معرفته بموعد قدوم حملة صليبية جديدة إلى الشرق لان البابا لم يقرر شيئا بعد ([5]) .

([1]) هلال ، العلاقات , ص281

([2]) المرجع نفسه , ص 382

([3]) عباس إقبال , تاريخ المغول , ص220 ؛ رنـسيمان , تـاريخ , ج3 , ق2 , ص593 ؛ فهمي , تاريخ , ص159

([4]) عباس إقبال , تاريخ المغول , ص220 ؛ رنسيمان , تاريخ , ج3 , ق2 , ص663

([5]) Rene Crousset , l ` Empire Mongol Empire tom ,viii, p375 . John , Andrew , the Mongol World, , p . 558

ورغم صدق نوايا ادوارد في أمله بالتوجه بحملة صليبية فلم يكن هو أو الملك فيليب الثالث ملك فرنسا مستعدا حتى ذلك الحين للذهاب بأية حملة صليبية إلى الشرق ، لان المجلس البابوي خضع لتأثير معاكس من قبل شارل أنجلو الذي كان على علاقة عداء مع المغول لارتباطهم بالجنويين كما أن سياسته قامت على الوفاق مع المماليك في عهد السلطان بيبرس ([1]) .

بعد هزيمة جيش أباقا خان في معركة الابلستين سنة 675هـ/ 1276م لم يكن أمام الأيلخان أباقا سوى إعادة المراسلة مع البابا وملوك أوروبا للقدوم إلى الشرق ([2]) .

كما تجددت المراسلات بين أباقا خان وبين البابا نيقولا الثالث بين سنتي 676هـ/ 1277م و677هـ/ 1278م بإرسال البابا سفارة من خمسة رهبان جدد فيها الوعد بإرسال حملة لإنقاذ بيت المقدس والقضاء على المماليك كما طلب من الأيلخان اعتناق المسيحية ([3]).

من الواضح أن السياسة التي اتبعها أباقا خان مع الغرب الأوروبي لمواجهة المماليك ؛ عدوهما المشترك ، لم تأت بنتائج عملية بسبب اشتراط البابوات على الدولة الايلخانية الاعتراف بسيادتهم، وإعلان تبعيتهم، واعتناق المسيحية المؤكد عليها في المراسلات .

5.3 في عهد أرغون .

كان من الطبيعي إلا يشهد عهد الأيلخان احمد تكودار الذي لم يتجاوز ثلاث سنوات (681-683هـ/ 1282-1284م) تطورا في علاقاته مع الغرب الأوروبي بسبب اعتناقه الإسلام ([4]) من جهة ، وعقده صلحا مع المماليك ،

([1]) رنسيمان , تاريخ , ج3 , ق2 , ص593

([2]) هلال , العلاقات , ص117

([3]) بارتولد , دائرة المعارف , ج1 , ص15 ؛ Percy Sykes , A history Of Persia , vol . 11 . p 103

([4]) John Andrew , The Mongol World Empire , p . 559

غير أن الأمر كان معكوسا في عهد خلفه الأيلخان أرغون الذي استطاع في فترة حكمه (683-690هـ/1284-1291م) توثيق علاقاته بالغرب الأوروبي .

وكان أول اتصال بينه وبين الغرب سنة 684هـ/ 1285م رسالته إلـيهم لإبلاغهم بتوليه مقاليد الحكم ([1]) , وإعلامهم بان تأخير الاتصال معهـم كـان بسبب الخلاف مع الأيلخان احمد تكودار وإسلامه، وصرح أن هدفه إقامة تعاون معهم لاسترداد بيت المقدس من المماليك وإعادته إليهم ، غير انه اعترف بعدم مقدرته على تنفيذ ذلك دون مساعدة من ملوك أوروبا ([2]) ، وحدد لهـم أبعـاد مشروعه فقال : " **والآن دعونا نبدأ بأخذ بلاد المسلمين ، انتم لكـم المنطقـة الموازية لكم في بلاد الشام , ونحن لنا مصر .. ومن هنا نصبح أسياد الـدنيا البابا , والخان الأعظم قوبيلاي** " ([3]) .

وقد أعقب ذلك إرسال الأيلخان أرغون أربع سفارات وهي :من قبلـه سـنة 684هـ/ 1285م ثم سنة 686هـ/ 1287م وثالثة سنة 689هـ/ 1290م ، أما الرابعة فأرسلت سنة 690هـ/ 1291م ، كان الهدف منها جميعا التحـالف ضـد المماليك .

كان من أهم سفراء أرغون بعض الرهبان من فرنج الـساحل ممـن حجـزهم هولاكو في البلاط المغولي للقيام بالتبشير للدين المسيحي ولكي يصبحوا فيمـا بعـد مبعوثين إلى أوروبا في سفارات المغول مثل الراهب ديفيد الاسبشي (*DAVID OF ASHBY*) ([4]) .

أرسلت أولى سفارات الأيلخان أرغون سـنة 684هـ ـ/ 1285م إلـى البابـا هونوريوس الرابع (*HONORISE IIII*)) (684 -686 هـ/ 1285 -1287م) وقد نقلت إليه أن الأيلخان أرغون ، تلقى أوامر الخاقان الأعظم قـوبيلاي بوضـع الأراضي المسيحية القريبة تحت حمايته، واقترح على البابا القيام بعمـل مـشترك

([1]) John Andrew , The Mongol World Empire , p . 559

([2]) رنسيمان , تاريخ , ج3 , ق2 , ص673

([3]) John Andrew , The Mongol World Empire , p . 559

([4]) Ibid , p . 556

للهجوم على مصر ([1]) ، إلا أن هذه السفارة لم تأت بنتائج لان البابا كان يأمل من الأيلخان اعتناق النصرانية ([2]) .

أرسل الأيلخان أرغون سفارة ثانية بعد مضي سنتين (686هـ/1287م) اختار على رأ سها الراهب رابان سوما (*RABBAN SAUMA*) احد كبار رجال الكنيسة في آسيا مبعوثا إلى البابا هونوريـوس الرابـع (*HONORISE III*)(684 - 686هـ/ 1285- 1287م) أولا ثم إلى ملوك الغرب في فرنسا وانجلترا . ([3])

مع وصول الوفد إلى مقر البابوية علموا بوفاة البابا لذا فقد استقبل مـن قبـل مساعديه من الكرادلة ، الذين تبين للراهب رابان سوما ، ضعفهم وعجـزهم عـن تقديم المساعدة ([4]) ، أما البابا الجديد نيقولا الرابع (687 -691هـ ـ /1288 – 1292م) فقد اطلع على رسالة أرغون وأجاب عليها جوابا غامضا ، فيمـا يخـص موعد الحملة ([5]) ، غير انه ركز في رسالته على دعوة الأيلخان أرغون لاعتناق المسيحية ، والإسراع في التعميد دون الإشارة إلى الهدف الأساسـي مـن سـفارة الأيلخان بالوقوف معه ضد المماليك . وقد أورد عادل هلال جزءا من رسالة البابا التي قال فيها :

" .. وقد فرحنا كثيرا وابتهجنا للرب الذي يملك قلوب ملوك الأرض بين يديـه لأنه سبق وانعم عليك راحما بإنعاماته وأضرم فؤادك بمحبته حتى نشأت في قلبـك رغبة ملحة في توسيع تخوم البلاد المسيحية كما اتضح من نص الرسالة وأقـوال المندوبين أنفسهم حتى أخذت تعامل باللطاف والحسنى جميع النصارى المقيمين في البلاد الخاضعة لك .. ونحن نقدم لجلالتكم أجمل آيات الشكر .. ونحـن نحـب أن

([1]) رنسيمان , تاريخ , ج3 , ق2 , ص673 ؛ هـلال , العلاقـات , ص119 ؛ إسـماعيل الخالدي , العالم الإسلامي , ص183 ؛ فهمي , تاريخ المغول , ص179

([2]) عمران , المغول والأوروبيون , ص350 ؛ John Andrew , The Mongol World Empire 1206 – 1370 , p558

([3]) رنسيمان , تـاريخ , ج3 , ق2 , 676 ؛ John Andrew , The Mongol world Empire p 558

([4]) رنسيمان , تاريخ , ج3 , ق2 , ص673

([5]) المرجع نفسه , ج3 , ق2 , ص676

يعيش المسيحيون حسب مذهبهم السامي ويتخلى غير المسيحيين عـن الـضلال ويتنصروا لان هذا هو الدين الحق الذي به النجاح والخلاص . وأنت أيها الملـك حسنا تفعل لو قررت أن تتنصر وكم تكون فرحة الكنيسة والشعب عظيمة لـو تـم ذلك فهيا ، فكر في الأمر مليا ولا تنس الموت الذي يأتي كاللص فـي كـل مكـان وزمان واعتنق الدين المسيحي وتنصر واعمل على انتشار هذا الدين فـي بـلادك فتنال عند وفاتك أعظم ثواب ." ([1]) ، كما أن البابا أرسل رسالة ثانية إلى الأيلخان أرغون مؤرخة سنة 687هـ / 1288م ، كرر فيها المعاني الـسابقة وركـز علـى ضرورة اعتناقه المسيحية, فقد جاء في النص الذي ترجمه عادل هلال قول البابا :

" ... علمنا من المندوبين انه إذا ما تم تحرير مملكة بيت المقدس مـن أيـادي الكفرة فانك تحب أن تولد مجددا في المدينة بغسل المعمودية , أما نحن فنأمل أن تحرير المملكة المذكورة سيكون أسهل بعونه تعالى إذا ما تنصرت أنت .. فنرجوا جلالتكم من صميم الفؤاد أن تسرع إلى المعمودية ولا تتأخر في قبولهـا لتمجيـد الرب ونيل الخلاص " ([2]) .

مع انتهاء مهمة الوفد لدى البابوية غادر للقاء ملك فرنسا ، فيليب الرابع حيث استقبل مقترحات الأيلخان أرغون بالقبول وأرسل مبعوثا عنه إليه لمرافقة الوفد عند عودته إلى بلاط الأيلخان وهو السفير جونبرت هيلفيل . وكان الهدف من إرسـاله إعداد تفاصيل التحالف مع المغول وإبلاغه بان الملك فيليب سـوف يتـولى قيـادة الحملة إلى بيت المقدس بنفسه ([3]).

وقد توجه الوفد بعد ذلك إلى الملك الإنجليزي ادوارد الأول الذي اظهر تـشوقا لتنفيذ الحملة الصليبية ([4]) ، كما أبدى الجنويون عند زيارة الوفد لهم احترامهم له،

([1]) هلال , العلاقات , ص182

([2]) المرجع نفسه , ص122

([3]) المرجع نفسه , ج3 , ق2 , ص674

([4]) المرجـع نفـسه, ج3 , ق2 , ص675 ؛ John Andrew , The Mongol World Empire , p . 559

وأولوا ما حملوه من اقتراحات اهتماما واضحا لان التحالف بالنسبة لهم أمـر بـالغ الأهمية لتجارتهم . ([1])

لوحظ على زيارة السفارة المغولية التي ترأسها رابان سوما ما يلي :

1- طلب الأيلخان أرغون التحالف مع الغرب الأوروبي ضد المماليك برفع شعار تحرير بيت المقدس وإعادتها لهم .

2- كان جل اهتمام البابا نيقولا الرابع في رسائله تنـصير الأيلخـان أرغـون والمغول دون التركيز على الهدف العسكري الذي يسعى من اجله وهو الوقوف معه ضد المماليك ، لذا فشلت هذه السفارة لإدراك ملوك الغرب الأوروبي أن لديهم مـا يشغلهم من الأمور والنزاعات الداخلية عن إرسال حملة صليبية ([2])

3- لم تسفر سفارة الأيلخان أرغون إلى الغرب الأوروبي عن أية نتائج للوقوف إلى جانبه ضد المماليك لذا قرر إيفاد بوسكاريللو اف جيزولف *(BUSCARELLO OF GiSOLF)* على رأس سفارة ثالثة إلى الغرب الأوروبي لتوضـيح خطـورة الموقف بعد سقوط طرابلس في يد المماليك سنة 688هـ/ 1289م ومناقشة تفاصيل العمليات الحربية المقترحة بينهما وموعد وصول الجيوش الأوروبية والمغولية إلـى بلاد الشام ([3]) ، في رسالة أرسلها إلى فيليب الرابع ملك فرنسا قال فيها **:" فيمـا يتعلق باقتراحك الذي أرسلته إلينا في السنة الماضية بواسطة الوفد الذي كان على رأسه بار صاوما ساهورا مضمونه : انه إذا غزت جيوش الايلخانـات المغـولي مصر فإننا كذلك سنقوم من هنا بغزوها ونشترك في العمليات الحربيـة مبـاغتين العدو من الخلف .. "** ([4])

([1]) رنـسيمان , تـاريخ , ج3 , ق2 , ص674 ؛ Rene Grousset , L Empire Mongol , tom, viii , p 313

([2]) رنسيمان , تاريخ , ج3 , ق2 , ص676

([3]) هلال , العلاقات , ص 125 ؛ نقـلا عـن Chabbot , pp . 581-583: , p 376 Rene, Grousset , L ` Empire Mongol , tom, VIII John Andrew , The Mongol world Empire , p . 561

([4]) انظر ملحق ث

وقد نجم عن هذه السفارة ما يلي :

1-حمل البابا نيقولا الرابع السفير المغولي رسالة تضمنت استعداده لاستعادة بيـت المقدس والمشاركة في الحملة المقترح تنفيذها سنة 689هـ/ 1290م ([1]) وتكفـل كما يذكر محمود عمران بمد الأيلخان بثلاثين ألف فارس ([2]) .

2- وقد أرسل البابا نيقولا الرابع رسالة إلى ادوارد الأول ملك انجلترا تضمنت مما قاله : " **.. لقد وصل إلينا حديثا ابننا العزيز النبيل بوسكاريللو اف جيزولاف وهـو مواطن من جنوا وسفير أرغون ملك التتر العظيم وسلمنا خطابا من هـذا الملـك وضمن ما يحتويه أن أرغون سوف يخرج بنفسه طاعة لنداء الكنيـسة بعزيمـة وقوة للانضمام لحملة صليبية عامة لحماية الأراضي المقدسة ..** " ([3]) وطلب منه مقابلة الوفد باحترام وان يستمع إلى مقترحاته ويحـسن "**... اسـتقباله إكرامـا للكرسي الرسولي ... وتنظر حالا بتلبية طلبه لمجد الـرب والمـسيحية وفخـرا لجلالتكم الملكية** " ([4]) .

وقد ذكر البابا في رسالته ما نصه **:**

" **بقدرة السماء الأبدية , وفي ظل وحماية الملك: إلى ملك فرنسا : فيمـا يتعلـق باقتراحك الذي أرسلته إلينا في السنة الماضية بواسطة الوفد الذي كان على رأسه بار صاوما ساهورا مضمونه : " انه إذا غزت جيوش الايلخانات المغولي مـصر فإننا كذلك سنقوم من هنا بغزوها ونشترك في العمليات الحربية مباغتين العدو من الخلف فإننا وافقنا على اقتراحكم ولذلك قررنا بمشيئة ا أننا سنركب خيولنا فـي**

([1]) رنسيمان , تاريخ , ج3 , ق2 , ص679

([2]) عمران , المغول والأوروبيون , ص359

([3]) هلال , العلاقات , ص124

([4]) المرجع نفسه , ص128

آخر شهر من شتاء عام النمر ([1]) وسننزل أمام دمشق في منتصف أول شـهر من الربيع .

ونعلمك الآن بأننا بمقتضى صدق كلامنا سنبعث جيوشنا فـي الموعـد والمكـان المتفق عليه .فإذا أخضعنا بقدرة السماء تلك الشعوب فإننا سنعطيكم القدس أما إذا أهملتم الموعد وجعلتم جيوشنا تخوض عملية حربية فاشلة وقد يكون هذا ممكنـا وسوف تندمون وحتى إذا ندمتم عله فسوف لا ينفعكم الندم وإذا أرسلتم رسولا من قبلكم إلينا بمهمة ما وكلفتموه بحمل أشياء نفيسة من ارض فرنسا مثل الـصقور والجواهر المختلفة الألوان فلتشهد قدرة السماء وجلالة الملك على أننا سـنكافئكم على ذلك بطـريقة ما هذا مـا أردنا أن نقوله " ([2]) .

على أمل وصول الحملة الصليبية المتفق عليها وعد الأيلخان أرغون الغـرب الأوروبي بتوفير المؤن والخيول إضافة إلى الجيش وضمن لهم مساعدة ملك أرمينية وجورجيا ([3]) ، ولجأ إلى خطوة هامة سنة 689هـ ـ/ 1290م بفـرض حـصار اقتصادي على المماليك ، وضرب سفنهم التجارية المارة من المحيط الهنـدي إلـى البحر الأحمر ([4]) .

ويقول عادل هلال نقـلا عـن حوليـة سـريانية لابـن العبـري سـنة 689هـ/1290م : " **أن حوالي مائتين من الفرنجة جاءوا في نهر دجلة إلـى الموصل بأوامر من ملك الملوك أرغون كما لو كانوا ذاهبين إلى بغـداد لبنـاء سفن هناك لكي يذهبوا إلى بحر بونت** [أي البحر الأحمر] **ليهاجموا المصريين**

([1]) للمغول تقويما يناسب حياتهم الرعوية لعدم معرفتهم القراءة والكتابة لذا رتبوا الـسنوات في دورة من اثني عشر عاما , سمي كل عام باسم حيوان مألوف كالقط والثور ,النمر , الأرنب , التنين , الحية , الحصان , الخروف , القرد , الديك , الكلاب , الخنزير , واسـتخدموا التـاريخ الهجري في عهد الأيلخان غازان . انظر : هلال , العلاقات , ص284

([2]) المرجع نفسه , ص 284 نقلا عـن H . Haworth , History Of The Mongols ,III , p . 575 ؛ Bertold Spuler , History Of The Mongols , p141 - 142

([3]) John Andrew , The Mongol World Empire , p . 561 , Bertold Spuler , History Of The Mongols , p .142

([4]) هلال , العلاقات , ص129

وبعضا آخر من الفرنجة حوالي سبعمائة رجل ذهبوا طريق البر ومكثـوا فـي بغداد طوال فصل الشتاء حتى تكتمل خطتهم .. " ([1]).

4- أرسل الأيلخان أرغون سفارته الرابعة إلى أوروبا أوائل سـنة 690هـ ـ/ 1291م للتأكيد على ضرورة التزام الغرب الأوروبـي بالمواعيـد والأمـاكن المحددة بموجب ما اتفق عليه . وقد نجم عن هذه السفارة ما يلي :

1- أرسل البابا رسالة إلى الملك ادوارد يطلب منه احترام مقترحات الأيلخـان والرد عليها ومما قاله فيها **: " .. ونحن قاصدون إيفاد رسول خاص إلى الملك المذكور مع المندوبين أنفسهم لدى عودتهم إلينا " ([2])**

2 – مع سماع البابا سقوط عكا في يد المماليك سنة 690هـ/ 1291م أرسل رسالة إلى الأيلخان أرغون أوردها عادل هلال جاء فيها **:**

" ... ولذلك نبهنا جميع الملوك والأمراء المسيحيين أن يسرعوا لإزالـة هـذا العار وقد هرع ادوارد ملك انجلترا واتخذ الصليب وهو مـستعد الآن لركـوب البحر, ونحن واثقون كل الثقة أنكم إذا أيدتم هذه القـضية بـذراعكم القويـة سرعان ما ستجد الحل المنشود , ولذلك فإننا نرجو جلالـتكم ونتوسـل إلـيكم وندعوكم بثقة أخوية أن تتنصر خاشعا راضيا وتعمل بأوامره تعالى وتسرع إلى استعادة البلاد المذكورة وتذل كبرياء أعداءها ومكرهم , وتستخدموا ما أعطيتم من قوة , وبما تحليتم به من عزم وحكمة وتتحرك مع شـعبك وبـاقي ملـوك النصارى لاستعادة تلك الأمصار, وسندعو الـرب أن يكـافئكم خيـر مكافـأة ونشكركم على ما تبدون من حسن معاملة للمسيحيين المقيمين في مملكـتكم , كما نرجو أن تحسنوا استقبال منـدوبنا متـى الـشيتي *(Mattewof chieti)* **ووليم الشيري** *(William of chieri)* **. " ([3])**

([1]) هلال ، العلاقات , ص129

([2]) Bertold Spuler , History Of The Mongols , p .142

([3]) هـلال , العلاقـات , ص121 - 132 نقـلا عـن H . Haworth , History of the Mongols ,III , p . 353 - 354

يتضح مما ورد عن سياسة الأيلخان أرغون تجاه الغرب الأوروبي أنها كانت واضحة الأهداف وأنها كانت جادة في إقامة تحالف مع الغرب الأوروبي للقيام بحملة مشتركة على المماليك في مصر وبلاد الشام إلا أنها مع ذلك لم تحقق أهدافها ما استغاثة البابا المتأخرة اثر سقوط عكا فلم تصل إلى مسامع الأيلخان أرغون لأنه كان قد توفي قبل وصول رسالة البابا إليه.

4.5 في عهد الأيلخان غازان .

شهدت الدولة الأيلخانية جمودا في سياستها وعلاقاتها مع الغرب الأوروبي بعد وفاة الأيلخان أرغون ، وحتى تولي الأيلخان غازان الذي سعى إلى تجديد اتصاله مع الغرب الأوروبي للوقوف إلى جانبه في حملاته ضد المماليك، ولم يمنعه إسلامه من اتخاذ هذه الخطوة بالسماح للبابوية نشر المسيحية بين مغول الأيلخانية في محاولة لإقامة علاقات مع الغرب الأوروبي ([1]) لكي يحصل على دعمه فيما كان يخطط له تجاه بلاد الشام. ([2])

وجاء نجاح غازان في اجتياح بلاد الشام سنة 699هـ / 1299م مدعاة سرور لملوك أوروبا الذين أرسلوا له التهنئة بما حققه ، باعتبار ان ذلك يساندهم في استعادة بيت المقدس ، فقد أرسل له جيمس الثاني(691 – 727هـ/ 1291 – 1326م) ؛ ملك أرغون رسالة تهنئة ووعده بالدعم العسكري ([3]) شريطة أن يسمح له بحرية الحج إلى بيت المقدس دون ضرائب , وان يترك خمس الأراضي المقدسة التي انتزعها من المسلمين ([4]) .

كما أن غازان بادر بعد انتصاره هذا إلى إرسال سفارة سنة 700هـ/ 1300م على رأسها زولس بوفتي *(Zolus Bofeti* ومعه رسالة إلى هنري ملك قبرص تحدث فيها عن انتصاراته كما توجهت السفارة إلى البابا بونيفاس الثامن

([1]) , p . 64 David Morgan , Medieval Persia

([2]) , p . 375 Rene, Grousset , L ` Empire Mongol , tom, VIII

([3]) عباس إقبال , تاريخ المغول , ص 287

([4]) المرجع نفسه , ص 287 ؛ القزاز , تاريخ العراق في عهد السيطرة المغولية , ص 437

(*Boniface VIII*) (695- 703هـ/1295 – 1303م) الذي استقبلها في كنيسة اللاتيران ([1]) ، وحملها رسالة إلى غازان أبدى فيها استعداده للتعاون في إعداد قوات لمهاجمة المماليك ([2]) .

وقد جدد غازان مراسلته لأوروبا والبابا بعد اضطراره للانسحاب من بلاد الشام سنة 700هـ/ 1300م داعيا للاشتراك في حملة جديدة ضد المماليك وجاء في مخاطبته لهم قوله : " **انه بعون ا سنقوم بالمهمة وان حرب المماليك هي هدفنا الوحيد** " ([3]) .

لم تثمر اتصالات غازان هذه ، كما وصلته رسالة من الملك ادوارد ملك انجلترا علق فيها مشاركته بناء على رغبة البابا ([4]) ، مما دفعه إلى الدخول في حرب مع المماليك سنة 703هـ/ 1303م ، دون مشاركة من الغرب الأوروبي حيث ألحقت بجيشه هزيمة كبرى في المعركة المعروفة معركة مرج الصفر([5]) .

لم يحقق غازان في مراسلاته مع الغرب الأوروبي أية نتائج وكانت جميعها في نطاق المجاملات الرسمية لعدم تطابق وجهات نظر الغرب الأوروبي لإسلامه رغم أنهم حققوا نتائج في التبشير بالمسيحية بين المغول .

5.5 في عهدي: الأيلخان اولجايتو خدابنده والايلخان بوسعيد .

سار الأيلخان أولجايتو خدابنده على خطى أسلافه في البحث عن التحالف مع الغرب الأوروبي ضد المماليك ولكنه اتجه في الوقت ذاته(سنة 704هـ/ 1304م) إلى طلب الهدنة والصلح مع المماليك ([6]) ,وقد وجه أكثر من رسالة إلى ملوك الغرب الأوروبي وهي :

([1]) عمران , المغول والأوروبيون , ص 364 ؛ John Andrew , The Mongol World Empire , p . 561

([2]) عمران , المغول والأوروبيون , ص365

([3]) 562 , p . John Andrew , The Mongol World Empire

([4]) القزاز , تاريخ العراق في عهد السيطرة المغولية , ص438

([5]) . John Andrew , The Mongol World Empire .p 563

([6]) Ibid , p . 363

1 – أرسل اولجايتو سفارته الأولى إلى كل من : فيليب الرابع ملـك فرنـسا سـنة 704هـ/ 1304م والملك ادوارد الثاني ملك انكلترا . كان على رأس هذه الـسفارة توماس أوجي السيني (*Tomas Ugi of Siena*) وقد حمله اولجايتو رسالة لم يشر فيها إلى التحالف مع الأوروبيين ضد المماليك صراحة ، نظرا لأنه كان في حالـة صلح معهم ، ولكنه تعهد بتموين الجيش، وإمداد ملوك أوروبا في حالة حـضورهم إلى الشرق بقوله : " **وإذا وجد بينكم أو بيننا أناس لا يريـدون التفـاهم، فـسنقف بقدرة السماء صفا واحدا في وجوههم ، والسماء شاهدة على ما نقول** " ([1]) .

2- أرسل اولجايتو سفارته الثانية إلى أوروبا سنة 705هـ ـ/ 1305م وحملهـا رسالة شفوية خوفا من وقوعها بيد المماليك والكشف عـن سياسـته المزدوجـة . تضمنت الرسالة استعداد اولجايتو للتحالف مع ملوك أوروبا ضد المماليـك ، وقـد وصلت السفارة سنة 707هـ/ 1307م بعد وفاة ادوارد الأول واعتلاء ابنـه ادوارد الثاني العرش الانجليزي (707- 728هـ/1307 - 1327م) فرد الملك الجديـد مؤكدا رغبته في استمرار الصداقة دون أية التزامات أو تعهدات ([2]). كما هـاجم في رسالته الإسلام وأبدى عدم رضاه عن انتشاره في الدولة الأيلخانية وأرسل مـع سفارته بعثة للقيام بالتبشير بين المغـول([3]) ، كما خاطب البابا كلمنت الخـامس (*Clement V*)(1305– 1314م) ، مبديا التزامه بتقديم الخيول والمؤن ، وانـه سيكون على رأس الجيش المنوي إرساله إلى بيت المقدس إلا أن البابا لم يؤكـد ردا واضحا للتعاون مع الأيلخان ([4]) .

3- توجه السفير توماس بعد ذلك إلى انجلترا لمقابلة الملك ادوارد الثاني والطلـب منه الموافقة على مشاركته في الهجوم على المماليك ([5]) ، وجـه الملـك ادوارد

([1]) انظر الملحق خ

([2]) هلال , العلاقات , ص 138

([3]) John Andrew , The Mongol World Empire , p . 563

([4]) Ibid , p . 563

([5]) عمـران , المغـول والأوروبيـون , ص 368 ؛ John Andrew , the Mongol World Empire ,p . 563

جوابه على هذا الطلب إلى البابا كلمنت الخامس(*Clement V*)(1305– 1314م) مبديا حاجته إلى 000, 200 حصان و 200,000 حمل من الحبوب وانـه مـستعد للقدوم شخصيا على رأس جيش من 000, 10 مقاتل لدعم الحملة الصليبية القادمة لاستعادة بيت المقدس.

أما جواب البابا الذي أرسله إلى اولجايتو فلم يتضمن ما يؤكد هذا التعاون ([1]) .

لم تسفر سفارتا اولجايتو هذه إلى ملوك أوروبا والبابوية إلى أية نتـائج فيمـا يخص الأهداف العسكرية ، إلا أنها شجعت العلاقات التجارية مع الغرب الأوروبي حيث أقام الأوروبيون أسواقا تجارية في الأيلخانية ([2]) .

بوفاة اولجايتو خدابنده توقفت الاتصالات مع الغرب الأوروبي رغم اسـتمرار البعثات التبشيرية في الدولة الأيلخانية ، مما يدل على انه لم يكن في نية البابوية و ملوك أوروبا القيام بأي تعاون فعلي مع الدولة الأيلخانية. وقد ظلت العلاقات علـى هذه الصيغة حتى عهد الأيلخان بوسعيد ([3]) .

ويبدو أن البابوية أدركت خطورة ما تم من تقارب كبير بين الدولة الأيلخانيـة والمماليك والذي انتهى بالصلح الذي عقده الأيلخان بوسعيد معهم ، بعيـد اعتلائـه العرش سنة 716هـ/ 1316م ([4]) ، ثم تطور العلاقات الأيلخانية المملوكيـة فـي السنوات التالية، مما دفع بالبابا حنا الثاني والعـشرين (716 -735هـ ـ /1316 – 1334م) إلى كتابة رسالة إلى بوسعيد سنة 722هـ/ 1322م ذكره فيها بالـسياسة السابقة التي انتهجها الايلخانات قبله ، ودعاه إلى مد يد العون لأرمينيا اثـر هجـوم السلطان المملوكي الناصر محمد عليها كما دعاه إلى اعتناق المسيحية وطلب منـه إعادة سفرائه إلى روما ([5]) .

([1]) John Andrew , The Mongol World Empire , p . 563

([2]) بارتولد , دائرة المعارف الإسلامية , ج2 , ص511

([3]) هلال , العلاقات , ص142

([4]) المرجع نفسه , ص 141

([5]) المرجع نفسه , ص142

لم تترك رسالة البابا أي اثر لدى الأيلخان بوسعيد ، وتجاهل علاقاته مع الغرب الأوروبي رغم استمرار البعثات التبشيرية ، ورغم منحه امتيـازات تجاريـة فـي ايلخانيته للأوروبيين ([1]) ، ذلك ان صلحه مع المماليك كان صلحا راسخا فرضـته مصلحة الطرفين .

في ضوء ما ذكر آنفا فشل التحالف المغولي الأوروبي ضد المماليك لاخـتلاف الأهداف ، وصعوبة الاتصال بين الطرفين لبعد المسافة ، وسيطرة المماليـك علـى بلاد الشام ، مما جعل عملية الاتصال من الصعوبة بمكان ، وكان لفتور الحماسـة الصليبية لدى الأوروبيين ، وفشل البابوية في قيادة الغرب الأوروبي لاستعادة بيـت المقدس ، وضعف الإمارات الصليبية في الشرق دور في إحجام القوى الأوروبيـة عن تقديم أية مساعدة ممكنة .

([1]) حسين محمد عطية , سفارات الأرمن , المجلة التاريخية المصرية , م 36 , ص 231

الخاتمة

تحرت هذه الدراسة تسليط الضوء على السياسة الخارجية للدولة الأيلخانية (654-736هـ/ 1256-1335م) ، ضمن خطة توسعية جاءت في إطار السياسة العليا للدولة المغولية ، شجع فيها منكو خان هولاكو على تنفيذها حين أوصى له بالتوجه نحو الشرق لتوطيد النفوذ المغولي في الأراضي التابعة للدولة الخوارزمية ، والقضاء على الإسماعيلية ، وإسقاط الخلافة العباسية في بغداد ، وإنهاء حكم الإمارة البدرية ، لتصبح جميعا جزءا من ممتلكات الدولة الأيلخانية ، كما انه نجح في كسب المملكة الأرمينية للعمل إلى صفه في خطته التوسعية ، واستمرت في عهد من خلفه من الايلخانات، وظلت حريصة على إبقاءها حليفة لها كما وضح في الفصل الأول ، غير أن ذلك لم يكن كافيا ليعني نجاحه الحقيقي في عملية التوسع ، بل تركت وفاته الباب مفتوحا لاستئناف خطته في الوصول إلى الأهداف المرسومة التي لم تنفذ مستقبلا إلى من جاء بعده من الايلخانات .

تميزت سياسة الدولة الأيلخانية تجاه القوى المغولية الأخرى بالتوتر ، وقد اتجهت إلى منحى المواجهة والتصدي لمغول القبيلة الذهبية منذ عهد هولاكو ، غير أنها تبنت موقف الدفاع عن نفسها أمام هجمات القبائل المغولية التي استولت على بعض ممتلكاتها ، لذا فشلت سياستها الخارجية تجاه القبيلة الذهبية بتحقيق أهدافها حتى أواخر أيامها إبان عهد الأيلخان بوسعيد .

كما أنها فشلت في سياستها تجاه مغول جغتاي ، بسبب المشكلات الناجمة عن الحدود المشتركة بينهما ، وتحرت سياسة المواجهة والتصدي مما أدى إلى تغلغل دولة جغتاي بالتعاون مع مغول القبيلة الذهبية في أراضي الدولة الأيلخانية ، واستمر هذا الصراع حتى سقوط الدولة الأيلخانية سنة 736هـ/ 1335م كما اتضح في الفصل الثاني .

كما اتضح من خلال هذه الدراسة أن السياسة الخارجية للدولة الأيلخانية بعد هولاكو أخذت مسارات متعددة ، ففي عهد أباقا خان تحرت السياسة الخارجية للدولة الأيلخانية مواجهة القوى التي تقف في وجه طموحاته ، والمؤثرة على امتداد دولته ، ونعني بذلك القوى الأيوبية في بلاد الشام ، وفرنج الساحل ، إذ حققت الدولة

الأيلخانية نجاحها بالقضاء على القوى الأيوبية في بلاد الشام مستغلة ما نشأ بينها من صراعات ، كما أنها نجحت في تحقيق نوع من التحالف مع القوى الفرنجيـة فـي الساحل ، كما وضح في الفصل الثالث .

أما في سياستها الخارجية تجاه دولة المماليك البحرية فقد اتجهت نحو المواجهة والتصدي في عهد هولاكو وابنه أباقا ، غير أنها أخذت أبعادا أخـرى فـي عهـد الأيلخان احمد تكودار بسبب اعتناقه الإسلام ، واتجهت نحو إقامة صلح يستند إلـى أسس تناقض سياسة الدولة الأيلخانية الخارجية مما نجم عن سياسته تلـك تـصفيته على يد المغول ، كما أنها لم تنجح في توظيف أية تحالفات للقـضاء علـى دولـة المماليك البحرية في عهود ايلخاناتها ، سواء ممن اتخذ سياسة المواجهة والحرب ، أو ممن اتخذ اعتناقه للإسلام هدفا للوصول إلى بلاد الشام ومصر في عهود كل من غازان , وبوسعيد ، بل جنحت نحو إقامة صلح دائم مع المماليك في عهد الأيلخـان بوسعيد كما اتضح في الفصل الرابع .

وللحيلولة دون الإخلال بالتوازن العسكري والسياسي ، اتجهت الدولة الأيلخانية في سياستها الخارجية إلى الاتصال بالغرب الأوروبي لتوجيه الحملات إلـى دولـة المماليك البحرية ، ورغم نجاح الدولة الأيلخانية في إقامة علاقـات مـع البابويـة والغرب الأوروبي ، مقدمة استرجاع الأراضي المقدسة حجة وراء هذه العلاقـات ، كما وضح في الفصل الخامس ، إلا أنها فشلت في الحصول على الدعم الـسياسي والعسكري في عهود ايلخاناتها، لعجز القوى الأوروبية عن اتخـاذ قـرار توجيـه حملات صليبية جديدة إلى الشرق خاصة بعد سقوط عكا ، ولتركيز البابويـة علـى تنصير الايلخانات كشرط أساسي لتقديم الدعم العسكري .

ذلك ما كانت عليه السياسة الخارجية للدولـة الأيلخانيـة (654-736هـ / 1256-1335م) .

المراجع

أ – المراجع باللغة العربية

ابن الأثير , (ت 630هـ/ 1232م) (1939م) ، **الكامل في التاريخ** , د. ط , المطبعة الدمشقية , القاهرة

إقبال , عباس (2000م) , **تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية** , ترجمة عبد الوهاب علوب , د. ط, المجمع الثقافي , أبو ظبي.

ابن إياس , محمد بن احمد (ت930هـ/ 1523م) (1982م) , **بدائع الزهور في وقائع الدهور** , تح : محمد مصطفى , ط2 , الهيئة المصرية العامة للكتاب , القاهرة

باركر , ارنست , (1967م) ، **الحروب الصليبية** , ترجمة السيد الباز العريني , د.ط , دار النهضة العربية , بيروت.

براون , إدوارد, (1954م) ، **تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي** , ترجمة إبراهيم أمين الشواربي , القاهرة

البغدادي , صفي الدين (ت739هـ/1338م) (1955م) , **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع** , تح : علي البجاوي , دار المعرفة للطباعة والنشر , ط1 , بيروت

البقلي , محمد قنديل(1983م) , **التعريف بمصطلحات صبح الأعشى** , الهيئة المصرية العامة للكتاب

ابن تغري بردي , أبو المحاسن يوسف (ت 874هـ/ 1469م) (1992م) , **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**, قدم له ,محمد حسين شمس الدين ,ط1 , دار الكتب العلمية ,بيروت

ابن تغري بردي , أبو المحاسن يوسف (ت 874هـ/ 1469م) (1998م) , **الدليل الشافي على المنهل الصافي** , تح : فهيم محمد شلتوت , ط2 , مطبعة دار الكتب العلمية , القاهرة .

توراو , بيتر, (2002 م) ، **الظاهر بيبرس** , ترجمة : محمد جديـد , ط1 , قـدس للنشر والتوزيع , سوريا .
الجادر , عادل سالم العبد ,(2000 م) ، **الاسماعيليون** , ط1 , د . ن , الكويت .
ابن الجزري , محمد بن إبراهيم (ت699هـ/1299م) (1998م), **تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبناءه المعروف بتاريخ ابـن الجزري** , تح : عمر عبد السلام تدمري , ط1 , المكتبة العصرية , بيروت .
الجويني , عطا ملك(ت681هـ ـ/ 1282م)(د . ت) , **تـاريخ فاتـح العـالم (جهانكشاي)**, ترجمة عن الفارسية :محمد التونجي , د . ط , دار الشروق , د .ت
ابن حجر , احمد بن علي (ت852هـ/ 1448م) (1966م) ,**الدرر الكامنـة فـي أعلام المائة الثامنة** , تح : محمد سيد جاد الحق , ط2 , دار الكتب الحديثة , مصر
الحجي , حياة ناصر, العلاقات بين دولة المماليك ودولة مغول القفجاق في الفترة ما بين (658- 741 هـ/ 1269- 1341م) , **حوليات كلية الآداب** , جامعة الكويت , الحولية الثانية , الرسالة الثامنة , 1982م , ص9-45 .
الحسو , احمد عبد ا ,(2004م) ، **تاريخ الكرك في العصور الإسلامية** , ط1 , وزارة الثقافة , عمان .
الحلبي , سبط بن العجمي (ت 884هـ/1476م)(1996م) ,**كنوز الذهب في تاريخ حلب** , تح : شوقي شعث , فالح البكور , ط1 , دار القلم العربي , حلب .
الحنبلي , احمد بن إبراهيم العسقلاني (ت876هـ/ 1471م)(د .ت) ,**شفاء القلـوب في مناقب بني أيوب** , تح : ناظم رشيد , د.ن, د.م .
الخالدي , إسماعيل,(د.ت) ، **العالم الإسلامي والغزو المغولي** , د.ط , مكتبة الفلاح
ابن خلدون , عبد الرحمن (ت 808هـ/ 1406م) (د.ت) ,**تاريخ ابـن خلـدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن**

عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر , ط1, دار إحياء التـراث العربـي ,
بيروت

ابن خلكان , احمد (ت 681هـ/1281م)(د.ت) ,**وفيات الأعيـان وأنبـاء أبنـاء الزمان** , مراجعة وزارة المعارف العمومية , الطبعة الأخيـرة , مطبعـة عيسى البابي الحلبي , مصر

خواندمير , محمد بن خواند شاه (ت903هـ/1497م) (1988م),**روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء** , ترجمة عن الفارسية احمد عبد القـادر الشاذلي , مراجعة السباعي محمد السباعي , ط1 ,الدار المصرية للكتـاب, د. م

ابن دقماق , صارم الدين إبراهيم بن محمـد(ت809هـ / 1406م)(1995م) , **نزهة الأنام في تاريخ الإسلام** , تـح : سـمير طبـارة , ط1 , المكتبـة العصرية , بيروت

ابن دقماق , صارم الدين إبراهيم بن محمد(ت809هـ/ 1406م)(1985م) , **الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين** , تح : محمد كمال الدين عـز الدين علي , ط1 , عالم الكتب , بيروت

الدوادار, ركن الدين بيبرس المنصوري(ت 725هـ/ 1324م)(1998م) , **زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة** , تح : دونالـد ريتـشاردز ,ط1 ,الـشركة المتحدة للتوزيع ,بيروت 1998

الدوادار, ركن الدين بيبرس المنصوري (ت 725هـ/ 1324م)(1993م) , **مختار الأخبار** , تح : عبد الحميد صالح حمدان , ط1 , الـدار المـصرية اللبنانية , القاهرة

الدوادار, ركن الدين بيبرس المنصوري(ت 725هـ/ 1324م)(1987م)، **التحفة الملوكية في الدولة التركية** , ط1 , الـدار المـصرية اللبنانيـة , القاهرة

الدواداري, عبدا ابن أيبك (ت 636هـ/ 1238م)(1960م) , **كنز الدرر وجامع الغرر , الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر** , تح : هانس روبرت رويمر , مطبعة سامي الخانجي , القاهرة

الدويهي , اسطفان, (د.ت) ،**تاريخ الأزمنة** , نشره وعلق عليه : الاباتي بطرس فهد , د. ط , د . م

الديار بكري , حسين بن محمد بن الحسن (ت 807هـ/1405م) (د.ت),**تـاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس** , دار صادر , مؤسسة شـعبان للنـشر والتوزيع , بيروت

ديورانت , دل وايريل,(1988م) ، **قصة الحضارة** , ترجمة محمد بدران , د.ط , دار الجيل , بيروت ,

الذهبي , الحافظ شمس الدين (ت784هـ/ 1328م)(1985م) ,**ذيول العبر في خبر من غبر** , تح : أبو هاجر محمد بن السعيد بـسيوني , ط1 , دار الكتـب العلمية , بيروت

الذهبي , الحافظ شمس الدين (ت784هـ/ 1328م)(1985م) ، العبر في خبر من غبر ,تح , أبو هاجر محمد بن السعيد بسيوني ,ط1 ,دار الكتب العلميـة , بيروت

الذهبي , الحافظ شمس الدين (ت784هـ/ 1328م)(د.ت) ، **دول الإسلام** , عنى بطبعه ونشره عبد ا بن إبـراهيم الأنـصاري , إدارة إحيـاء التـراث الإسلامي , قطر

الذهبي , الحافظ شمس الدين (ت784هـ/ 1328م)(1956م) ، **سير أعلام النبلاء** , د.ط , القاهرة

رشاد , عبد المنعم, (د. ت) ، **موسوعة الموصل الحـضارية** , د.ط، دار الكتـب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل

رنسيمان, ستيفن, (1997م) ، **تاريخ الحروب الصليبية** , ترجمة الـسيد البـاز العريني , د. ط, دار الثقافة , بيروت

الزبيدي , مرتضى بن محمد (ت 1205هـ/1790م)(1969م) , **ترويح القلوب في ذكر الملوك بني أيـوب** , تح : صلاح الدين المنجـد , د.ط , مطبوعـات مجمع اللغة العربية , دمشق

ابن سباط , حمزة بن احمد بن عمر (بعيد 926هـ ـ/ 1920م)(د . ت) ,**تـاريخ ابن سباط (صدق الأخبـار)** , تح : عمر عبـد الـسلام تـدمري , ط1 , جروس برس , طرابلس

السبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب (ت771هـ/ 1370م)(د. ت) **طبقات الشافعية الكبرى** , تح : عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي , د.ط , دار إحياء الكتب العربية , القاهرة

سميث , جوناثان رايلي , (1989م) ، **الاسبتارية فرسان القديس يوحنا في بيـت المقدس وقبرص (1050- 1310م)** , ترجمة : صبحي الجـابي , ط1 , دار طلاس للدراسات والترجمة , دمشق

السيوطي , جلال الدين عبد الرحمن (ت911هـ/1505م)(1927م) , **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة** , د.ط , المطبعـة الـشرقية , بغداد

أبو شامة , عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت665هـ ـ/ 1267م)(1947م), **تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين** , تح : محمد زاهد الكوثري , ط1 , د . ن , القاهرة

شبولر , بارتولد, (1982م) ، **العالم الإسلامي في العصر المغولي** , ترجمة خالـد اسعد عيسى , مراجعة سهيل زكار , ط1 , دار حسان للطباعة والنـشر , دمشق

شبولر بارتولد , (1981 م) ، **تركستان من الفتح العربي إلى الغـزو المغـولي** , ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم , ط1 , المجلس الوطني للثقافة والفنون , الكويت

شبولر , بارتولد , **دائرة المعارف الإسـلامية** , يـصدرها : احمـد الـشنتناوي وإبراهيم زكي خورشيد, مراجعة محمد مهدي علام, د.ط .

ابن شداد , محمد بن علي بن إبراهيم (ت684هـ/ 1285م)(1978م)، **الاعـلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة** , تح : يحي عبادة , د . ط, وزارة الثقافة والإرشاد القومي , دمشق

الصفدي , خليل بن أيبـك (ت764هـ ـ/ 1362م) (1998م) , **أعيـان العـصر وأعوان النصر** , تح: علي أبو زيد زنبيل أبو عمشه , ط1 , دار الفكـر , دمشق

الصفدي , خليل بن أيبك (ت764هـ/ 1362م) (1991م) **الوافي بالوفيات** , ط2 , باعتناء جاكلين سبله وعلي عمارة , فرانزشتايز , شتودغارت

الصياد , فؤاد عبد المعطي, **المغول في التاريخ** , د.ط, دار النهضة العربية, بيروت

ابن الطقطقا , محمد بن علي ابن طباطبا (ت 701هـ/ 1301م) ,**تـاريخ الـدول الإسلامية المعروف بالفخري في الآداب السلطانية** , د . ط , دار صادر , بيروت

طه , مصطفى, (د.ت) ، **مغول إيران بين المسيحية والإسلام** , د.ط , دار الفكـر العربي, د.م

الطوسي, نصير الدين (ت672هـ/ 1273م) ,**كيفية واقعة بغداد** ,ترجمة محمـد التونجي , ورد في الجزء الثالث من كتاب عطا ملك الجويني , **تاريخ فاتح العالم جهانكشاي**

عاشور , سعيد عبد الفتاح (1963م) , **الحركة الصليبية** , ط1 , مكتبة الانجلـو المصرية , مصر .

ابن عبد الظاهر , محي الدين (ت692هـ/ 1292م) ,**تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور** , تح : مراد كامل , ط1 , الشركة العربية للطباعة , الجمهورية العربية المتحدة

ابن عبد الملك , عبد الملك بن حسين (ت 1111هـ/1699م)(1998م), **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي** , تح : عادل احمد عبد الموجود وعلي مصطفى , ط1 , دار الكتب العلمية , بيروت

ابن العبري , غريغوريوس الماطي المعروف (ت685هـ/ 1286م)(1986) , **تاريخ الزمان** , ترجمة الأب إسحاق أرملة , ق دم له الأب جان موريس , د. ط, دار المشرق , بيروت

ابن العبري , غريغوريوس الماطي المعروف (ت685هـ/ 1286م)(د.ت) , **تاريخ مختصر الدول** ، ط1 ،دار المسيرة ، بيروت

عطية , حسين محمد, سفارات الأرمن إلى المغول وأثرها على العلاقات الأوروبية المغولية , **المجلة التاريخية المصرية** , ع 36 , 1989

علي , محمد كرد , (1969م) ، **خطط الشام** , ط2 , د.ن , بيروت

ابن العماد الحنبلي , عبد الحي (ت 1089هـ) ,**شذرات الذهب في أخبار من ذهب** , د,ط , دار الكتب العلمية , بيروت

عمران , محمود , (2003م) ،**المغول والأوروبيون والصليبيون وقضية القدس** , ط1 , دار المعرفة الجامعية , د.م

ابن العميد, جرجس (ت672هـ/1273م)(د. ت) ,**أخبار الأيوبيين** , د. ط, مكتبة الثقافة الدينية , بورسعيد

عيسى , عبد المعز, (1997م) ، **الغـزو المغـولي لدمـشق وآثـاره الـسياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية** , رسالة ماجـستير غيـر منـشورة , جامعة اليرموك , اربد

العيني , بدر الدين محمود (ت855هـ/ 1451م) ,**عقد الجمان في تـاريخ أهـل الزمان** , تح : محمد محمد أمين , د.ط , مركز تحقيق التـراث , الهيئـة المصرية العامة , د. م

الغساني, الاشرف إسماعيل بن العباس (ت803هـ/ 1400م)(1975م) ,**العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك** , تح : شـاكر محمود عبد المنعم , دار التراث الإسلامي ، بيروت

أبو الفدا , إسماعيل بن علي (ت732 هـ/ 1331م)(د. ت),**المختصر في أخبار البشر** , , علق عليه ووضع حواشيه محمود ديوب , ط1 , دار الكتـب العلمية , بيروت

أبو الفدا , إسماعيل بن علي (ت732 هـ ـ/ 1331م)(د. ت) ، **تقـويم البلـدان** ،عنى بتصحيحه رينود والبارون ماك كوكين، دار صادر ، بيروت

ابن الفرات , محمد بن عبد الرحيم (ت807هـ/ 1404م)(1939م) ,**تاريخ ابن الفرات** , تح : قسطنطين زريق , المطبعة الاميركانية , بيروت

ابن فضل ا العمري, احمد بن يحي (ت749هـ/ 1348م)(2001م),**مـسالك الأبصار في ممالك الأمصار** , تح : محمد عبد القادر خريسات وآخرون , د. ط , مركز زايد للتراث والتاريخ , الإمارات العربية المتحدة

فهمي , عبد السلام عبد العزيز , (1981م) ، **تاريخ الدولة المغولية في إيـران** , د.ط, دار المعارف , القاهرة

فوزي , فاروق , (1988م) ، **حكام بلاد فارس والعدوان على العراق خلال العصر العباسي** , ط1 , دار الشؤون الثقافية العامة , العراق , بغداد

ابن الفوطي ,عبد الرازق بن احمـد (ت723هـ ـ/ 1323م)(د. ت) , **تلخـيص مجمع الآداب في معجم الألقاب** , تح : مصطفى جواد , د.ط , د. م

القزاز , محمد صالح (1970م), **الحياة السياسية في العـراق عهـد الـسيطرة المغولية** , د . ط , مطبعة القضاء , النجف

القزاز , محمد صالح (1071م), **الحياة السياسية في العراق عهد السيطرة الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخيـر**, د. ط, مطبعـة القضاء , النجف

القلقشندي , احمد بن علي (ت821هـ/ 1418م)(د. ت) ،**صبح الأعـشى فـي صناعة الانشا،** شرحه وعلق عليه محمد حسين شمس الـدين . د.ط , دار الفكر للطباعة والنشر

الكاتب , شافع بن علي (ت730هـ/1329م)(د. ت) , **الفضل المأثور من سـيرة السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون** , د .ط , د . م

كاهن , كلود, (1995م) ، **الشرق والغرب زمن الحروب الـصليبية** , ترجمـة : احمد الشيخ , ط1 , دار سينا للنشر , القاهرة

الكتبي , محمد بن شاكر (ت864هـ/ 1459م)(1984م) ,

عيون التواريخ , تح : فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم , وزارة الثقافـة والإعلام , العراق

الكتبي , محمد بن شاكر (ت864هـ/ 1459م)(د.ت) , **فوات الوفيات والـذيل عليها** , تح : إحسان عباس , د.ط , دار الثقافة , بيروت

ابن كثير, الحافظ (ت774هـ/ 1372م)(1990م) ,**البدايـة والنهايـة** , ط2 , مكتبة المعارف , بيروت.

كوك , ريجارد ،(1962) , **بغداد مدينة السلام** , ترجمة فؤاد جميل , ط1 , مطبعة شفيق , بغداد.

مؤلف مجهول , (منسوب خطـأ لابـن الفـوطي ت723هـ ـ/ 1323م)(د.ت) , **الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة** , تـح : مـصطفى جواد , د .ط ,المكتبة العربية , بغداد

مؤلف ,مجهول ،(2001م) , **تتمة كتاب وليم الصوري المنسوب خطأ إلى روثلان** , ترجمة أسامة زكي زيد , ط2 , دار المصطفى للطباعـة والكمبيـوتر , طنطا

أبو مغلي , محمد وصفي, (1985 م) ، **إيران دراسة عامة** , د. ط, مركز دراسات الخليج العربي , البصرة ,

مقديش , محمود, (1988م) ، **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار** , تح : علي الزواري , محمد محفوظ , ط1 , دار الغرب الإسلامي , بيروت

المقريزي , تقي الدين احمد بن علـي (ت845هـ ـ/ 1441م)(د.ت) ,**الـسلوك لمعرفة دول الملوك** , صححه ووضع حواشيه محمد مصطفى زيـادة , د. ط , مصر

نصر , سوسن محمد, بنو أيوب مع الخوارزمية والمغـول , **المجلـة التاريخيـة المصرية** , ع , 30 , 31 ,1983 / 1984

النويري, احمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ/1322م) (2004م) ، **نهاية الأرب في فنون الأدب** , تح : نجيب مصطفى فواز , ط1 , دار الكتب العلمية , بيروت

هلال , عادل إسماعيل, (1997م) ، **العلاقات بين المغول وأوروبا وأثرها على العالم الإسلامي**,ط1 ,عين للدراسات والبحوث الإنسانية,مصر

الهمذاني, رشيد الدين (ت718هـ/ 1318م) (2000م) , **جامع التواريخ (تاريخ غازان خان)** , دراسة وترجمة : فؤاد الصياد , الدار الثقافية للنشر , ط1 , القاهرة

الهمذاني, رشيد الدين (ت718هـ/ 1318م)(1960م) ،**جامع التواريخ**, ترجمة فؤاد الصياد , د.ط, القاهرة

الهمذاني, رشيد الدين (ت718هـ/ 1318م)(1983م) ،**جامع التواريخ (خلفاء جنكيز خان)** , ترجمة فؤاد الصياد , مراجعة يحي الخشاب , ط1 , دار النهضة العربية للطباعة والنشر , بيروت

ابن واصل , جمال الدين محمد (ت 697 هـ/ 1298م)(د.ت) ,**مفرج الكروب في أخبار بني أيوب** , تح : جمال الدين الشيال , د. ن , د. م

ابن الوردي , عمر بن مظفر (ت749هـ/ 1348م)(1969م) ,**تاريخ ابن الوردي** , ج2 , د . ط , منشورات المطبعة الحيدرية , النجف

ياسين , عبد علي, (1978م) ، **العراق في عهد المغول الايلخانيين** , رسالة دكتوراة غير منشورة , جامعة الأزهر.

اليافعي , عبد ا بن اسعد (ت768هـ/ 1366م)(1997م) ,**مرآة الجنان وعبرة اليقظان** , ط1 , دار الكتب العلمية , بيروت .

اليونيني , قطب الدين موسى بن محمد (ت726هـ/1326م)(1961م) , **ذيل مرآة الزمان** , ط1 , مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية , حيدر أباد الدكن , الهند.

ب- المراجع الأجنبية

Boyle ,John Andrew , (1977), **The Mongol World Empire_1206 – 1370** , preface by Owen Lattimore , Variorum Reprints , London

Grousset , Rene , **L , Empire Mongol** ,puplies sous la direction dem . e . cavaignas

Grousset , Rene **, (**1980) **L , Empire Mongol Des Steppes** , Paris

Grousset , Rene **,** (1963), **Histoire Des Croisades et du Royaume** , Paris ,

Irwin, Robert , **The Middle East In The Middle Ages The Early Mamluk Sultan At (1250-1382)**, groom

Morgan , David , **Medieval Persia 1040 – 1797** , first published , long man group uk limited , New York

Setton , K .M , **A history Of The Crusades** , Philadelphia , Pennsylvania University press

Spuler , Bertold , (1979) , **Ilkhans** ,The encyclopedia of Islam , new edition , vol III , London

Spuler , Bertold ,(1972) **The History Of Mongols** , London

Sykes , Percy(1963) , **History Of Persia** , third edition , London

ملحق أ

وصية منكوخان لأخيه هولاكو عند توجهه نحو الغرب لفتحه

ملحق أ

وصية منكوخان لأخيه هولاكو عند توجهه نحو الغرب لفتحه . ([1])

" انك الآن على رأس جيش كبير وقوات لا حصر لها , فينبغي أن تسير من توران إلى إيران وحافظ على تقاليد جنكيزخان وقوانينه في الكليات والجزئيات , وخص كل من يطيع أوامرك, ويجتنب نواهيك, في الرقعة الممتدة من جيحون حتى أقاصي بلاد مصر , بلطفك وبأنواع عطفك وإنعامك , أما من يعصيك فأغرقه في الذلة والمهانة, مع نسائه, وأبنائه, وأقاربه, وكل من يتعلق به , وابدأ بإقليم قهستان فـي خراسـان فخرب القلاع والحصون .

وإذا فرغت من هذه المهمة فتوجه إلى العراق وأزل من طريقك اللـور والأكـراد الذين يقطعون الطرق على سالكيها .

وإذا بادر خليفة بغداد بتقديم فروض الطاعة فلا تتعرض له مطلقا, أمـا إذا تكبـر وعصى.. فألحقه بالآخرين من الهالكين .

كذلك ينبغي أن تجعل رائدك في جميع الأمور العقل الحكيم, والرأي الـسديد , وان تكون في جميع الأحوال يقظا عاقلا , وان تخفف على الرعية التكـاليف والمـؤن , وان ترفه عنهم , وأما الولايات الخربة فعليك أن تعيد تعميرها في الحال , وثق انك بقوة ا   العظيم سوف تفتح ممالك الأعداء , حتى يصبح لك فيها مصايف ومـشاتي عديدة وشاور دقوز خاتون في جميع القضايا والشؤون . "

([1]) الهمذاني , جامع التواريخ , م2 , ج1 , ص236 -237

ملحق ب

رسالة صادرة من هولاكو إلى الخليفة العباسي المستعصم يطلب المدد في حربـه ضد الإسماعيلية

ملحق ب

رسالة صادرة من هولاكو إلى الخليفة العباسي المستعصم يطلب المدد في حربه ضد الإسماعيلية . ([1])

" بناء على أمر القان , قد عزمنا على تحطيم قلاع الملاحدة , وإزعاج تلك الطائفة , فإذا أسرعتم وساهمتم في تلك الحملة بالجيوش والعدد , فسوف تبقى لكـم ولايـاتكم وجيوشكم ومساكنكم , وسنحمد لكم مواقفكم . أما إذا تهاونتم في امتثـال الأوامـر, وأهملتم فإننا حين نفرغ بقوة ا من أمر الملاحدة , فننا لا نقبل عذركم ونتوجه إليكم فيجري على ولاياتكم ومسكنكم ما يكون قد جرى عليهم " .

([1]) الهمذاني , جامع التواريخ , مج2 , ج1 , ص240

ملحق ج

رسالة صادرة من هولاكو إلى الخليفة العباسي المستعصم

يعاتبه على عدم إرسال المدد لقتال الإسماعيلية ويظهر فيها الطاعة

ملحق ج

رسالة صادرة من هولاكو إلى الخليفة العباسي المستعصم

يعاتبه على عدم إرسال المدد لقتال الإسماعيلية ويظهر فيها الطاعة ([1])

" لقد أرسلت إليك وقت فتح قلاع الملاحدة الإسماعيلية , وطلبنا مددا من الجند , ولكنك أظهرت الطاعة , ولم تبعث الجند , وكانت آية الطاعة والاتحاد أن تمدنا بالجيش عند مسيرنا إلى الطغاة , فلم ترسل إلينا الجند , والتمست العذر , ومهما تكن أسرتك عريقة وبيتك ذا مجد تليد ...

ولا بد انه قد بلغ سمعك على لسان الخاص والعام , ما حل بالعالم والعالمين , على يد الجيش المغولي منذ عهد جنكيزخان إلى اليوم , والذي حاق بأسر الخوارزميين وملوك الديالمة والاتابكة , وغيرهم ممن كانوا ذوي عظمة وشوكة , وذلك بحول ا القديم الدائم , ولم يكن باب بغداد مغلقا في وجه أية طائفة من تلك الطوائف ... واتخذوا منها قاعدة ملك العالم لهم , فكيف يغلق في وجهنا رغم مالنا من قدرة وسلطان ؟ ولقد نصحناك من قبل , والآن نقول لك احذر الحقد والخصام المخصف بقبضة يدك , ولا تلاطخ الشمس بالوحل فتتعب .

ومع هذا فقد مضى ما مضى , فإذا أطاع الخليفة , فليهدم الحصون, ويردم الخنادق, ويسلم البلاد لابنه ويحضر لمقابلتنا , وإذا لم يرد الحضور فليرسل كلا من الوزير وسليمانشاه والدويدار ليبلغوه رسالتنا دون زيادة أو نقص , فإذا استجاب لأمرنا فلن يكون من واجبنا أن نكن له الحقد , وسنبقي له على دولته وجيشه ورعيته, أما إذا لم يصغ إلى النصح واثر الخلاف والجدال , فليعبئ الجند وليعين ساحة القتال, فإننا متأهبون لمحاربته , وواقفون له على استعداد , وحينما أقود الجيش مندفعا بصورة الغضب إلى بغداد , فانك إذا كنت مختفيا في السماء, أو في الأرض .. فسوف أنزلك من الفلك الدوار وسألقيك من عليائك إلى أسفل كالأسد .. ولن ادع حيا في مملكتك , وسأجعل مدينتك وأقاليمك وأراضيك

([1]) الهمذاني , جامع التواريخ , ج2 , ص267 - 268

طعمة للنار ... فإذا أردت أن تحفظ راسك وأسرتك فاستمع لنـصحي بمـسمع العقل والذكاء وإلا فسأرى كيف تكون إرادة ا . "

ملحق د

رسالة صادرة من هولاكو إلى الملك الناصر يوسف صاحب دمشق سنة 656هـ/1258م

ملحق د

رسالة صادرة من هولاكو إلى الملك الناصر يوسف صاحب دمشق سنة 656هـ/1258م ([1])

" يعلم سلطان ناصر طال بقاءه , إنا لما توجهنا إلى العراق , وخرج إلينا جنودهم , قتلناهم بسيف ا , ثم خرج ألينا رؤساء البلد ومقدموها , فكانت قصارى كل منهم سببا لهلاك نفوس تستحق الإذلال , وأما صاحب البلد الخليفة , فانه خرج إلى خدمتنا , ودخل تحت عبوديتنا , فسألناه عن أشياء كذبنا فيها , فاستحق الإعدام وكان كذبه ظاهرا " *ووجدوا ما عملوا حاضرا* ", وأنت فأجب ملك البسيطة , ولا تقولن قلاعي المانعات, ورجالي المقاتلات وقد بلغنا أن شذرة من عساكر العراق التجأت إليك هاربة والى جنائك لائذة .

أين المفر ولا مفر لهارب ولنا البسيطان الثرى والماء

فبساعة وقوفك على كتابنا تجعل قلاع الشام سماءها أرضا وطولاه عرضا والسلام "

([1]) السيوطي , حسن المحاضرة , ص408 ؛ العماد الحنبلي , شذرات , ج5 , ص272 ؛ عبد الملك حسين بن عبد الملك , سمط النجوم في أنباء الأوائل والتوالي , تح : عادل احمد عبد الموجود وعلي مصطفى , ط1 , دار الكتب العلمية , بيروت : 1998م , ج3 , ص526 وسيشار إليه تاليا : عبد الملك , سمط النجوم

ملحق هـ

رسالة صادرة من هولاكو إلى الملك الناصر يوسف صاحب دمشق سنة 658هـ/1259م

ملحق هـ

رسالة صادرة من هولاكو إلى الملك الناصر يوسف صاحب دمشق سنة 658هـ/1259م ([1])

" حضرة ملك ناصر طال عمره , أما بعد , فانا فتحنا بغداد , واستأصلنا ملكها وملكها , وقد كان ضن بالأموال , ولم ينافس بالرجال , فظن أن ملكه يبقى على ذلك الحال , وقد علا ذكره ونما قدره , فخسف في الكمال بدره .

إذا أتم شيء بدا نقصه   ترقب زوالا إذا قيل تم

ونحن في طلب الازدياد على ممر الآباد , فلا تكن كالذين نسوا ا , وابدأ ما في نفسك إما إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان , اجب دعوة ملك البسيطة تأمن شره , وتنل من بره , واسع إليه برجالك وأمرائك , ولا تعق رسولنا والسلام "

([1]) السيوطي , حسن المحاضرة , ص408 ؛ العماد الحنبلي , شذرات , ج5 , ص273 ؛ عبد الملك , سمط النجوم , ج3 , ص527

ملحق و

رسالة صادرة من هولاكو إلى الملك الناصر يوسف صاحب دمشق ورد فيه بعض الاختلاف

رسالة صادرة من هولاكو إلى الملك الناصر يوسف صاحب دمشق ورد فيه بعض الاختلاف ([1])

" أما بعد فنحن جنود الله بنا ينتقم ممن عتا وتجبر , وطغى وتكبر , وبأمر الله ما ائتمر, إن عوقب تنمر , وان روجع استمر , ونحن قد أهلكنا البلاد , وأبدنا العباد , وقتلنا النساء والأولاد , فيا أيها الباقون , انتم بمن مضى لاحقون , ويا أيها الغافلون , انتم إليها تساقون , ونحن جيوش الهلكة لا جيوش المملكة , مقصودنا الانتقام , وملكنا لا يرام , ونزيلنا لا يضام , وعدلنا في ملكنا قد اشتهر , ومن سيوفنا أين المفر , ولا مفر ؟ ذلت لهيبتنا الأسود , وأصبحت في قبضتنا الأمراء والخلفاء , ونحن إليكم صائرون , ولكم الهرب وعلينا الطلب ,

ستعلم ليلى أي دين قد تداينت   وأي غريم للتقاضي غريمها

دمرنا البلاد , وايتمنا الأولاد , وأهلكنا العباد , وجعلنا عظيمهم صغيرا , وأميرهم أسيرا , تحسبون أنكم ناجون أو متخلصون , وعن قليل سوف تعلمون على ما تقدمون , وقد اعذر من انذر . "

([1]) سبط ابن العجمي الحلبي , كنوز الذهب في تاريخ حلب , تح : شوقي شعث , فالح البكور , ط1 , دار القلم العربي , حلب : 1996م ,ج1 , ص611 -612 وسيشار إليه تاليا : ابن العجمي , كنوز الذهب؛ السيوطي , حسن المحاضرة , ص408 -409 ؛ العماد الحنبلي , شذرات , ج5 , ص273 ؛ عبد الملك , سمط النجوم , ج3 , ص527

ملحق ز

رسالة صادرة من هولاكو إلى الملك الناصر يوسف صاحب دمشق سنة 657هـ/ 1259م

ملحق ز

رسالة صادرة من هولاكو إلى الملك الناصر يوسف صاحب دمشق سنة 657هـ/ 1259م ([1])

" يعلم الملك الناصر أننا نزلنا بغداد في سنة ست وخمسين وستمائة , وفتحناها بسيف الله تعالى, وأحضرنا مالكها وسألناه مسألتين فلم يجب لسؤالنا , فلذلك استوجب منا العذاب كما قال في قرأنكم, "*إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم*" , وصان المال , فآل الدهر به إلى ما آل , واستبدل النفوس النفيسة بنقوش معدنية خسيسة, وكان ذلك ظاهر قوله تعالى : " *وجدوا ما عملوا حاضرا*" لأننا قد بلغنا بقوة الله الإرادة , ونحن بمعونة الله تعالى في الزيادة, ولا شك أن نحن جند الله في أرضه, خلقنا وسلطنا على من حل عليه غضبه , فليكن لكم فيما مضى معتبر , وبما ذكرناه وقلنا مزدجر , فالحصون بين أيدينا تمنع, والعساكر للقائنا لا تضر ولا تنفع , ودعاءكم علينا لا يستجاب ولا يسمع فاتعظوا بغيركم , وسلموا إلينا أموركم , قبل أن ينكشف الغطا , ويحل عليكم الخطا , فنحن لا نرحم من شكا , ولا نرق لمن بكا , قد أخربنا البلاد , وأفنينا العباد , وايتمنا الأولاد , وتركنا في الأرض الفساد , فعليكم بالهرب , وعلينا بالطلب , فما لكم من سيوفنا خلاص , ولا من سهامنا مناص , فخيولنا سوابق , وسهامنا خوارق , , وسيوفنا صواعق , وعقولنا كالجبال , وعددنا كالرمال , فمن طلب منا الأمان سلم , ومن طلب الحرب ندم , فان انتم أطعتم أمرنا وقبلتم لشرطنا , كان لكم مالنا وعليكم ما علينا , وان انتم خالفتم أمرنا وفي غيكم تماديتم , فلا تلومونا ولوموا أنفسكم , فالله عليكم يا ظالمين, فهيئوا للبلايا جلبابا , وللرزايا أترابا فقد اعذر من انذر , وأنصف من حذر لأنكم أكلتم الحرام وخنتم بالإيمان , وأظهرتم البدع , واستحسنتم الفسق بالصبيان , فابشروا بالذل والهوان , فاليوم تجدون ما كنتم تعلمون , سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون , فقد ثبت عندكم أننا كفرة , وثبت عندنا أنكم فجرة , وسلطنا عليكم من بيده الأمور مقدرة , والأحكام مدبرة , فعزيزكم عندنا ذليل , وغنيكم لدينا فقير , ونحن مالكون الأرض

([1]) ابن العبري , مختصر الدول , ص277- 278

شرقا وغربا , وأصحاب الأموال نهبا وسلبا , وأخذنا كل سفينة غـصبا , فميـزوا بعقولكم طرق الصواب قبل أن تضرم الكفرة نارها , وترمي بشرارها , فلا تبقـي منكم باقية , وتبقي الأرض منكم خالية , فقد أيقظناكم حين راسلناكم , فسارعوا إلينا برد الجواب بتة , قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وانتم تعلمون "

ملحق ح

رسالة صادرة هولاكو إلى السلطان المملوكي المظفر قطز سنة 658هـ/ 1260م

ملحق ح

رسالة صادرة هولاكو إلى السلطان المملوكي المظفر قطز سنة 658هـ/ 1260م " [1]

"من ملك الملوك شرقا وغربا القان الأعظم :

باسمك اللهم باسط الأرض ورافع السماء.

يعلم الملك المظفر وسائر أمراء دولته, وأهل مملكته بالديار المصرية, وما حولها من العمال , أننا جند ا في أرضه , خلقنا من سخطه , وسلطنا على من احل عليه غضبه , فسلموا إلينا أموركم تسلموا , قبل أن ينكشف الغطاء فتندموا , وقد عرفتم أننا خربنا البلاد , وقتلنا العباد , فلكم منا الهرب , ولنا خلفكم الطلب , فما لكم من سيوفنا خلاص , خيولنا سوابق , وسيوفنا قواطع , وقلوبنا كالجبال ,وعددنا كالرمال , ومن طلب حربنا ندم , ومن قصد أماننا سلم , فان انتم لشرطنا وأوامرنا أطعتم فلكم ما لنا , وعليكم ما علينا , فقد اعذر من انذر , وقد ثبت عندكم أننا كفرة , وثبت عندنا أنكم الفجرة , فأسرعوا إلينا بالجواب قبل أن تضرم الحرب نارها , وترميكم بشرارها , فلا يبقى لكم جاه ولا عز , ولا يعصمكم منا جبل ولا حرز , فما بقي لنا مقصد سواكم , والسلام علينا وعليكم , وعلى من اتبع الهدى , وخشي عواقب الردى , وأطاع الملك الأعلى " .

([1]) انظر رسالة هولاكو للسلطان قطز لدى : ابن دقماق , نزهة الأنام , ص262 ؛ ابن إياس , بدائع الزهور , ج1 , ق1 , ص305 ؛, القلقشندي , صبح الأعشى , ج8 , ص64- 65

ملحق ط

رسالة صادرة من الأيلخان أباقا إلى السلطان المملوكي الظاهر بيبرس

سنة 667هـ/ 1268م

ملحق ط

رسالة صادرة من الأيلخان أباقا إلى السلطان المملوكي الظاهر بيبرس سنة 667هـ/ 1268م " ([1])

" بقوة ا تعالى .

بإقبال قآن.

فرمان أباقا

يعلم السلطان ركن الدين انه لأجل أن عرض على رأينا كتـب إلـى عنـد التكفور, أن الرسل الذين أنفذهم ايلخان ما قتلهم إلا قطز, والملوك يطلبون التوسـط حتى يصيروا إلى أيل الى والآن لو ينعم في حقي ايلخان أصير أيل, وقد سـمعنا أن قد طلبت القفجاق الذي عندنا وهم سيف الدين بلبان وبدر الدين بكمش, وأولاد سيف الدين سكز ولا ريب أن منذ سنين الذي ما كان قبلهم معنا صحيح كان بين إخواننـا الكبار والصغار بعضهم بعضا خاف, فلأجل ذلك ما قدرنا نركب إلـى صـوبكم , والآن إذ نحن جميعا من الأخوة الكبار والصغار عملنا قوريلتاي, واتفقنا على أن ما نغير فرمان وياساه قآن,وانتم أيضا قد تقدمتم وعرضتم أنا نحن نصير أيل ونعطـي القوة استحسنا ذلك منكم فمن مطلع الشمس إلى مغيبها في جميع العالم مـن الـذي استقبل وأطاع ودخل في العبودية وكان من قبل هذا في فرمان وياسات جنكيز خان, والآن أيضا في فرمان وياسات قان هيكداه أن إذا أذنب الأب ما يذنب الولـد ولـو يذنب الأخ ما يمسكونه بذنب الأخ الصغير فلو أذنب الذنب أذنب الـسلطان قـدوز وهو رجل في ذنبه قتل على يدك بالحق فأنت لو وصلت إلى كلامك الذي قلت نفـذ إلينا من إخوانك أو من أولادك أو من امرايك الجياد هاهنا حتى نـسمعهم ونفهمهـم يرالغ وياسات قان ويعودون إليك فإذا وقع الاتفاق بيننا الناس الذي طلبت منا يمشون نحن نعطيكم ولو أن ما تصل إلى كلامك وتكون باغي وتفكر غير الـصحيح نحـن ليس نعلم ذلك يعلم ا وإقبال قان أمرنا هكذا ونفذنا إليكم هذين الرسولين وهما بيك

([1]) بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص117-118؛ ابن كثير , البداية , ج13 , ص254 ؛ العيني , عقد الجمان , ج2 و ص40 -42 ؛ ابن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج7 , ص130

طوت وأبو الغريب بالاولاغ كتب في عشرين شهر ربيع الآخر سنة سـبع وسـتين وستماية بمقام بغداد "

ملحق ي

جواب السلطان الظاهر بيبرس على رسالة أبافا خان سنة 667هـ/ 1268م

ملحق ي

جواب السلطان الظاهر بيبرس على رسالة أباقا خان سنة 667هـ/ 1268م ([1])

بعون الله تعالى وقوته .

بإقبال السلطان الأعظم بيبرس الصالحي.

يفهم الملك أباقا ,أننا ما رسمنا للتكفور أن يفهم الملك , إلا جواب ما ذكره لنا شمس الدين سنقر الأشقر, أما قتل الملك المظفر رحمه الله الرسل , فنحن رسلك أعدناهم إلى الملك مثلما حضروا سالمين , وعلى قدر ما فهمنا الأمير شمس الدين سنقر الأشقر, رسمنا للتكفور أن تكون هذه الواسطة بيننا وبين ما طلبناه , ما أبصرنا شيئا فكيف يقع الاتفاق ونحن اليوم الياساه التي لنا أعظم من ياساه جنكيز خان ؟ وقد أعطانا الله ملك أربعين ملكا , وأما ما ذكره من انه من مطلع الشمس إلى مغيبها أطاعوه , فأي شيء جرى على كتبغا نوين وكيف كان دماره ؟ وأنت لو وقفت على قولك الذي ذكرته لسنقر الأشقر وسيرت احد إخوانك أو من أولادك أو من امرايك الكبار كنا سيرنا اليك نحن أيضا الذي ذكرته "

([1]) بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص118 ؛ العيني , عقد الجمان , ج2 , ص42-43

ملحق ك

رسالة صادرة من الأيلخان احمد تكودار الأولى إلى السلطان الملك المنصور قلاوون سنة 681هـ/1282م

ملحق(ك)

رسالة صادرة من الأيلخان احمد تكودار الأولى إلى السلطان الملك المنصور قلاوون سنة 681هـ/1282م ([1])

بسم ا الرحمن الرحيم .

بقوة ا تعالى.

بإقبال قان .

فرمان احمد إلى سلطان مصر .

أما بعد فان ا سبحانه وتعالى بسابق عنايته, ونور هدايته قد كان أرشدنا في عنفوان الصبا , وريعان الحداثة , إلى الإقرار بربوبيته, والاعتـراف بوحدانيتـه , والشهادة بمحمد عليه أفضل الصلوات والسلام , بصدق نبوته, وحسن الاعتقاد فـي أوليائه الصالحين, من عباده في بريته "*فمن يرد ا أن يهديه يشرح صدره للإسلام* " , فلم نزل نميل إلى إعلاء كلمة الدين, وإصلاح أمور المسلمين, إلى أن أفضى بعد الجيد وأخينا الكبير نوبة الملك إلينا فأفاض علينا من جلابيب ألطافه, ولطائفـه, مـا حقق به آمالنا في جزيل آلائه, وعوارفه, وجلا هدى المملكة علينا, وأهدى عقيلتهـا إلينا, فاجتمع عندنا في قوريلتاي المبارك ؛ وهو المجمع الذي تنقـدح فيهـا الآراء , جميع الإخوان, والأولاد, والأمراء الكبار ,ومقدمو العساكر, وزعماء البلاد, واتفقت كلمتهم على تنفيذ ما سبق به حكم أخينا الكبير, في إنفاذ الجم الغفير مـن عـساكرنا التي ضاقت الأرض برحبها من كثرتها, وامتلأت الأرض رعبا لعظـيم صـولتها, وشديد بطشتها إلى تلك الجهة بهمة تخضع لها سم الأطواد, وعزمه تلين لهـا صـم الصلاد, ففكرنا فيما تمخضت زبدة عزائمهم عنه, واجتمعت أهواؤهم وآراؤهم عليه, فوجدناه مخالفا لما كان في ضميرنا من اقتناء الخير العام, الذي هو عبارة عن تقوية شعار الإسلام, وان لا يصدر عن أوامرنا ما أمكننا , إلا ما يوجب حقـن الـدماء , وتسكين الدهماء, وتجري به في الأقطار رخاء نسائم الأمن والأمان, وتستريح بـه

([1]) ابن العبري , مختصر الدول , ص289 ـ 292 ؛ ابن عبد الظاهر , تشريف الأيام , ص6 ـ 10 ؛ بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص218ـ222 ؛القلقشندي , صبح الأعشى , ج8 , ص66ـ69

المسلمون في سائر الأمصار, في مهاد الشفقة والإحسان تعظيما لأمر ا , وشـفقة على خلق ا , فألهمنا ا تعالى إطفاء تلك النائرة , وتسكين الفتن الثائرة, وإعـلام من أشار بذلك الرأي بما أرشدنا اليم من تقديم ما يرجى به شفاء مزاج العـالم مـن الأدواء, وتأخير ما يجب أن يكون آخر الدواء, وإننا لا نحب المسارعة إلـى هـز النصال للنضال, إلا بعد إيضاح المحجة, ولا نأذن لها إلا بعد تبيين الحق, ووضوح الحجة وقوى عزمنا على ما رأيناه من دواعي الصلاح, وتنفيذ ما ظهر لنا به وجـه النجاح أذكار شيخ الإسلام قدوة العارفين كمال الدين عبد الرحمن الـذي هـو نعـم العون لنا في أمور الدين, فاصدرناه رحمة من ا لمن دعاه , ونقمـه علـى مـن اعرض عنه وعصاه , وانفذنا أقضى القضاة قطب الدين, والاتابك بهاء الدين, اللذين هما من ثقات هذه الدولة الزاهرة ليعرفاهم طريقتنا, ويتحقق عندهم ما ينطوي عليهم لعموم المسلمين جميل نيتنا, وبينا لهم أننا من ا على بصيرة , وان الإسلام يجب ما قبله , وانه تعالى ألقى في قلبنا أن نتبع الحق وأهله , ويشاهدون عظيم نعمة ا على الكافة , بما دعانا إليه من تقديم أسباب الإحسان ,ولا يحرموها بالنظر إلـى سـالف الأحوال, فكل يوم هو في شان, فان تطلعت نفوسهم إلى دليل تستحكم بسببه دواعـي الاعتماد, وحجة يثقون بها من بلوغ المراد, فلينظروا إلى ما ظهر من أثرنـا ممـا أشهر خبره ,وعم أثره فإننا ابتدأنا بتوفيق ا تعالى بإعلاء أعلام الدين, وإظهاره في إيراد كل أمر, وإصداره تقديما, وإقامة نواميس الشرع المحمدي على مقتضى قانون العدل الأحمدي, إجلالا وتعظيما, وأدخلنا السرور على قلوب الجمهور, وعفونا عن كل من اجترح سيئة أو اقترف, وقابلناه بالصفح, وقلنا عفا ا عما سـلف, وتقـدمنا بإصلاح أمور أوقاف المسلمين من المشاهد والمساجد والمدارس, وعمارة بقاع البر والربط الدوار, وإيصال حاصلها بموجب عوائدها القديمة إلـى مـستحقها لـشروط واقفها, ومنعنا أن يلتمس شيء مما استحدث عليها وألا يغير احد مما قرر أولا فيها, وأمرنا بتعظيم أمر الحاج وتجهيز وفدها وتامين سبلها وتسيير قوافلها, واننا أطلقنـا سبيل التجار المترددين إلى تلك البلاد ليسافروا بحـسب اختيـارهم علـى أحـسن قواعدهم , وحرمنا على العساكر والقراغول والشحاني في الإطراف التعرض بهـم في مصادرهم ومواردهم , وقد كان صادف قراغولنا جاسوسا في زي الفقراء كـان

سبيل مثله أن يهلك, فلم يهرق دمه لحرمة ما حرمه ا تعالى واعـدناه إلـيهم, ولا يخفى عليهم ما كان في إنفاذ الجواسيس من الضرر العام للمسلمين, فان عـساكرنا طالما رأوهم في زي الفقراء والنساك وأهل الصلاح, فساءت ظنـونهم فـي تلـك الطوائف, فقتلوا منهم من قتلوا وفعلوا بهم ما فعلوا , وارتفعت الحاجـة بحمـد ا تعالى إلى ذلك بما صدر إذننا به من فتح الطريق وتردد التجار وغيرهم, فإذا أمعنوا الفكر في هذه الأمور وأمثالها, لا يخفى عليهم أنها أخلاق جبليـة طبيعيـة , وعـن شوائب التكلف والتصنع عرية, وإذا كانت الحال على ذلك فقـد ارتفعـت دواعـي المضرة التي كانت موجبة المخالفة, فإنها كانت بطريق الدين والذب عـن حـوزة المسلمين, فقد ظهر بفضل ا تعالى في دولتنا النور المبين وان كان لما سبق مـن الأسباب فمن تحرى طريق الصواب فان له عندنا الزلفى وحسن مآب, وقـد رفعنـا الحجاب واتينا بفضل الخطاب , وعرفناهم ما عزمنا عليه بنية خالصة تعالى على استئنافها وحرمنا على جميع عساكرنا العمل بخلافها , لنرضي بها ا والرسـول, وتلوح على صفحاتها آثار الإقبال والقبول , وتستريح من اختلاف الكلمة هذه الأمة, وتنجلي بنور الائتلاف ظلمة الاختلاف والغمة, فتسكن في سـابغ ظلهـا البـوادي والحواضر, وتقر القلوب التي بلغت من الجهد الحناجر, ويعفى عن سالف الهنـات والجرائر, فان وفق ا سلطان مصر لاختيار ما فيه صلاح العالم, وانتظـام أمـور بني ادم, فقد وجب عليك التمسك بالعروة الوثقى, وسلوك الطريق المثلى بفتح أبواب الطاعة والاتحاد, وبذل الإخلاص بحيث تنعمر تلك الممالك والبلاد, وتسكن الفتنـة الثائرة, وتغمد السيوف الباترة وتحل الكافة ارض الهوينا وروض الهدون وتخلـص رقاب المسلمين من أغلال الذل والهون وان غلب سوء الظن بما تفضل به واهـب الرحمة ومنع عن معرفة قدر هذه النعمة فقد شكر ا مساعينا وأبلى عذرنا " ومـا كنا معذبين حتى نبعث رسولا " وا الموفق للرشاد والسداد وهو المهيمن على البلاد والعباد وحسبنا ا وحده .

ملحق (ل)

جواب السلطان الملك المنصور قلاوون على رسالة الأيلخان احمد تكودار الأولى سنة 681هـ/1282م

ملحق (ل)

جواب السلطان الملك المنصور قلاوون على رسالة الأيلخان احمد تكودار الأولى سنة 681هـ/1282م " [1]

بسم ا الرحمن الرحيم

بقوة ا تعالى

بإقبال دولة السلطان الملك المنصور قلاوون إلى السلطان احمد أما بعد .

حمد الذي أوضح بنا ولنا للحق منهاجا, وجاء بنا فجاء نصر ا والفـتح ودخـل الناس في دين ا أفواجا, والصلاة على سيدنا ونبينا محمد الذي فضله ا على كل نبي نجى به أمته , وعلى كل نبي ناجى صلاة تنير ما دجا , فقـد وصـل الكتـاب الكريم, المتلقي بالتكريم ,المشتمل على النبأ العظيم, من دخوله في الدين, وخروجـه عمن خاف من العشيرة والأقربين, ولما فتح هذا الكتاب فاتح بهذا الخبر العلم المعلم والحديث الذي صحح عند أهل الإسلام إسلامه واصح الحديث ما روي عن مـسلم , توجهت الوجوه بالدعاء إلى ا سبحانه في أن يثبته على ذلك بـالقول الثابـت وان ينبت حب هذا الدين في قلبه كما انبت أحسن النبـت مـن اخـشن المنابـت . وحصل التأمل للفضل المبتدأ بذكره من حديث إخلاصه النيـة , فـي أول العمـر وعنفوان الصبا,إلى الإقرار بالوحدانية, ودخوله في الملة المحمدية بـالقول والعمـل والنية, فالحمد على أن شرح صدره للإسلام, وألهمه شريف هذا الإلهام, كحمـدنا

على أن جعلنا من السابقين الأولين إلى هذا المقال والمقام, وثبت أقدامنا في كـل موقف اجتهاد وجهاد تتزلزل دونه الأقدام وأما إفضاء النوبة في الملك وميراثه بعـد والده وأخيه الكبير إليه, وإفاضة جلابيب هذه المواهب العظيمة عليه, وتوقله للأسرة التي طهرها إيمانه وأظهره سلطانه, فلقد أورثها ا من اصطفاه من عباده وصـدق المبشرات له من كرامة أولياء ا وعباده .

وأما حكاية اجتماع الإخوان والأولاد والأمراء الكبار ومقدمي العـساكر وزعمـاء البلاد التي في مجمع قوريلتاي الذي تنقدح فيه زند الآراء, وان كلمتهم اتفقت على ما

---

[1] ( ) ابن العبري , مختصر الدول , ص292ـ 296 ؛ ابن عبد الظاهر , تـشريف الأيـام , ص10ـ16 بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص222ـ225 ؛ القلقشندي , صبح الأعـشى , ج8 , ص257ـ263

سبقت به كلمة أخيه الكبير في إنفاذ العساكر إلى هذا الجانب, وانه فكر فيما اجتمعت عليه آراؤهم, وانتهت إليه أهواؤهم, فوجده مخالفا لما في ضميره: إذ قصد الصلاح, ورأيه الإصلاح, وانه أطفأ تلك الثائرة, وسكن تلك النائرة, فهذا فعل الملك المتقـي, المشفق من قومه على من بقي, المفكر في العواقب بالرأي الثاقب, وإلا فلو تركـوا آراءهم حتى تحملهم الغرة, لكانت تكون هذه المرة هي الكرة , لكن هو كمن خـاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ولم يوافق قول من ضل ولا فعل من غوى .

وأما القول منه انه لا يحب المسارعة إلى المقارعـة, إلا بعـد إيـضاح المحجـة ,وتركيب الحجة فبانتظامه في سلك الإيمان صارت حجتنا وحجته متركبة ,على من غدت طواعيته عن سلوك هذه المحجة متنكبة, فان ا تعالى والناس كافة قد علمـوا أن قيامنا إنما هو لنصرة هذه الملة, وجهادنا واجتهادنا إنما هـو علـى الحقيقـة ,وحيث قد دخل معنا في الدين هذا الدخول فقد ذهبت الأحقـاد, وزالـت الـذحول وبارتفاع المنافرة تحصل المضافرة, فالإيمان كالبنيان يشد بعضه ببعض, ومن أقـام منارة فله أهل بأهل في كل مكان, وجيران بجيران في كل ارض .

وأما ترتب هذه القواعد الجمة على أذكار شيخ الإسلام قدوة العارفين كمـال الـدين عبد الرحمن أعاد ا من بركاته, فلم تر لولى قبلة كرامة كهذه الكرامـة, والرجـاء ببركته وبركة الصالحين أن تصبح كل دار للإسلام دار إقامة, حتـى تـتم شـرائط الإيمان ويعود شمل الإسلام مجتمعا كأحسن ما كان, ولا ينكر لمن لكرامته ابتـداء هذا التمكن في الوجود أن كل حق ببركته إلى نصابه يعود . وأمـا إنفـاذ أقـضى القضاة قطب الملة والدين والاتابك بهاء الدين الموثوق بنقلهما في إبلاغ رسائل هذه البلاغة فقد حضرا وأعادا كل قول حسن من حوالى أحوالـه وخطـرات خـاطره ومنتظرات ناظره ومن كل ما يشكر ويحمد ويعنعن حديثهما فيه عن مسند احمد .

وأما الإشارة إلى أن النفوس إن كانت لها تطلع إلى إقامة دليل تستحكم بـه دواعـي الود الجميل , فلينظر إلى ما ظهر من مآثره في موارد الأمر ومصادره, ومن العدل والإحسان بالقلب واللسان والتقدم بإصلاح الأوقاف والمساجد والربط وتسبيل السبل للحج إلى غير ذلك فهذه صفات من يريد لملكه الدوام, فلما ملك عدل ولم يمل إلـى لؤم من عدا ولا لوم من عذل على إنها وان كانت من الأفعال الحـسنة والمثوبـات

التي تستنطق بالدعاء الألسنة, فهي واجبات تؤدي وقربات بمثلها يبدى , وهو أكثـر من انه بإجراء اجر غيره يفتخر أو عليه يقتصر أو له يدخّر, بل إنما يفتخر الملوك الأكابر برد ممالك على ملوكها, ونظم ما كانت عليه في سلوكها وقد كان والده فعل شيئا مع الملوك السلجوقية وغيرهم, وما كان احد منهم بدينه يدين ولا دخل معه في دين واقرهم في ملكهم, وما زحزحهم عن ملكهم ويجب عليه ألا يرى حقا مغتـصبا ويأبى إلا رده ولا باعا ممتدا بالظلم ويرضى إلا صده حتى أن أسباب ملكه تقـوى وأيامه تتزين بأفعال التقوى .

وأما تحريمه على العساكر والقراغولات والشحاني بالأطراف, التعرض إلى احـد بالأذى واصفاء موارد الواردين والصادرين من شوائب القذى, فمن حين بلغنا تقدمه بمثل ذلك تقدمنا أيضا بمثله إلى سائر نوابنا بالرحبة والبيرة وعينتاب ,والى مقـدمي العساكر بأطراف تلك الممالك, وإذا اتحد الإيمان وانعقدت الإيمان تحتم هذا الإحكام وترتب عله جميع الأحكام .

وأما الجاسوس الفقير الذي امسك وأطلق وان بسبب من يتزيا من الجواسيس بـزي الفقراء قتل جماعة من الفقراء الصلحاء رجما بالظن, فهذا باب من تلقاء ذلك الجانب كان فتحه وزند من ذلك الطرف كان قدحه, وكم من متزي بفقير من ذلك الجانـب سيروه , والى الاطلاع على الأمور سوروه, واظفر ا منهم بجماعة كبيرة فرفـع عنهم السيف, ولم يكشف ما غطوه بخرقة الفقر بلم ولا كيف, وأما الإشارة إلـى أن باتفاق الكلمة تنجلي ظلم الاختلاف وتدر بها من الخيرات الاخـلاف ويكـون بهـا صلاح العالم وانتظام شمل بني ادم فلا راد لمن فتح أبواب الاتحاد وجنح إلى الـسلم فما حاد ولا حاد ومن ثنى عنانه عن المكافحة كان كمن مد يد المصالحة للمصافحة والصلح, وان كان سيد الأحكام فلا بد من أمور تبنى عليها قواعـده, ويعلـم مـن مداولها فوائده, فالأمور المسطورة في كتابه هي كليات لازمة يعمر بها كل مغنـى ومعلم أن تهيأ صلح أو لم, وثم أمور لا بد وان تحكم وفي سلكها عقود العهود تنظم قد تحملها بلسان المشافهة التي إذا أوردت أقبلت إن شاء ا عيها النفوس وأحرزتها صدور الرسائل كأحسن ما تحرزه سطور الطروس .

وأما الإشارة إلى الاستشهاد بقوله تعالى " *وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا* " فمـا على هذا النسق من الود ينسج ولا على هذا السبيل ينهج , بل لفضل المتقـدم فـي الدين ونصره عهود ترعى وإفادات تستدعى وما برح الفضل للأوليـة وان تنـاهى العدد للواحد الأول ولو تأمل مورد هذه الآية في غير مكانها لتروى وتأول . "

ملحق (م)

رسالة صادرة من الأيلخان احمد تكودار الثانية إلى السلطان الملك المنصور قلاوون سنة 682هـ/1283م

ملحق (م)

رسالة صادرة من الأيلخان احمد تكودار الثانية إلى السلطان الملك المنصور قلاوون سنة 682هـ/1283م ([1])

بسم ا الرحمن الرحيم .

بقوة ا تعالى

بإقبال قان .

فرمان احمد إلى سلطان مصر .

أما بعد فالذي يجب على العاقل بذل الجهد وترك الإهمال والتواني واستنفاذ الوسع في اقتناء الذكر الباقي الذي هو العمر الثاني وقد انحصر الثناء الجميل والثواب الجزيل في التعظيم لأمر ا والشفقة على خلق ا واستعمال العدل والنصفة المندوب إليها وأي عدل ونصفه أعظم قدرا وأعلى ذكرا في سائر الأصقاع والممالك من إنقاذ النفوس بجريعة الذقن من المهالك وإطفاء نائرة أكباد حرى وقلوب جرحى ومن أحياها فكأنما أحيا ولما لم يكن لنا بفضل ا العظيم وإحسانه الجسيم افتقار ولا بغية لم يبق في ضميرنا إرادة ولا منية سوى رفاهية العالم وطمأنينة بني ادم خصوصا الطائفة الإسلامية وأهل الملة الحنيفية أنفذنا الالجية إلى إخواننا نوقاي اقا وتودا منكو وغيرهم ونبهناهم على أن الملك العقيم الذي ادخره لنا جدنا العظيم جنكيز خان وآباؤنا الكرام بعد الصبر على المشقة في تحصيله والمقاساة وتحمل أعباء الشدائد والمعاناة بمجرد النزاع والخصام وخلاف الوفاق واختلاف الكلام قد اشرف على شحوب بهجته وبهائه وتكدير رونق صفاء مائه والآن آن أن نستبدل وحشة النزاع بأنس الصلح ونتعوض عن غيهب ليلة النفار والنقار تباشير الصبح وتغمد السيوف البواتر التي استلت من الأغماد ونعفى اثر الهرج والمرج ونعرض عن الأغراض والأحقاد ونتفق الجميع على القيام بواجب كوج قان وخدمته والالتزام م بواجب طاعته والاشتمال على ما ينوط بمصلحته وحيث تأملوا ذلك بعين البصيرة ورأي من حنكة دوران الفلك والتجربة تبين لهم أن هذا الرأي محض شور لا يشوبه

---

[1] بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص242 - 243 ابن عبد الظاهر , تشريف الأيام , ص 69ـ 71 ؛ العيني , عقد الجمان , ج2 , ص297ـ 301

غش ولا مداهنة وخالص تنبيه لا يغادره زبدة المناصحة فقالوا أن الذي وقـع مـن الخلاف كان بين من قد قضى نحبه من الآباء والأسلاف ولم تجر بيننا مخاشنة ولا وقع خاف ولا مشاحنة فعدنا إلى ما كان عليه آباؤنا القدماء الكـرام مـن الاتفـاق والائتلاف وحفظ العهد والذمام والتزمنا أن لا ينحل عقد هذا النظـام وا الموفـق للرشاد والهادي إلى السداد ولما تفرغ البال من إصلاح ذات البين واستحكمت مرائر الائتلاف بين الجهتين أنفذنا الايلجية بعد النية الخالصة وللرسول تـسكينا للفـتن الثائرة وإطفاء للهيب تلك النائرة وحقنا لدماء المسلمين وسدا لثلمـة الـدين فكانـت خلاصة جوابه وزبدة خطابه عند وقوفه على ما كتب به إلينا انه لو أنفذ أبونا شـيخ الإسلام قدوة العارفين كمال الدين عبد الرحمن لكنت اسكن إلى أمانته واخلـد إلـى ديانته واسمع منه ما لم تحتمل إيداعه الكتب وأشافهه بمـا عنـدي مـن المـصالح وأخاطبه بما ينطوي عليه ضميري للمسلمين من النصائح . هذا غير خاف انه يعـز علينا بعاده ويوحشنا بينه وفراقه وربما اتصل به ما نستفيده من حـسن معاشـرته وجميل مصاحبته وحيث كان التماسه موجبا لإشاعة الخير العـام وإذاعـة شـعار الإسلام رضينا بتوجهه إلى جهته إسعاف لمقترحه وجعلناه في اتخاذ العهد واليمـين بدلا عن شمالنا واليمين ولم يكن بين كلامنا وكلامه بون إذ هو لنا في أمور الـدين نعم العون والتزمنا بكل ما عساه يسنده إلينا وبما يرى ثقة بأنه الناصح الأمين الذي لا ينطق عن الهوى وربما شرذمة من الجهال من أهل الـشقاق والنفـاق الـذين لا تجتمع كلمتهم على الوفاق تنافي طبائعهم الصلح والاتفاق يريدون ليطفئوا نـور ا بأفواههم وا متم نوره لاختلاف ملتهم وطمعا في إدراك بغيـتهم فالواجـب أن لا تسمع أقوالهم وتترك أفعالهم أولئك الذين حبطت إعمالهم . من المعلوم أن كل أمـر يمكن اعتماده على الوجه الجميل بحيث تنحسم فيه مواد القال والقيـل لا ينبغـي أن تكون الحال فيه بالضد خصوصا في الخطب الاد والأمر الجد " الحمد الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا ا " وكتب في أوائل ربيع الأول سـنة اثنتـين وثمانين وستمائة بمقام تبريز والحمد رب العالمين وصلواته على سـيدنا محمـد واله وصحبه وسلم "

ملحق (ن)

رسالة غازان إلى الأمراء والعساكر والجيوش سنة 699هـ/1299م

رسالة غازان إلى الأمراء والعساكر والجيوش سنة 699هـ/1299م ([1])

بقوة ا تعالى وميامين الملة المحمدية

فرمان غازان

اعلم الأمراء والأكابر وأشراف السادات العظام والمشايخ الكرام والمغتربين وساير مشاهير الأعراب من الخواص والعوام انه في كل زمان يقتضي الدور أن يرسل ا تعالى نبياً لهداية العالم ودلالة الإنسان إلى طريق الصواب وحفظ الأساطير في ملل الدين فلما انتهت النوبة إلى خاتم النبيين محمد المصطفى الذي أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون أرسله إلى جميع الخلايق ليهدى كافة الأنام من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام ويرشدهم من علائق الجثمانيات إلى زوايا الروحانيات ويزينهم بكمال الدين وتهذيب الأخلاق وانزل عليه القران العظيم وعلمه الأحكام الشرعية الشريفة المطهرة لينقذ بها التابعين من نار جهنم فالواجب على كل احد متابعة هذا النبي ومطاوعة شريعته والذي يخالفه يكون مأواه جهنم وبئس المصير ومن أول بعثته ومفتح رسالته إلى زماننا هذا كلما وقع في أمور الدين الخلل وظهر الوهن في شريعة المسلمين وأقدم الإنسان على العصيان وأصر على الطغيان سبب له من أولى الأمر شخصاً يقوى الأمور الدينية ويزكي الخلايق طرا وينهاهم عن الأمور المستنكرة ويردهم إلى الطرايق المستقيمة المستحسنة وقبل زماننا هذا قد ظهر المشركون وعبدة الأوثان والجماعة الذين كانوا يلايمونهم من المسلمين الذين يقولون آمنا بأفواههم ولا تؤمن قلوبهم ظلموا وتعدوا وكانوا يعلمونهم الحيف والجور على الرعية وغصب أموالهم واكل الربى وترك الصلاة والزكاة والصيام والصدقات وأعمال البر وقدر ا من المعجز النبوي المصطفوى المحمدي على صاحبة الصلاة والسلام أننا من أولاد جنكيز خان الأعظم الذين تحت حكمهم معظم الأقاليم العظيمة دخلنا في هذا الدين القويم والصراط المستقيم بغير تكليف بل

([1]) بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص333-337 ؛ العيني , عقد الجمان , ج4 , ص49-56

جلا نور هداية الحق ودين النبي المصطفى على قلوبنا وكرمنا ا بالإسلام وفضلنا بالعدل والإحسان ورسخ في قلوبنا محبة الدين الحنيفي ووفقنا ا تعالى بالجهاد فـي قتل المشركين وعبدة الأوثان والمخالفين وهدم بيوت الأصنام ودفع شـر الظـالمين والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كما أمر ا في محكم كتابـة " إن ا يـأمر بالعدل والإحسان" فأمرنا في الممالك كلها ببناء المساجد ونـصب المنـابر وإقامـة الصلوات وإيتاء الزكاة ونهينا عن اخذ الربا ومنعنا من ساير أنواع الظلم والخطا فان الظلم مرتعه وخيم وقررنا في بلاد الإسلام الأموال المقننة لمصالح عساكر الإسـلام عند المجاهدة في سبيل ا عز وجل حسبما اقتضاه الشرع المطهر بلا إحداث قاعدة ولا حيف ولا عدوان ولا تطاول على احد من المسلمين واجتهادنا في استخدام هـذه المعاني زايد عن الحد "والحمد الذي هدانا لهذا وماكنا لنهتدي لـولا هـدانا ا " وحيث آباونا وأجدادنا سمونا غازان كان ذلك بتقدير ا عز وجل فـي الأزل فـي الإلهام الإلهي الملهم بالتلقيب لهذا الاسم الذي هو مشتق من الغزو أوجبنا على أنفسنا الغزو والجهاد وقمع المشركين والخوارج والمتمردين والظالمين وسـمعنا أن أهـل مصر والشام الذين أمسى منهم مسلمون مالهم عهد ولا ميثاق ولا أمانـة ولا ديانـة ويأخذون أموال المسلمين ويقصدون دماهم توجهنا قاصدين دمارهم لدفع الحركـات الردية البادية منهم وإثباتهم على دين الإسلام ليكونوا هم وذريا تهم مفلحين من أهل الجنة ويحصل لنا ثواب الاجتهاد ويردهم السؤال في معنى خللهم وزللهم فـي ديـن الإسلام والجواب أنهم لما تحققوا أننا أولاد سلاطين ربع أقاليم الأرض وان مسلمون ومعاونون دين الإسلام يجب على كل احد مطاوعتنا اقتداء بكلام ا عز وجل "*يـا أيها الذين آمنوا أطيعوا ا وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم*" فحيث عصى مـن عندنا سلامش وانخرط في الخوارج والمرتدين وأقدم على إيذاء المـسلمين بـبعض بلاد الروم وتخريب بيوتهم ونهب أموالهم هرب من عسكرنا المنصور وتوجه إلـى تلك البلاد كانت الشريعة النبوية والشفقة الإسلامية تقتضي أن تمسكوه وتبعثوه مغللاً بالحديد مسلسلاً إلى عتبتنا العالية فتغافلتم وتهاونتم عن هذا بل رديتموه بالعـساكر والإنعام والنجدة إلى فوج من التركمان ووعدتموه مواعيد عرقوب حتى يقع القتـال بين المسلمين من عسكرنا المغول وساكني بلاد الروم وعسى ما بلغهـم أن جميـع

عسكرنا من المغول والايغورية والقفجاق والخطائية والبخشية وكل من كان بعد هذا من اختلاف الملل دخلوا كافة وطرا بصدق النية في الإسلام وأدركهـم بتوفيـق ا وحسن الاتفاق وارتضعوا افاويق الوفاق ونحن كأسنان المشط في الاستواء والـنفس الواحدة في التيام الأهواء وما كان فينا من لم يؤمن بربه الأعلى ونبيـه المـصطفى الامرليه فانه عاش على دين المغول ثمانين عاماً وفي هذه السنة آمن بـا والملـة الحنيفة ودخل في زمرة المهتدين والحمد رب العالمين.

وإذا كنتم متهاونين في قضية سلامش وساير الطاغين فا الـذي هـدانا للـصراط المستقيم رده ا مقيداً مكبلاً على يد اقل مملوك من مماليكنا فجاءوا به إلى عتبتنـا العالية لما انعم ا علينا بالدين القويم ووفقنا لتشييد قواعد سـنن رسـوله الكـريم وأرشدنا في عنفوان الصبا وريعان الحداثة للانخراط في سلك امة محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم وعلى آله وصحبه الكرام عسى لم تعجبكم تقوية دين ا عز وجـل التي نحن مصرون عليها ولو وصل لأجل هذا لقلوبكم البهجة والـسرور لـشكرتم الرحيم الغفور وبعثتم من يهنينا بدخولنا في دين الحق من إخوانكم وأقاربكم فما فعلتم شيئاً من هذا إلا أن من اعتصم با كفاه وأيضا من افعا لكم المذمومة أن تنصبوا في كل شهر وعام سلطاناً وتبايعون وتحلفون على طاعته والإعراض عن مخالفته ثـم تخالفونه بعد قليل وتقتلون ذوي الأمر منكم خلافاً لما أمر ا فـي كتابـه العزيـز بطاعة أولي الأمر منكم وتنقضون ميثاقكم ولم توفوا بعهدكم حتى تـصيروا مـن " *الذين ينقضون عهد ا من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر ا به أن يوصل ويفـسدون في الأرض اولائك هم الخاسرون* "واى جرح أقبح من هذا.

وأما ساير أخلاقكم وعدم مشروعيتها فهي واضحة غير خافية ومستغنية عن الشرح والتفصيل وقد وافقنا مع عمنا قاآن الأعظم وساير أعمامنا وإخواننا وعشايرنا فمنهم قايدو ونوقاى وتوقتا وقرمجى وطو وغيرهم وها نحن متوجهون بأنفسنا إلـى تلـك البلاد بالعساكر الكثيرة التي ما لها نهاية ولا حد والكتائب الجرارة التي لا تحـصى ولا تعد ومن ولاية الإفرنج والروم والتكفور وديار بكر وبغداد بعثوا أفواجا كثيرةً لا تعد وجما غفيرا لنهدى بهم سبيل الرشاد وندفع عن ساير المسلمين الشر والفساد فان

كنتم تتبعون الهدى وتستقبلون عساكرنا المنصورة فنحن في هذه النهضة الميمونـة عازمون على أن لا يصدر عن أمرنا المطاع إلا إطفاء النايرة ومحافظتهم في الأمن والأمان ليستريح المسلمون في عهد الشفقة والإحسان تعظيماً لأمر ا وشفقة علـى خلق ا وقد حرمنا على العساكر المنصورة التعرض إلى نفوس المسلمين والطموح إلى أموالهم فان لم يسمعوا ما رسمنا ونصحنا :

فالسيف اصدق إنباء من الكتب   في حده الحد بين الجد واللعب

ولما كانت همتنا المنصورة مقصورة على وضع قواعد العدل والإنصاف وعزمتنـا المنيفة مصروفة إلى رفع قوانين الزور والاعتساف بحيث يستقيم الأمر في مركـزه تأسيا بقوله تعالى: " *يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض* " ولهذا توجهنا إلى تلـك الجهات وكيف يجوز تعذيب الرعية من غير جريمة صادرة عنهم لا سـيما سـفك دمايهم وسبي حريمهم فيجب علينا محافظتهم ودفع الاسواء عنهم بموجب قوله صلى ا عليه وسلم كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته والتزامنا بمحافظة الرعية في أنفسهم وأموالهم والسعي في ترفيه خواطرهم وتطييب قلوبهم فينبغي أن يسكنوا فـي دورهم آمنين مستكنين ويقيموا أسواقهم ويرتبوها ويشتغلوا بالكسب والمعاملات بعد أداء وظائف العبادات وإقامة مراسم الطاعات داعين لدوام هذه الدولة القاهرة ودوام أيامنا الزاهرة إذ وجب عليهم وعلى كافة المسلمين طاعتنا لقوله تعالى وأمره بطاعة أولى الأمر منكم وعليهم أن يخطبوا على المنابر باسمنا وعند قرب الوصـول إلـى بلادهم يستقبلونا وتصاحبنا القضاة والعلماء والصلحاء والمشايخ والسادات والفقهـاء مرشدين إلى المزارات المباركة من مشاهد الأولياء ومواقف الأنبياء مستوهبين مـن ا التوفيق لنيل مثوباتهم وإحراز بركاتهم وبعد ذلك نقصد الإحرام بحجة الإسـلام وزيارة بيت ا الحرام سيما وهو اكبر قواعد الإسلام إذ هو على كافة الإسلام لقوله عز وجل: " *و على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا*"

وقد نذرت يمينا على ذلك وانعقد نذر بأنه ينادى من جهتنا بـان جميـع المـسلمين وساير المتوكلين في أمان من ا ورسوله ويكونوا مطمئنين فارغي البـال رافعـي الحال ونحن عاهدنا ا ورسوله على جميع ذلك وإذا وقفوا على مـا انقـدنا إلـيهم

يبعثون إلينا من يعرف أحوالهم وخلوص عقيدتهم وصـفاء طـويتهم حتـى نعـين الشحاني المعتبرين في صحبتهم التواقيع والفرامين ليحفظوا البلاد ويقيموا الأسـواق ولا يمكنوا أحدا من الظلم والجور ولا تشويش خواطرهم لان العـساكر الجمـة إذا وصلوا إليهم تبع المعاملات معهم ما يكفيهم سنة وأكثر فاستراحوا مـن ذلـك فـإذا تشرفوا بمطالعة هذا التوقيع الشريف وامتثلوا مقاصده وفحواه فقـد فـازوا فـوزاً عظيماً وإلا فقد خسروا خسراناً مبيناً وعقاب ذلك سفك الدماء وعارة الأموال بوقوع الهرج والمرج ونحن نبرأ من ذلك وقد اعذر من انذر والسلام على من اتبع الهدى..

ملحق (س)

فرمان غازان إلى الأمراء والنواب في دمشق سنة 699هـ/1299م

ملحق (س)

فرمان غازان إلى الأمراء والنواب في دمشق سنة 699هـ/1299م ([1])

بقوة ا وميامين الملة المحمدية

فرمان السلطان محمود غازان

ليعلم الأمراء والنواب والولاة والقضاة والسادات والصدور والناس كافة بممالك الشام والسواحل أن جدنا جنكيز خان كان ملكاً وابن ملك إلى سبعة جدود في بلاد المغول وحيث أيده ا تعالى ملك بسيفه ربع الأرض المسكون فلم يبلغنا في تاريخ من التواريخ من لدن آدم عليه السلام والى يومنا هذا أن ملكاً ملك من الأقاليم ما ملكه ولا تيسر له من التأييد ما تيسر له ونحن سادس ملك من صلبه وكان قد سبق في تقدير ا أن تصيب أولاده ممن سلف قبلنا عين نافذة فوقع بينهم الخاف وطال التنازع بينهم سنين كثيرة فاجتمع من بقايا سيوفهم أمم مختلفون يتسترون في الاكنان ويتغيبون في ابعد المكان وكان منهم سكان مصر والشام واجتمع بها من المماليك والخوارج زمرة غرتهم سلامتهم من المغفل المشتغلين عنهم بما كان أهم عندهم منهم وطفقوا كل قليل يختارون من بينهم مملوكاً من أرذل الأجناس فيملكونه على الإسلام ويحكمونه في رقاب الأنام وحسبوا أن ذلك تدبير الملك ولم يتعرفوا طريق النجاة من الهلك حتى وصلت نوبة المملكة إلينا وزفت عروسها علينا زين ا قلوبنا بحب الإسلام وأبهجها بأنوار الإيمان وكان من الواجب المتعين وأدب الملوك الهين أن هولا المماليك يهنوننا بما وهبه ا لنا من الملك العظيم وهدانا إليه من الصراط المستقيم ويرسلون ألينا رسلهم بتحف السلاطين ويحذون في استجلاب مودتنا أوضح القوانين فمرت على ذلك ثلث سنين وهم يجهلون حقوق الأدب ولم يؤدوا من عوايد الملك ما يجب ولما علموا أننا دخلنا في الإسلام راغبين ولرضى ا سبحانه طالبين حسبوا إنهم إذا فتحوا ألينا طريق المودة جآنا أكثر عسكرهم هاربين ولم يكن لهم من

---

[1] بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص337 -339 ؛ العيني , عقد الجمان , ج4 , ص 56 -59

التمييز أن يعلموا أن الملك يؤتيه من يشاء من عباده وقد ملك كثيراً من الكفـار أكثر بلاده كما بلغهم عن جنكيز خان وعن كثير ممن كان ولو كـان نيـل الملـك بالتقوى لكان بنو فاطمة عليهم السلام على الخلافة اقدر وأقوى ولم يرضـوا بـذلك حتى سلكوا من التجهم والتقحم أقبح المسالك وقصدوا طرفاً من أطراف بلادنا علـى غرة وهجموا عليها على فترة وكذلك سلامش لما تسحب خوفاً من ذنـوب اقترفهـا وديون ارتكبها حموه وانفذوا معه عسكراً وقصدوا أن يشعثوا الروم وقد يكون حتف المغرور فيما يروم فلما رأيناهم قد تجاوزوا في البغض غاية

الح واتخذوا المملكة لعباً واتكلوا على الجد واغتروا بعدم التفاتنا إليهم كان ذلك وبالاً عليهم لانا رفعنا التنازع بيننا وبين أقاربنا وجعلنا قصد مملكتهم من مطالبنا خـشينا أن جيوشنا تستأصل من المسلمين الاصاغر والأكابر فأرسلنا إليهم رسلاً ينـذرونهم ويحذرونهم ويذكرونهم فحبسوا الرسل وقطعوا السبل ثم حملهم الجهل والغرة علـى مقابلة جيوشنا ومقاتلتهم وتمثلوا في أنفسهم الغلبة فأقدموا على مماثلتهم وكـانوا قـد عاجلونا وأكثر عساكرنا لم يركبوا خيولهم ولم يشهدوا الحرب لما لم يعلموا تعجيلهم وما لقيهم غير تسعة آلاف كانوا قد ركبوا معنا فلقونا بأجمعهم وما قـابلوا جمعنـا وكان من أمرهم ما كان وتبين لذوي البصاير أن ا لم يرض منهم ذلـك العـدوان فاجتمعت إلينا أمراء دولتنا وذكروا لنا أن هذه الطايفة من المماليك لهم أربعون سنة يقصدون الحصون فيخربونها المدن المستصعبة فيدمرونها حتى أنهم خربـوا مـن البلاد وقتلوا من العباد ما يعادل أهل مصر والشام وأوضحوا في ذلك مقول الكـلام والمصلحة أننا نشن الغارات على الشام من غزة إلى الفرات وننقل من فيهـا مـن الرعية فنعمر بها ما خربوا لنقابل الفاسد بمثله فما قبلنا مشورتهم وقلنا نحن لم نرض فعلهم افنصير بما فعلوا مثلهم واعرضنا عن ذلك ورحمنا الرعية وجعلنـا مـأمنهم أول نعمة عليهم ومبدأ عطية وان كان قد وقع إلى احد من عساكرنا بعض مـن استضعف فقد أمنه بانتزاعة من يد من استلبه حتى يبلغ بروحه إلـى أهلـه اربـه وأرسلنا إلى أهل القلاع والجبال والأعراب والتركمان والعشاير كتب الأمان ليكونوا في أمان ا ورسوله وأماننا وإذا خفت العساكر من هذه البلاد رد كل إلـى وطنـه ورجع كل إلى سكنه ولقصدنا مصلحه الرعايا وحمايتهم رتبنا مولاى وحيحـك (؟)

وابشقا وبغا وهلاجو وقرابغا بهادر مقدمين على أربعين ألف فارس وتركناهم غـزة والغور وأمرنا الأمير سبا أن يقيم على حلب وحماة وحمص في عشرين ألف راكب وأعطينا الأمير سيف الدين قفجاق نيابة السلطنة بدمشق ورتبنا الأمير سيف الـدين بكتمر نائب السلطنة بحلب وحماة والأمير فارس الدين البكي نائب السلطنة بـصفد وطرابلس والسواحل وجعلنا ملك الأمراء والوزراء ناصر الدين يحيى شـاداً علـى الدواوين في هذه الأقاليم كلها وكل من أعطاه احد من هؤلاء الأمراء أمانا فهو أماننا وكل جني أراد خدمتنا فقد أمرناهم أن يعينوا له إقطاعا يليق به وليثقوا بما أودعه ا لهم في قلوبنا من الرأفة وحسن النية وليطيعوا هؤلاء الأمراء طاعـة الموفقـة ولا يتخاف أحد من طاعتهم فقد أخذنا عليهم العهود بالعدل والـشفقة وان خـالف احـد وعصى فلا بد أن يذوق كاس الردى وا تعالى يجمع قلوب رعايانا على الهدى إن شاء ا تعالى ".

ملحق (ع)

فرمان الأمان من الأيلخان غازان لأهل دمشق سنة 699هـ/1299م

فرمان الأمان من الأيلخان غازان لأهل دمشق سنة 699هـ/1299م ([1])

بقوة الله تعالى ليعلم أمراء التومان والألوف والمائة , وعموم عساكرنا المنصورة , من المغول والتازيك , والكرج , وغيرهم ممن هو داخل تحت ربقة طاعتنا , أن الله لما نور قلوبنا بنور الإسلام , وهدانا إلى ملة النبي عليه أفضل السلام "*افمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين* " .

ولما أن سمعنا أن حكام مصر والشام خارجون عن طريق الدين , غير متمسكين بإحكام الإسلام , ناقضون لعهودهم , حالفون بالإيمان الفاجرة , ليس لديهم وفاء ولا ذمام , ولا لأمورهم التئام ولا انتظام , وكان احدهم إذا تولى , سعى في الأرض ليفسد فيها , ويهلك الحرث والنسل , والله لا يحب الفساد , وشاع من سعارهم الحيف على الرعية ومد الأيدي العارية إلى حرمهم , وأموالهم والتخطي عن جادة العدل والإنصاف وارتكابهم الجور والاعساف , حملتنا الحمية الدينية والحفيظة الإسلامية على أن توجهنا إلى تلك البلاد , لإزالة هذا العدوان وإماطة هذا الطغيان مستصحبين الجم الغفير من العساكر .

ونذرنا على أنفسنا أن وفقنا الله تعالى بفتح تلك البلاد أزلنا العدوان والفساد وبسطنا العدل ولاحسان في كافة العباد ممتثلا للأمر الإلهي " *إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون* " .

وإجابة لما ندب إليه الرسول صلى الله عليه وسلم " إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الدين , يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا " وحيث كانت طويتنا مشتملة على هذه المقاصد الحميدة والنذور الأكيدة من الله علينا بتبليج تباشير النصر المبين والفتح المستبين وأتم علينا نعمته وانزل علينا سكينته فقهرنا العدو الطاغية والجيوش الباغية وفرقناهم أيدي سبا ومزقناهم كل

([1]) النويري , نهاية الأرب , ج31 , ص244 -246؛ ابن أيبك , كنز الدرر , ج8 , ص20 - 23

ممزق حتى جاء الحق وزهق الباطل وان الباطل كان زهوقا , فازدادت صدورنا انشراحا للإسلام , وقويت نفوسنا بحقيقة الإحكام , منخرطين في زمرة من حبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلا من ا ونعمة .
فوجب علينا رعاية تلك العهود الموثقة , والنذور المؤكدة فصدرت مراسيمنا العالية أن لا يتعرض احد من العساكر على اختلاف طبقاتها لدمشق وأعمالها , وسائر البلاد الإسلامية الشامية , أن يكفوا أظفار التعدي عن أنفسهم وأموالهم وحريمهم ولا يحوموا حول حماهم بوجه من الوجوه حتى يشتغلوا بصدور مشروحة , وآمال مفسوحة بعمارة البلاد , وبما هو كل واحد بصدده من تجارة وزراعة وغير ذلك , وكان هذا الهرج العظيم , وكثرة العساكر فتعرض بعض نفر يسير من السلاحية وغيرهم إلى نهب بعض الرعايا فقتلناهم ليعتبر الباقون , ويقطعوا أطماعهم عن النهب والأسر وغير ذلك من الفساد , وليعلموا أنا لا نسامح بعد هذا الأمر البتة وان لا يتعرضوا لأحد من أهل الأديان على اختلاف أديانهم , من اليهود والنصارى والصابئة , فإنهم إنما يبذلون الجزية عنهم من الوظائف الشرعية لقول علي عليه السلام : " إنما يبذلون الجزية لتكون أموالهم كأموالنا ودمائهم كدمائنا " والسلاطين موصون على أهل الذمة الطيعين , كما هم موصون على المسلمين فإنهم من جملة الرعايا قال صلى ا عليه وسلم :" الإمام الذي على الناس راع عليهم , وكل راع مسؤول عن رعيته "
فسبيل القضاة والخطباء والمشايخ والعلماء والأكابر والمشاهير وعامة الرعايا , الاستبشار بهذا النصر الهني والفتح السني , اخذ لحظ الوافر من السرور والنصيب الأكبر من البهجة والحبور , مقبلين على الدعاء لهذه الدولة القاهرة , والمملكة الظاهرة آناء الليل وأطراف النهار .
كتب في خامس ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وستمائة ."

ملحق (ف)

رسالة صادرة من الأيلخان محمود غازان إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون

سنة 700هـ/1300م

ملحق (ف)

رسالة صادرة من الأيلخان محمود غازان إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة 700هـ/1300م . ([1])

بسم ا الرحمن الرحيم

بقوة ا تعالى وميامين الملة المحمدية

فرمان السلطان محمود غازان

ليعلم السلطان المعظم الملك الناصر انه في العام الماضي بعض عساكرهم المفسدة دخلوا أطراف بلادنا وافسدوا فيها لعناد ا وعنادنا كماردين ونواحيها وجاهروا ا بالمعاصي ومن ظفروا به من أهلها وأقدموا على أمور بديعة وارتكبوا آثاما شنيعة من محاربة ا وخرق ناموس الشريعة فانفنا من تهجمهم وغرنا من تقحمهم وأخذتنا الحمية الإسلامية فحدتنا على دخول بلادهم ومقابلتهم على إفسادهم فركبنا بمن كان لدينا من العساكر وتوجهنا بمن اتفق منهم انه حاضر وقبل وقوع الفعل منا واشتهار الفتك عنا سلكنا سنن المرسلين واقتفينا يعقوب السكرجي جماعة من القضاة والأئمة الثقات وقلنا : " هذا نذير من النذر الأولى أزفت الآزفة ليس لها من دون ا كاشفة " فقابلتم ذلك بالإصرار وحكمتم عليكم وعلى المسلمين بالإضرار وأهنتموهم وسجنتموهم وخالفتم سنن الملوك في حسن السلوك فصبرنا على تماديكم في غيكم وخلودكم إلى بغيكم إلى أن نصرنا ا واراكم في أنفسكم قضاة" أفامنوا مكر ا فلا يؤمن مكر ا "

وظننا أنهم حيث تحققوا كنه الحال وآل بهم إلى ما آل أنهم ربما تداركو الفارط من أمرهم ورتقوا ما فتقوا بغدرهم وأوجه إلينا وجه عذرهم وأنهم ربما سيروا إلينا حال دخولهم الديار المصرية رسلا لإصلاح تلك القضية فبقينا بدمشق غيرمتحثثين وتثبطنا تثبط المتملكين المتمكنين فصدهم عن السعي في صلاح حالهم التواني وعللوا نفوسهم عن اليقين بالأماني ثم بلغنا بعد عودنا إلى بلادنا أنهم القوا في قلوب العساكر والعوام وراموا جبر ما اوهنوا من الإسلام أنهم فيما بعد يلتقوننا على حلب

([1]) بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص352 -353؛ العيني , عقد الجمان , ج4 , ص133 – 137 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج31 , ص265 – 267 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج8 , ص70 - 72

والفرات وان عزمهم مصر على ذلك لا سواه فجمعنا العساكر وتوجهنا للقياهم ووصلنا الفرات مرتقبين ثبوت دعواهم وقلنا لعلهم وعساهم فما لمع لهم بارق ولا ذر شارق فتقدمنا إلى أطراف حلب وتعجبنا من بطئهم غاية العجب فبلغنا بجوعهم بالعساكر وتحققنا نكوصهم عن الحرب وفكرنا انه متى تقدمنا بعساكرنا الباهرة وجموعنا العظيمة القاهرة ربما أخرب البلاد مرورها وبإقامتهم فيها فسدت أمورها وعم الضرر العباد والخراب البلاد فعدنا بقيا عليها ونظرة لطف من ا إليها .

وها نحن الآن أيضا مهتمون بجمع العساكر المنصورة ومشحذون غرار عزماتنا المشهورة ومشتغلون بصنع المجانيق وآلات الحرب وعازمون بعد الإنذار " وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا " وقد سيرنا حاملي هذا الفرمان الكبير ناصر الدين علي خواجه والإمام العالم ملك القضاة كمال الدين موسى بن يونس وقد حملناهم كلام يشافهاهم به فليثقوا بما تقدمنا به إليهما فإنهما من الأعيان المعتمد عليهما لنكون كما قال ا تعالى " قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين " فاعدوا لنا الهدايا والتحف فما بعد الإنذار من عاذر وان لم يتداركوا الأمر فدماء المسلمين وأموالهم مطلولة بتدبيرهم ومطلوبة منهم عند ا على طول تقصيرهم فليمعن السلطان لرعيته النظر في أمره فقد قال صلى ا عليه وسلم : " من ولاه ا أمرا من أمور هذه الأمة واحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب ا دون حاجته وخلته وفقره ", وقد اعذر من انذر وأنصف من حذر والسلام على من اتبع الهدى . كتب في العشر الأوسط من شهر رمضان بجبال الأكراد والحمد رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد المصطفى واله الطاهرين . "

ملحق(ص)

رسالة صادرة من الأيلخان محمود غازان إلى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة 700هـ/ 1300م بنسخة أخرى

ملحق(ص)

رسالة صادرة من الأيلخان محمود غازان إلى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة 700هـ/ 1300م بنسخة أخرى ([1])

" بقوة ا تعالى

وإهداء السلام إليكم ! إن ا تعالى جعلنا وإياكم من أهل ملـة واحـدة ، وشـرفنا بالإسلام وأيدنا بنصره لإقامة منارة وتكبير شعاره

وما كان بيننا وبينكم إلا بقضاء ا وقدره ، وما ذاك إلا بما كسبت أيديكم (وما ربك بظلام للعبيد) وسبب ذلك أن عساكركم غاروا على ماردين وبلادهـا فـي شـهر رمضان المعظم الذي يعظمه الأمم في ساير الأقطار ، ويغلل فيه الشيطان وتغلق فيه أبواب النار . فطرقوا البلاد "على حين غفلة من أهلها " وهتكوا محارم ا عز وجل سرعة بغير مهلة ، وأكلوا الحرام ، وركبوا الآثام ، وفعلوا ما لا تفعله عباد الأصنام ، فأتونا أهل ماردين ، وبلادها مستصرخين ، مـسارعين ملهـوفين ، بالأطفـال والحريم ، وقد استولى عليهم الشقا بعد النعيم ،فوقفوا بأبوابنا ، ولاذوا بجنابنا

فهزتنا نخوة الكرام ،وحركتنا حمية الإسلام ، فركبنا على الفور بمن كان معنا ولـم يسعنا أن نجمع بقية جيوشنا ، وقدمنا قدامنا النية وعاهدنا ا على ما يرضيه عنـد بلوغ الأمنية وعلمنا أن ا لا يرضى لعباده أن يسعوا فـي الأرض بالفـساد وأنـه ليغضب لهتك الحريم والأولاد فما كان إلا أن لقيناكم بنية صادقة وقلوب على حمية الدين موافقة " فمزقناكم كل ممزق " والذي ساقنا إليكم ، هو الذي نصرنا عليكم فما مثلكم إلا كمثل "*قرية كانت آمنة مطمئنة*" فوليتم الأدبار وركنتم إلى الفرار واعتصم من سيوفنا بالفرار فعفونا عنكم بعد الاقتدار ورفعنا عنكم السيف البتار وتقدمنا إلى جيوشنا أن لا يسعوا في الأرض كما سعيتم وأن ينشروا من العدل ما طـويتم ولـو قدرتم ما عليتم ولا عفيتم ولا نقلدكم بذلك منة بل حكم الإسلام في البغاة كذلك وكان جميع ما جرى في سابق القدم ومن قبل كونه جرى به القلم ثم إن رأينا أن الرعية قد تضوروا بمقامنا بمقامنا في الشام ، لكثرة جيوشنا لشركتهم في الشراب والطعام ولما

([1]) ابن أيبك , كنز الدرر , ج9 , ص52 -56

حصل في قلوب الرعية من الرعب عند معاينة جيوشنا التي هي كطبقات الـسحب فأردنا أن نسكن روعهم برحيلنا من أرضهم بالنصر والتأييد والعلو والمزيد . وتركنا عندهم من حيث من يتونس بهم ويعود في أمرها إليهم ويحرسهم من التعدي بعضهم عن بعض بحيث أنكم " *ضاقت عليكم الأرض بما رحبت* " إلى أن يـستقر جأشـكم وتبصروا أرشادكم وتسيروا إلى الشام تحفظونه من أعدائكم المتقـدمين وأكـرادكم المتمردين فقدمنا أمرنا إلى مقدمي تومانين من جيوشنا أنهم متى سمعوا بقدوم أحـد منكم أن يعودوا إلينا بسلام ويلحقوا ركابنا بدار السلام فعادوا إلينا بالنـصر المبـين والحمد رب العالمين

والآن فانا وإياكم على كلمة الإسلام مجتمعين وما كان بيننا ما يفرق كلمتنا إلا مـن فعلكم ماردين وقد أخذنا منكم بالقصاص وهذا جزا كل عاص . فلنرجع الآن إلـى إصلاح الرعايا ونجتهد نحن وانتم في العدل في ساير القضايا ! فقد انضرت بيننا وبينكم حال البلاد وسكانها ومنع الرعية الخوف القرار في أوطانهـا وتعـذر سـفر التجار وتوقف حال المعاش

لانقطاع البضايع والأسفار ونحن نعلم أنا نسال عن ذلك ونحاسب عليـه وان ا لا يخفى شيء في الأرض ولا في السماء عليه ، وان كل ما كان وخما يكـون فـي كتاب مبين "*لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها* " وأنت تعلم أيها الملك الجليل أنني إنا وأنت مسئولون عن الكثير والقليل وكذلك فانا مسئولون ومطالبون عما جناه اقل من ولبناهم وان مصيرنا إلى ا فانا معتقدون الإسلام سرا وعلانية عـاملون بفروضه بكل وصية .

وقد حملنا قاضي القضاة حجة الإسلام بقية السلف ضيا الدين أبا عبد ا محمد اعزه ا تعالى شفاهة يعيدها على سمع الملك والعمدة عليها فإذا عاد من الملك الجـواب فليسير إلينا هدية الديار المصرية كهدايا الأحباب لنعلم أن بإرسال الهدية قد حـصل منكم في إجابتنا إلى الصلح نية ونهدي من بلادنا م يليق أن يهدى لـيكم والـسلام الطيب منا عليكم إن شاء ا تعالى "

ملحق (ق)

جواب السلطان الناصر محمد بن قلاوون على رسالة الأيلخان محمود غازان سنة 701هـ/ 1301م

ملحق (ق)

جواب السلطان الناصر محمد بن قلاوون على رسالة الأيلخان محمود غازان سنة 701هـ/ 1301م ([1])

بسم ا الرحمن الرحيم

بقوة ا بتعالى وميامين الملة المحمدية

أما بعد حمدا الذي جعلنا من السابقين الأولين الهادين المهتدين التابعين لسنة سيد المرسلين بإحسان إلى يوم الدين والصلاة على سيدنا محمد والسلام على اله وصحبه الذين فضل ا من سبق منهم إلى الإيمان في كتابه المكنون فقال سبحانه وتعـالى " *والسابقون السابقون اؤلئك المقربون* " .

بإقبال دولة السلطان الملك الناصر كلام محمد بن قلاوون

فليعلم السلطان المعظم محمود غازان أن كتابه ورد فقابلناه بما يليق بمثلنا لمثله من الإكرام ورعينا له حق القصد فتلقيناه منا بسلام فتأملنـاه تأمـل المـتفهم لدقائقـه المستكشف عن حقائقه فألفيناه قد تضمن مؤاخذة بأمورهم بالمؤاخذة علهـا أحـرى معتذرا في التعدي بما جعله ذنوبا لبعض طالب بها الكل وا تعالى يقـول : " *ولا تزر وازرة وزر أخرى* ".

أما حديث من أغار على ماردين من رجالة بلادنا المتطرفة وما نسبوه إلـيهم مـن الإقدام على الأمور البديعة والآثام الشنيعة وقولهم انهم انفوا من تهجمهم وغاروا من تقحمهم واقتضت الحمية ركوبهم في مقابلة ذلك فقد تلمحنا هذه الصورة التي أقاموها عذرا في العوان وجعلوها سببا إلى ما ارتكبوه من طغيان والجواب عـن ذلـك إن الغارات من الطرفين لم يحصل من المهادنة والموادعة ما يكف يـدها الممتـدة ولا يغير هما المستعدة وقد كان آباؤكم وأجدادكم على ما علمتم من الكفر والنفاق وعدم المصافاة للإسلام والوفاق ولم يزل ملك ماردين ورعاياه منفذين ما يصدر من الأذى للبلاد والعباد عنهم متولين كبر مكرهم وا تعالى يقول : " *ومن يتولهم منكم فانـه*

([1]) بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص356 - 361 ؛ العيني , عقد الجمان , ج4 , ص158 – 168؛ النـويري , نهايـة الأرب , ج31 , ص 267– 272 ؛ القلقـشندي , صـبح الأعـشى , ج7 , ص265 – 271

منهم "وحيث جعلتم هذا ذنبا موجبا للحمية الجاهلية وحاملا على الانتـصار الـذي زعمتم أن هممكم به ملية فقد كان هذا بقصد الذي ادعيتموه يتم بالاتفاق من أهل تلك الأطراف التي اوجب ذلك فعلها والاقتصار على اخذ الثأر ممن ثار إتباعـا لقولـه تعالى :" *وجزاء سيئة سيئة مثلها* " لا أن تقصدوا الإسلام بـالجموع الملفقـة علـى اختلاف الأديان وتطأوا البقاع الطاهرة بعبدة الصلبان وتنتهكوا حرمة البيت المقدس الذي هو ثاني بيت ا الحرام وشقيق مسجد رسول ا عليه الصلاة والـسلام وان احتججتم بأن زمام تلك الغيارة بيدنا وسبب تعديهم من سببنا فقد أوضـحنا الجـواب عن ذلك وان عدم الصلح والموادعة اوجب سلوك هذه المسالك .

وأما ما ادعوه من سلوك سنن المرسلين واقتفاء آثار المتقدمين في إنفاذ الرسل أولا فقد تلمحنا هذه الصورة وفهمنا ما أوردوه من الآيات المسطورة والجواب عن ذلـك أن هؤلاء الرسل ما وصلوا إلا وقد دنت الخيام من الخيام وناضـلت الـسهام عـن السهام وشارف القوم القوم ولم يبق للقاء إلا يوم أو بعض يوم واشرعت الأسنة من الجانبين ورأى كل خصمه رأي العين وما نحن ممن لاحت له رغبة راغب فتشاغل عنها ولها ولا ممن يسالم فيقابل ذلك بجفوة النفار وا تعالى يقول" *وان جنحوا للسلم فاجنح لها* " كيف والكتاب بعنوانه وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي ا عنه يقول : ما اضمر الإنسان شيئا إلا ظهر في صفحات وجهه وفلتات لسانه ولو كـان حضور هؤلاء الرسل والسيوف وادعة في أغمادها والأسنة مستكنة فـي أعوادهـا والسهام غير مفوقة والأعنة غير مطلقة لسمعنا خطابهم واعدنا جوابهم

وأما ما أطلقوا به لسان قلمهم وباؤه من غليظ كلمهم في قولهم فصبرنا على تماديكم في غيكم وإخلادكم إلى بغيكم فأي صبر ممن أرسلنا عنانه إلى المكافحة قبل إرسال رسل المصالحة وجاس خلال الديار قبل ما زعمه من الإنذار والأعذار وإذا فكـروا في هذه الأسباب ونظروا ما صدر عنهم من خطاب علموا العذر في تأخير الجواب وما يتذكر إلا أولو الألباب .

وأما ما بجحوا به مما اعتقدوه من نصرة وظنوا من ا جعل لهم على حزبه الغالب في كل كرة الكرة فلو تأملوا ما ظنوه ربحا لوجدوه هو الخسران المبين ولو انعمـوا النظر في ذلك لما كانوا به مفتخرين ولتحققوا أن الذي اتفق لهم كان غرما لا غنمـا

وتدبروا معنى قوله تعالى "*إنما نملي لهم ليزدادوا إثما* " ولم يخف عنهم من أبلته السيوف الإسلامية منهم وقد رأوا عزم من حضر من عساكرنا التي لو كانت مجتمعة عند اللقاء لما ظهر خبر عنهم فانا كنا في مفتتح ملكنا ومبتدأ أمرنا حللنا بالشام للنظر في أمور البلاد والعباد فلما تحققنا خبركم وقفونا أثركم بادرنا نقد أديم الأرض سيرا وأسرعنا لندفع عن المسلمين ضررا وضيرا ونؤدي من الجهاد السنة والفرض ونعمل بقوله تعالى " *وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض* " فاتفق اللقاء بمن حضر من عساكرنا المنصورة وثوقا بقوله تعالى : "*كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة* " . وإلا فأكابركم يعلمون وقائع الجيوش الإسلامية التي كم وطئت موطئا يغيظ الكفار فكتب به عمل صالح وسارت في سبيل ا ففتح ا عليها أبواب المناجح وتعددت أيام نصرتها التي لو دققتم الفكر فيها لا زالت ما حصل عندكم من لبس ولما قدرتم على أن تنكروها وفي تعب من يجحد ضوء الشمس وما زال ا لها نعم المولى ونعم النصير وإذا راجعتموهم قصوا عليكم نبأ النصرة " *ولا ينبئك مثل خبير*" وما زالت تتفق الوقائع بين الملوك والحروب وتجري المواقف التي هي بتقدير ا فلا فخر فيها للغالب ولا عار على المغلوب وكم من ملك استظهر عليه ثم نصر وعاوده التأييد فجبره بعد ما كسر خصوصا ملوك هذا الدين فان ا تكفل لهم بحسن العقبى فقال سبحانه : " *والعاقبة للمتقين* " .

وأما إقامتهم الحجة علينا ونسبتهم التفريط ألينا في كوننا لم نسير إليهم رسولا عند حلولنا بدمشق فنحن عندما وصلنا إلى الديار المصرية لم نزد على أن اعتددنا وجمعنا جيوشنا من كل مكان وبذلنا في الاستعداد غاية الجهد والإمكان وأنفقنا جزيل الأموال فبجمع العساكر والجحافل ووثقنا بحس الخاف لقوله تعالى : " *مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل ا كمثل حبة انبتت سبع سنابل* " ولما خرجنا من الديار المصرية بلغنا خروج الملك من البلاد لأمر حال بينه وبين المراد فتوقفنا عن المسير توقف من أغنى رعبه عن حث الركاب وتلبثنا تلبث الراسيات : " *وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب* " وبعثنا طائفة من العساكر لمقابلة من أقام

بالبلاد فما لاح لها منهم بارق ولا ظهر فتقدمت فتخطفت من حماة على التأخر الغرر ووصلت إلى الفرات فما وقعت للقوم على اثر .

وأما قولهم أننا القينا في قلوب العساكر والعوام أنهم فيما بعد يلتقوننا على حلب أو الفرات وأنهم جمعوا العساكر ورحلوا إلى الفرات والى حلب مرتقبين وصولنا فالجواب عن ذلك انه من حين بلغنا حركتهم جزمنا وعلى لقائهم عزمنا وخرجنا وخرج أمير المؤمنين الحاكم بأمر ا ابن عم سيدنا رسول ا صلى ا عليه وسلم الواجب الطاعة على كل مسلم المفترض المبايعة والمتابعة على كل منازع ومسلم طائعين ولرسوله في أداء فرض الجهاد باذلين في القيام بما أمرنا ا غاية الاجتهاد لا يتم أمر دين ولا دنيا إلا بمشايعته ومن والاه فقد حفظه ا وتولاه ومن عانده أو عاند من أقامه فقد أذله ا فحين وصلنا إلى البلاد الشامية تقدمت عساكرنا تملأ السهل والجبل وتبلغ بقوة ا في النصر الرجاء والأمل ووصلت اوايلها إلى أطراف بلاد حماة وتلك النواحي فلم يقدم احد عليها ولا جسر أن يمد حتى ولا الطرف إليها فلم نزل مقيمين حتى بلغنا رجوع الملك إلى البلاد وإخلافه موعد اللقاء وا لا يخاف الميعاد فعدنا لاستعداد جيوشنا التي لم تزل تندفع في طاعة ا تعالى اندفاع السيل عاملين بقوله تعالى : " *وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل* " .

وأما ما جعلوه عذرا في الإقامة بأطراف البلاد وعدم الإقدام عليها وأنهم لو فعلوا ذلك ودخلوا بجيوشهم ربما افسد البلاد مرورها وبإقامتهم فيها فسدت أمورها فقد فهم هذا المقصود ومتى الفت البلاد والعباد منهم هذا الاشتقاق ومتى اتصفت جيوشهم بهذه الأخلاق وهما آثارهم موجودة ودعاوى خلافهم بمشاهدة الحال مردودة وهل هذا اعتماد من رمق شخص الإسلام بإنسانه كيف ورسول ا صلى ا عليه وسلم يقول : المسلم من سلم الناس من يده ولسانه واسارى المسلمين عندهم في اشد وثاق وفي يد الأرمن والتكفور منهم ما يخالف ما ادعوه من إشفاق وقد كان المسلمون غزوا عسكر ابغا وقتلوا من قتلوا من التتار وحصل لهم التمكن في البلاد والاستظهار واستولوا على ملك آل سلجوق وما تعرضوا لدار ولا جار ولا عفوا

أثرا من الآثار ولا حصل لمسلم منهم ضرر ولا احد من المسلمين يد إضراره هـذه سنة أهل الإسلام وفعل من يريد لملكه الدوام .

وأما ما أرعدوا به وابرقوا وأرسلوا فيه عنان قلمهم وأطلقوا وما أبدوه من الاهتمـام بجمع العساكر وتهيئة المجانيق إلى غير ذلك مما ذكروه من التهويل فلله تعالى يقول : "*الذين قال ا لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانـا وقـالوا حسبنا ا ونعم الوكيل* " .

وأما قوله وإلا فدماء المسلمين مطلولة فما كان أغناهم عن هذا الخطاب وأولاهم بان لا يصدرا ليهم عن ذلك جواب ومن قصده الصلح والإصلاح كيف يقول هذا القـول الذي عليه فيه من جهة ا تعالى ومن جهة رسوله أي جناح وكيف يضمر هذه النية ويبجح بهذه الطوية ولم يخف مواقع هذا القول وخلله والنبي صلى ا عليه وسـلم يقول نية المرء ابلغ من عمله وبأي طريق تهدر دماء المسلمين التي مـن تعـرض إليها يكون ا له في الدنيا والآخرة مطالبا وغريما ومؤاخذا بقوله تعـالى :" *ومـن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاءه جهنم خالدا فيها وغضب ا عليه ولعنه واعد له عـذابا عظيما* " وإذا كان الأمر كذلك فلبشرى لأهل الإسلام بما نحـن عليـه مـن الهمـم المصروفة إلى الاستعداد وجمع العساكر التي تكون لها الملائكة الكرام إن شـاء ا تعالى من الإنجاد والاستكثار من الجيوش الإسلامية المتوفرة العدد المتكاثرة المـدد الموعودة بالنصر الذي يحفها في الظعن والإقامة الواثقة بقوله تعالى"*لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على عدوهم إلى يوم القيامة*" المبلغة في نصرة ديـن ا آمـالا المستعدة لإجابة داعي ا إذ قال :"*انفروا خفافا وثقالا* " .

وأما رسلهم وهم فلان وفلان فقد وصلوا ألينا ووفدوا علينا وأكرمنا وفادتهم وغزرنا لأجل مرسلهم من الإقبال مادتهم وسمعنا خطابهم واعدنا جوابنا هذا مع كوننـا لـم يخف عنا انحطاط قدرهم ولا ضعف أمرهم وأنهم ما دفعوا لأفواه الخطوب إلا لمـا ارتكبوه من ذنوب وما كان ينبغي أن يرسل مثل هؤلاء لمثلنا ولا يندب لهذا المهـم إلا من يجمع على فصل خطابه وفضله فأما ما التمسوه من الهدايا والتحف فلو قدموا من هداياهم حسنة لعوضناهم بأحسن منها ولو أتحفونا بتحفة لقابلناهم بأجل عـوض عنها وقد كان عمه الملك احمد راسل والدنا السلطان الشهيد وناجاه بالهدايا والتحف

من مكان بعيد وتقرب إلى قلبه بحسن الخطاب فأحسن له الجواب واتى البيوت مـن أبوابها بحسن الأدب وتمسك من الملاطفة بأقوى سبب والآن فحيث انتهت الأجوبـة إلى حدها وأدركت الأنفة من مقابلة ذلك الخطاب غاية قصدها فنقول إذا جنح الملك للسلم جنحنا وإذا دخل في الملة المحمدية ممتثلا ما أمر ا به مجتنبا ما عنه نهـى وانضم في سلك الإيمان وتمسك بموجباته تمسك المتشرف بدخوله فيـه لا المنـان وتجنب التشبه بمن قال ا في حقهم :" *قل لا تمنوا علي إسلامكم بل ا يمن عليكم أن هداكم للإيمان* " وطابق فعله قوله ورفض الكفار الذين لا يحل لـه أن يتخـذهم حوله وأرسل إلينا رسولا من جهته يرتل آيات الصلح ترتيلا ويروق خطابه وجوابه حتى يتلو كل احد " *يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا* " صـارت حجتنـا وحجتـه المركبة على من خالف ذلك وكلمتنا وكلمته قامعة أهل الشرك في سـائر الممالـك ومضافرتنا له تكسب الكافرين هوانا والمشاهد لتصافينا يتلو قوله تعالى " *واذكـروا نعمة ا عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا* " وينـتظم إن شاء ا شمل الصلح أحسن انتظام ويحصل التمسك من الموادعة والمصافاة بعـروة لا انفصال لها ولا انفصام وتستقر قواعد الصلح على ما يرضي ا تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام . "

ملحق(ر)

جواب السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون على رسالة الأيلخان محمود غازان سنة 701هـ/ 1301م بنسخة أخرى ([1])

([1]) ابن أيبك , كنز الدرر , ج9 , ص66 - 69

ملحق(ر)

جواب السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون على رسالة الأيلخان محمود غازان سنة 701هـ/ 1301م بنسخة أخرى ([1])

بسم ا الرحمن الرحيم

بقوة وإقبال دولة السلطان الملك الناصر

" قد علمنا ما أشار به الملك الجليل وندب إليه ، وما عول في قوله وفعله عليه . فأما قول الملك : قد جمعنا وإياكم كلمة الإسلام ، وملة النبي علية أفضل الصلاة والسلام ، وإنه لم يطرق ولا قصد إلا لما سبق به القضاء المحتوم ، فهذا أمر غير مجهول ، بل هو عندنا معلوم وإن السبب في ذلك قوة جيوشنا على مـاردين ، وأنهـم سـبوا وفسقوا وهتكوا الحريم ، وفعلوا فعل من لا له دين ، فالملك يعلـم أن مـا برحـت غاراتنا في بلادكم ، من عهد آبايكم وأجدادكم ، وأن الذي فعل ما فعل من الفـساد ، لم يكن برأينا ولا من أمرانا والأجناد ، بل هو من الأطراف الطماعة ممن لا يؤبـه إليه ، ولا يعول في قول ولا عمل عليه ، وأن معظم جيوشنا كان في تلـك الغـارة التي في تلك الأيام ، في الليل قيام ، وفي النهار صيام ، طاوين لمـا لـم يجـدون مايشترونه من القوات ، فصاموا وطووا ليلاً يأكلوا ما فيه شبهة وحرام ولا يجـب على الملك ابن الملك الذي أصله من عظم القآن جنكيز خان ، أن يقول قولاً ويقـع عليه الرد فيه قريب ، ولا يظن أنه ساعة واحدة عن أعيننا يغيب ، وليعلم أنه لـو تقلب في مضجعه من جانب إلى جانب ، أو خرج من منزله راجلاً كان أو راكب ، لكان عندنا علم ذلك على البريد ، وتطلع من جميع أخباره على ما نحـب ونريـد ، ممن هو إليه أقرب من حبل الوريد ، فإن أقرب بطانته إليه ، هو العين لنا عليـه ، وإن كبر ذلك لديه ، وقد تحققنا أن الملك أقام عامين يجمع الجمـوع ، ويستنـصر بالبيعة والطموع ، حتى جمع وحشد ، من كل أرض وبلاد ، واعتـضد بالنـصارى

([1]) ابن أيبك , كنز الدرر , ج9 , ص66 - 69

والكرج والأرمن ، واستنجد بكل من ركب فرساً من فصيح وألكن ، وطلـب مـن الموشمات خيولاً وركاب ، وكثر سواداً وعدد أطلاب

ثم إنه لما علم أنه ليس له بجيوشنا قبل في معركة ولا نزال ، عاد إلى التلفيق بقول الزور والمحال ، والخديعة والاحتيال ، وأبطن خلاف ذلك ، حتى ظن معظم جيوشنا أن الأمر كذلك . فلما التقينا كان أكثر جيوشنا يمتنع من قتاله ، ويفند عـن نزالـه ، ويقولوا لا يحل قتال المسلمين ، ولا يجوز قتل من تظاهر بهذا الدين . فلهـذا كـان منهم ذلك الفشل ، وتأخروا عن قتالك حتى حصل ما حصل . وأنت تعلم أن الدايرة كانت عليك ، وليس من أصحابك إلا من شكا إليك ، والحرب سجال : فيوم لك ويوم عليك ، وليس هذا مما تعاب به الجيوش ، ولا أشد الوحوش ، فإن لمن قهر لا بد أن يقهر ، وهذا كان بالقضاء والقدر.

وأما قول الملك : إنه لما التقينا معه مزق جيوشنا كل ممزق ، فهذا مثل بكـم كـان أليق . وإن كان الملك كان غريب الجأش لعظم هيئة جيشنا وصولته ، فليسأل مـن أصحابه وكبار دولته ، كيف لم يحضرهم من جيوشنا إلا البعض ، وكيف طرحـوا معظم مغلكم على الأرض ، وليس ينكر هذا لوقا يع جيوشنا ومواقع سـيوفنا مـن رقاب آباءه وأجداده ، وما من حوي بيتكم إلا من هو إلـى الآن لابـس حـداده ، وسيوفنا فإلى الآن تقطر من دمايهم ، وخيولنا فإلى الآن حفاة من دوس جماجمهم ، وإن كان جيشك قد داس أرضنا مرةً ، ودخل بلادنا كرةً ، فبلادك لغاراتنـا مقـام ، ولسيوفنا ذمام ، فلا تغتر بالزمان ، فكما تدين تدان .

وأما قول الملك إنه ومن معه يعتقدون قولاً سراً وعلانيةً ، فإن الذي جرى بدمـشق في جبل الصالحية ، فليس يخفى على الملك إن كان مثل هـذا يكـون مـن فعـل المسلمين بالمسلمين ، أو عمل من هو متمسك بهذا الدين ، فأين وكيف وما الحجة ؟ وحرم بيت الرحمن الهناء يشرب فيه الخمور ، وتهتك فيه الستور ، وتطمـث فيـه البكور ، وتقتل فيه المجاورون ، وتؤسر الخطبا والمؤذنون ، ثم على رأس خليـل الرحمن ، تعلق الصلبان ، وتهتك النسوان ، ويدخل الكافر نجساً سكران . فإن كـان ذلك عن عماك ورضاك ، فيا خيبة مسعاك ، في دنياك وأخراك ، ويا ويلـك فـي معادك ، وعن قريب يخرب عمرانك وبلادك ، وتقتل أمراءك وأجنادك . وإن كـان

عن غير رضاك ، ولم يبلغ أذناك ، فقد أعلمناك ، أن ليس مطلوب به سواك ، فـإن كنت في قولك صحيح الكلام ، وفي عقدك وفي النظام ، فاقتل التوامين الذين فعلـوا هذا الفعال ، وأوقع بهم غاية النكال ، لنعلم أنك أوضحت الحجة ، وأنت على طريق المحجة .

وليعلم الملك أن عساكرنا لما وصلوا إلى الديار المصرية وقد تحققوا ما تظـاهرت به وما أضمرت من النية ، وبدلكم الميل عن الإيمان ، وانتصرتم على قتالهم بعبـدة الصلبان ، اجتمعوا وتأهبوا وخرجوا بعزمات محمدية ، وهمات بدريه ، ونخـوات إسلاميه ، وقلوب من الشرك بريه ، وهمم عند ا تعالى عاليه مرضية ، ووجـوه بين يديه إنشاء ا بيض ضوئية ، ونادوا بلسان الاستغفار ، يا أمة محمد ، البـدار البدار ، اطلبوا من الكفار بالثار ، الحقوا أعداءكم ما داموا في البلاد ، لتشفوا مـنهم غلل الصدور والأكباد . فما وسع جيشكم إلا الفرار ، وما كان لهم علـى الملتقـى صبر ولا اقتدار . فاندفعت عساكرنا ، وهي كالموج الزخار ، يجدون فـي الـسير الليل والنهار ، إلى أن وصلوا إلى بلاد الشام ، ثم قصدوا أن يقصدوكم في بلادكـم ليظفروا بنيل المرام ، فخشينا على رعيتكم أن تهلك ولا تجدون إلى النجاة مـسلك . فأمرناهم بالمقام ، ولزوم الاهتمام ، حتى "*يقضي ا أمراً كان مفعولاً* "

وأما ما تحمله قاضي القضاة من المشافهة فسمعناه ، وجميع مـا ذكـره فهمنـاه ، وأقمن مقامه من يكون نسبته بعد ما عذرناه . وهو المشهور بدينه وعلمه ، وسكينته وحلمه ، لكنه غريب منكم ، بعيد عنكم ، لم يطلع على بواطنكم ، ولا مـا انعقـدت عليه ضما يركم . وإن كنتم تريدون الصلح والإصـلاح ، وبـواطنكم كظـواهركم متتابعة الصلاح ، فأنت الطالب لذلك على التحقيق ، مالم يكن في قولك تـشويه ولا تمليق ، فنحن نقلدك البغي الذي من سله به قتل . وبهذا سار المثل ، وبه أيضاً شهد القرآن العظيم بمثله" *ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله*" فترسل إلينا شخصاً من كبـار دولتك وحكام عشيرتك ، ليكون إذا قطع أمراً أو فصل حكماً . عولتم عليه ، وأنهيتم إليه ، ويكون له في دولتكم تمكين ، وهو فيما يفعله ويفصله ثقة أمين ، لنتكلم معـه بما فيه صلاح ذات البين ، وإن لم يكن كذلك رددناه بخفي حنين .

وأما طلب الملك الهدية . من الديار المصرية ، فليس نبخل عليه وقدره عندنا أجـل مقدار . وجميع ما يهدى إليه دون قدره ، وإن تغالينا في الإكثار . وإنما الواجب أن يهدى إلينا من العراق بأصنافها ، لنقابل هديته إنشاء ا بأضعافها ، ونتحقق صـدق نيته ، وما انعقدت عليه طويته ، لنفعل بعد ذلك مايرضى ا عز وجـل وإن كنـا فاعلين ، ويكون محله عندنا أشرف محل والحمد رب العالمين "

ملحق (ش)

بسم ا   الرحمن الرحيم

فرمان الأيلخان محمود غازان يستميل فيه أهل الشام إلى جانبه سنة 702هـ/1302م

ملحق (ش)

بسم ا الرحمن الرحيم

فرمان الأيلخان محمود غازان يستميل فيه أهل الشام إلى جانبه سنة 702هـ/1302م ([1])

ليعلم الأمير أفرم وأكابر الأمراء،ورعاء العساكر والأجناد ،والقضاة,والسادات ,والأئمة, والصدور, والأكابر, والمشاهير, والرؤساء, وعوام الرعايا من أهل دمشق ، أنه حيث خصنا ا تعالى بالعناية الأزلية , والسعادة الأبدية, وشرح صدرنا للإسلام ,ونور قلبنا للإيمان , وأورثنا سلطنة الآباء والأجداد , وأمدنا بالنصرة المتواترة الأمداد, تصدينا لإثابة الشكر على نعمائه حسب الإمكان , فعاهدنا ا تعالى على ملازمة البر والإحسان , ودفع الرزايا عن الرعايا , وإيصال البر إلى البرايا , سيما طوائف المسلمين, وطبقات المؤمنين , وأن لانرخص في القتال مالم يبدأنا به الجهال , فكل لبيب يعلم أن البادي أظلم , والذي يحقق ذلك ما عرفه الداني والقاصي, من طريقتنا المسلوكة مع المطيع والعاصي , وما ترتب بيننا وبين أنسابنا الأصاغر, والأكابر, وتركنا المقاتلة إلا مع باد مكابر

وحيث كان أهل مصر والشام يحبون ويؤدون قوة الإسلام , كان الواجب عليهم إظهار السرور, وإبداء الحبور, بإسلام ذرارى جنكيزخان, وعساكرهم التي لا غاية لأواخرهم وتؤمن غلبة المتسلطين في تلك البلاد, وإنفاذ الرسل إلينا عن الوداد, وإرسال التحف والهدايا والشكر , ولنا على تلك المزايا فما أبصرنا منهم في عموم الأوقات إلا ما لا يحسن من الحركات حتى أنهم عموا على ماردين وديار بكر طغيانا , وأقدموا على القتل والنهب فيها عدوانا , فدعتنا الحمية على الإسلام إلى الفساد بالانتقام, وهممنا بأن نجر إليهم العساكر, ونبيد البادي منهم والحاضر, فصادفتهم المراحم العميمة التي لم تزل لنا خلقا وشيمة, فتوقفنا مقتدين بقوله تعالى :" *وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا*" فأنفذنا الإيلجية مع قضاة ثقات , لعلهم في أمرهم

---

[1] بيبرس المنصوري , زبدة الفكرة , ص368-372 ؛ العيني , عقد الجمان , ج4 , ص210-217

يتفكرون, وإلى الإنابة يهتدون, فأتوهم بصرائح النصائح, وهدوهم إلى جدد المصالح, فعصى سلطان مصر عتوا ونفورا , وأودعهم السجن تجبـرا وغـرورا , فأفـضت حركاتهم الذميمة إلى أن هال عليهم الجنود , وحل عليهم ما حل بعاد وثمود, ولـولا رفقنا المجبول بنا لأضحت شام خالية الديار .

وأما ما أصاب من لاحقه بعض العساكر من بعض الرعية فما كان أحد بـذلك مأمورا , وكان أمر ا قدرا مقدورا.

وجرم جره سفهـاء قوم فحل بغـير جانيـه العقـ ـ ـاب

ولما ثنينا عنان العزيمة ترحما على البراء من الجريمة, ثنينا لتركيب الحجة الرسالة , لعلهم ينتهون عن التمادي في الجهالة, فما سمعوا من الرسول قليلا وحبسوه زمانا طويلا.

وأما في الإعادة , فقد خالفوا الذاهبين في العادة , لأنهم لم يـصحبوه واحـدا مـن رسلهم , ليتداركوا ما فرط من زللهم , وياليت ما حملوه من الجواب كان متـضمنا لوجه من الصواب , فإن كتابهم دل على فساد آرائهم , وتعمقهم في متابعة أهوائهم , فقد ضمنوا مهذين المقال مطواه , وكتبوا اسم سلطانهم بالألقاب البليغـة بالـذهب أعلاه , واسم ا تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام بالمداد و واسمنا بعـد عـدة سطور للعناد , فحملنا ذلك على عدم معرفتهم بالرسوم والآداب ,وقلـة ممارسـتهم مراسيم الخطاب والجواب .

وحيث أردنا أن لايتأذى بذلك المسلمون صفحنا عنهم وتلونا : "*فاصفح عنهم وقـل سلام فسوف يعلمون* " وعاودنا إرسال الإيلجية مع أكابر القضاة , وحملنا إليهم الخلع والموهبات, ليسلكوا مسالك الموافقات, ويجتنبوا جوانب المخالفات, فوصل الخبـر عقيب توجه الإيلجية أن القوم قصدوا ديار بكر, وحاوا حبى الكيد والمكـر, فأمرنـا بركوب العساكر, وإهلاك الباغين بالسيوف البواتر, فانتهى خبر ذلك إليهم, وفزعوا من سطواتنا عليهم , فأخذوا عن ديار بكر جانبا, وأصبح صحيح أملهم كاذبا , لكنهم عموا على خرت برت, وملطية, وسيس, وأخربـوا أطرافهـا وحواليهـا بالحيلـة والتلبيس, ولا شبهة لا حد إن خرت برت وملطية من ولايتنا وصاحب وسيس مـن الداخلين في شريعة طاعتنا, وقد كانوا أظهروا للإيلجية الألية, واستازم إقدامهم على

ذلك كذب القضية, وأيضا كاتبوا الأكراد والروم بخطاب الأخ مرارا ودعوهم إلى إثارة الشر والفتن سرا وجهارا , وما علموا أن صحاري بلادنا مملوءة من أمثال أولئك و ولا التفات لأحد إلى ذلك, وكتبوا أيضا إلى ملك الكرج بار بن داود, وأثبتوا البر والعبودية مع أنه عندنا خالص النية والطوية, وحرضوه على العصيان والبغي والكفران, وأرسلوا الرسل إلى طقطا وسائر أنسابنا بدست قفجاق, وأغروهم على إظهار الخلاف والشقاق, فوقفنا واطلعنا على ما يمكرون, وتوقفنا النظر بم يرجع المرسلون, فلما أتوا وقصوا العجب بما رأوا وذكروا أنهم أمسكوا في البيوت إلى حين الإعادة, وقالوا هذه عادتنا وبئست العادة, وقد أتوا بمكتوب مسطورعلى الوضع المذكور, فأنصح ذلك أنهم يتكبرون , وحيث يناسب التواضع يتجبرون, وإلا كيف يسوغ أن تكون مكاتبتهم مع المذكورين كذلك, والكتاب الذي أنفذ إلينا بذلك لا سيما إذا زعموا الألية وخلوص النية, فما عساه أفضى إلى هذا الندا كما أفضى مرارا فيما مضى, لكنه وصل الخبر حالته أنهم أنفذوا بيبرس بشبهة الحج مع جمع وافر وعموا على ملوك مكة – شرفها ا تعالى – وأخذوهم بأنهم دعوا لنا في المواسم الشريفة , والمقامات المنيفة, وأي مسلم يقصد بيت ا الحرام الواجب تعظيمه على كافة الأنام , وهو البيت المطهر للطائفين والعاكفين والركع السجود ويستوي فيه الأمير والمأمور والسلطان والجنود.

فحيث لم يبق من وجوه العدد شيء , تبين أن آخر الطب الكي, فشحذنا غرار العزم متوكلين واثقين بما عودنا ا من النصر العزيز, والفتح المبين, ونهضنا من قرب منا من الجنود , ورفعنا على السماك الألوية والبنود , عازمين على الإقامة هذه الصيفية بالشام منتقمين لما في الضمير من الانتقام وا المستعان وعليه التكلان.

وإنما المراد من تسيطر هذا الفرمان الرابع : أنا حيث نعلم أن أهل الشام من أهل الدهاء والفطنة فلا يشاركون المصريين في الشر والفتنة , ولا يرون بما يؤول إلى وقوع المصريين في العذاب والمحنة, أردنا أن ننبههم من رقدة الغفول, ونوضح لهم طرف الود والقبول, بينا لهم أنهم هل وجدوا في قواعد الأصول والفروع وصحائف المعقول والمشروع, وجها يقتضي أن يتبع من ليس إتباعه

ضرورة, ولا نزلت في وجوبه آية ولا سورة ويخالفوا من لا تعارض شـوكته ولا تطاق سطوته, فتصيبهم المحن والفناء, وينزل بساحتهم الجهد والبلاء, وها نحن قـد وردنا بالجنود المجندة والجيوش المؤيدة, وسيصل إلينا من الروم, والكرج, وتكفـور الإفرنج, عساكر لا تحصى كالنجوم في موعد مقرر, ووقت معلوم, ويكون مـصيف الجميع ببلاد الشام وحواليها وجبالها وصحاريها , فكشفنا القنـاع وركبنـا الحجـة, وقدمنا الوعيد , وأظهرنا المحجة وعقدنا النية بأنه كل من سلك سبيل مخالفتنا ولـم ينتهج طريق طاعتنا فإنا نأمر برعي غلاتهم وسـبي أزواجهـم وبنـاتهم, وبقطـع أشجارهم , وبقتل صغارهم وكبارهم, ونحرق مساكنهم ونتبع مخـافيهم ومكـامنهم, ونجعل أطلالهم ممحوة بالطمس, وأجسادهم كأن لم تغن بالأمس .

وإن لاح لهم الاحتراز فليستدركوا فارطهم وليرحموا أنفسهم وأزواجهـم وأولادهـم وأموالهم , وليبادروا إلى ما هو السبب للخلاص ويدخلوا في طاعتنـا عـن صـدق وإخلاص, وليتحققوا أنا لا نريد منهم خزائن ولا أموالا فإن ا تعالى قد أتانـا مـن المال "ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة ", أغنانا بما أعطانا عما هو في أيدي من سوانا, وفيما منحنا من المملكة العريـضة والـسلطنة المستفيـضة والعـساكر والجيوش غير المحصورة , والألوية والأعلام المنصورة , متسع وكفاية بل يخطبون باسمنا و ويضربون الدينار بسكتنا, حتى نقرر الجمهور على أمورهم مـن أميـرهم ومأمورهم , زائدين في الإقطاعات, والمشاهرات, والمرتبات, والإقـرارات ، ولا يخفى عليهم أن الشام كان في الأعوام الماضية , والأيام الخالية تارة مـع الـروم, وأخرى مع العراق, وعن مصر لازال منقطع العلاق, إلى زمان تغلب طائفـة مـن أهل الخروج والفتن , فكما كانوا يتصورون أن الثغر هـو العـراق, وديـار بكـر فليتصوروا بعد اليوم أنه غزة وحدود الرمل , وكما كانوا يستمدون مـنهم علينـا ، يستمدون منا عليهم , ولا يعتمدوا على القلاع فإنهم بالمحاصـرة يعجـزون ومـن الاضطرار يسلمون , ومهما تركوا الوساوس والخيالات وأطاعونا بصدق النيـات , فهم في أمان ا الملك العلام وأمان الرسول عليه السلام وأماننا في النفس والأهـل والمال ولا تصيبهم في عساكرنا أذية في عموم الأحوال .

وكتب في رابع شعبان سنة اثنتين وسبعمائة.

والحمد   رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطـاهرين أجمعين وسلم تسليما ".

ملحق رقم (ت)

رسالة صادرة من السلطان الناصر محمد بن قلاوون إلى الأيلخان غازان سنة 702هـ/ 1302م بعد موقعة شقحب

ملحق رقم (ت)

رسالة صادرة من السلطان الناصر محمد بن قلاوون إلى الأيلخان غازان سنة 702هـ/ 1302م بعد موقعة شقحب [1]

الحمد على ماجدد لنا من النعمة التامة, وسمح به من الكرامة العامة حين أعـاد النعيم إلى كماله, والسرور إلى أتم حاله, فاستأنست النفوس إلى استمرار عوائـدها, وارتاحت القلوب إلى معجز فوائدها, وأضاءت شمس المعـالي, وطلعـت بـدورها بالسعد المتوالي, إذا كانت غلطة من الدهر فاستدركها, وسقطة بدت عنه فما تركها, فقرت بذلك العيون, وتحققت في بلوغ الآمال الظنون, فلله الشكر الجزيل ما أومض في الجو بارق, وسرى في الآفاق نجم طارق.

وبعد : فليعلم الملك الجليل محمود جامع الجيوش وحاشد الجنود , أنـه تظـاهر بدين الإسلام وأشهر ذلك بين الأنام, وأبطن خلاف ما ظهر, وتظاهر بالباطل والحق ستر, ثم فعل ما قدره ا عز وجل, وما حكم به القدر,فحملنا ذلك على أنـه تقـدير, وأن ليس يجدي فيما أراد ا عز وجل تدبير, فما لبث الملك غلا أيسر مدة وأرسـل رسله إلينا مجدة, وهو يطلب الصلح ويحرض عليه, ويذكر الإسلام وينـدب إليـه, وزعم أنه ليس يختار الفساد في الأرض, فإن الواجب علينا وعليـه أصـلاح ذوي الدين, وأن ذلك فرض فعلمنا مقصده في مقاله, وتستر منا بستر يلوح وجه القدر من خلاله, فأكرمنا رسله كرامة تليق بفعالنا, وسمعنا رسالتهم وجاوبناهم على مقتـضى حالنا وأعدناهم إليه بما هم مصرون عليه, فعاد رسوله يطلب رسولا يسمع كلامـه وليس يخفى عنا مقصده ومرامه, فأرسلنا إليه ما طلب وركبناه فرس البغي فيا بئس ماركب ,فما كان إلا عند وصول رسلنا إليه, فجهز عسكره وأظهر من الغدر مـالم يكن يخفي عليه, وأمرهم بما عاد وباله عليهم, وحرضهم على ما وجـدوه حاضـرا لديهم , ثم تقدم معهم وعدى بهم ماء الفرات , وجهزهم ورجع وعلم أن الغلبة مـن قراه, فما كان إلا أن دخلوا البلاد, وعملوا بما أمرهم من الفساد , وتفرقت خيـولهم

---

[1] العيني , عقد الجمان , ج4 , ص247 - 251

في الأطراف والأوقاف, وقطعوا أيدي الأشجار وأرجل الزروع من خلاف, ونزلـوا بالقرب من حاب, وشنوا الغارات وجدوا في الطلب, وجيوشنا الشامية لهم بالمرصاد, قد أخلصوا تعالى نية الجهاد, وهم يتقدمون إليهم كل وقت ويظهرون لهم الضعف والتأخير ليتوسطوا البلاد ويحصل هناك التدبير, فعاد منهم نومـان إلـى القـريتين, فجهز من جيوشنا إليهم ألفان, فوجدوهم قد أخذوا أغنام التركمان, فوافوهم بـالقرب من عرض فكانا كفرسي رهان, فلم يلبث الباغون "*ساعة من النهار*" حتى عجل ا بأرواحهم إلى النار, وبقيت أجسادهم ملقاة بأرض عرض إلى يوم العرض, ولم يفلت منهم إلا من يفعل الخير إنهم قد صاروا أخيارا, ثم أخذ منهم جماعة أسارى: كرج ، وأرمن ، ومغلي ، ونصارى.

فما أقنعهم ذلك,ولا اكتفى بأرواحهم مالك, وهموا طالبين الغوطة , ولم يعلموا أن من دونها رماحا مشروعه وجيادا مربوطة, وعساكر يتأخرون عنهم قليلا بعـد قليـل, وجيوشنا ترصدهم بالغداة والأصيل, فلما عاينوا دمشق المحروسة ظنوا أنهم بدخولها يستبشرون, وما علموا أنهم من حولها إلى جهنم يحشرون, فعبروا عليها وطلعوا إلى جبل يعرف بالمانع, فأخذ الرعب من قلوبهم بالجامع, وتحققـوا أن نتيجـة الغـدر الهلاك, وأن مصرع البغي ليس لهم منه فكاك, فمالوا إلى جانـب البريـة للفـرار, وطلبوا أطراف الميمنة للذلة والانكسار, فضربت عليهم جيوشنا حلقـا , وسـلبوهم أثواب الحياة والبقاء, ودارت بهم الخيول سنابكها سماء من العجاج نجومها الأسـنة, فطارت إليهم عقبان من الجياد قوادمها القوادم وخوافيها الأعنة, وتـصوبت عيـون السمر إلى قلوبهم كأنها تطلب سويداها, وقصدت أنهار الـسيوف أكبـادهم فكأنهـا أرادت تروي صداها , فشربوا كأس المنون لما تبلجت صفحات الصفاح, وعـاينتهم عيون الرماح, وأنشأت لهم الحوافر غمامة من الغبار ونزلت علـيهم أمطـار مـن السهام كمطار الشرار, وأخذتهم رعود من الصهيل, وأبرقت في جوانبها بروق مـن كل سيف صقيل, ولم تغب الشمس حتى أفترشوا أديـم الأرض والـوعر والـسهل, والتجأ من بقاء منهم إلى جبل يعصمهم من القتل, وباتوا عليه ليلة الأحد وأيقنـوا أن ليس ينجو منهم أحد , وندموا حيث لا تنفعهم الندامة, وآيسوا من الخلاص وقنطـوا من السلامة, وضاقت عليهم الأرض بما رحبت, وظنوا أن أرواحهم من أجسادهم قد

ذهبت , ونادوا بلسان حالهم وقد قربت مدة آجالهم, اعتقنا أيها الملك الرحيم , واعف عنا أيها الملك العظيم, فإننا جميعنا مسلمون, ولا تؤاخذنا بما جناه كفارنا المسرفون, فإننا منهم بريئون, فأردنا أن يطلب النصر من حيث عودنا مـن العفـو, فأمرنـا جيوشنا أن تفتح لهم طريقا ليذهبوا , وتركناهم من فعالنا يتعجبوا, ففروا فرار الـشاة من الأسد, ولم يلتفت منهم والد إلى ولد.

فلو رأيت أيها الملك ذلك اليوم لبقيت زمانا يروعك رؤياه في النوم, وما كنت تـرى من جيشك إلا قتيلا أم أسيرا " *وكان يوما على الكافرين عسيرا* " , فلله درة من يـوم تصاحب فيه الذئب والنسر, والقيد والأسر, وهلك الذين هم ديوية الفرسان, قد قادهم الذل والصغار ورعاة العربان والكرج, قد لحقت بقية آثارهم وعجل ا بـدمارهم, والأرمن وقد سيق من سلم منهم في القيود إلى خزانة البنود.

ولو نضرت عيناك ماجرى من أرض حوران إلى الفرات, لراعك وأرعيـك مـن الهول ما كنت تراه, ولو رأيت أصحابك كيف بقوا طعم الرخم والذباب, لقلـت مـن هول ما شاهدت : " *يا ليتني كنت ترابا*") وكيف لك بالتراب ؟ ولكن روعـك مـن السماع أسهل عليك من العيان, فنظرك إلى من عاد إليك من أصحابك يكفيـك فـي البيان , وإنما لو حضرت لرأيت ذلك المقام مشهود الذي فيه الملائكة شهود.

ولقد نصحنا لك أيها الملك فما ارعويت, وبذلنا من القول فما رعيت وركبـت مـن خيل البغي أجري كميت, وقلنا لك إن من جرد سيف البغي كان به المقتول, فلم تـع القول ولم تصغ لمن يقول, فاستيقظ لنفسك وتلاق هذه المصيبة التي تدخل إلى رمسك, ولا يغرك با الغرور واعلم أن ذلك في الكتاب مسطور, واندك المـين بالإيمـان, ودع عنك ما يسولة الشيطان فإنه ما يأمرك إلا بما جنيت ثماره ولا تحصد إلا مـا زرعت بذاره .

وأنت تزعم أن الإسلام شريعتك وبه تدين فنجتمع نحن وأنت على كلمة الإيمان " *ولا تعثوا في الأرض مفسدين* " , وتخرج عن بغداد والعراق, ونعيدها إلى خليفة رسول ا صلى ا عليه وسلم الذي شرق به ظلام الآفاق, ونتبع نحن وأنت أمره , ونؤيد به هذا الدين ومن فعل غير هذا فعلية اللعنة إلى يوم الدين, لتعلم أنـك كمـا تـزعم متمسك بشريعة المسلمين , وإن أنت سولت لك نفسك خلاف ذلك فأنـت لا محالـة

هالك, وعن قليل تخلو منك العراق والعجم , ويصير وجودك إلى العدم, وقد أوضحنا لك القول لكيلا تميل, وهديناك إلى أقوم سبيل, ثم نتقدم بإرسال رسلنا المسيرة إليـك في أتم الكرامة, وتسير معهم من يوصلهم إلينا في حرز الأمن والـسلامة, وترحـل بمن بقى من جيشك إلى طبرستان , وتخلى لمالكها هذه الأوطان .

وبلغنا أنك قلت إن خيلك ورجالك تدخل الديار المصرية, فقد صـدقت أنـت لكـن المنجمين غلطوا في القضية, أما الخيل فإنها دخلت مجنونة, وأما الرجال فكان فـي حلوقهم الطبول, وبأيديهم الصناجق مقلوبة, فقد صدقت منهم المقال وتباركت بهـذا الفأل, وعن قليل نأتيك برجال تميد من تحتها الأرض, وتزحف فترى ما يهولك حتى تتمنى أن تنجوا ولو على بطنك تزحف فتيقظ من رقدة المنـام وبـادر الرحيـل ، والسلام .

ملحق رقم (ث)

رسالة صادرة من الأيلخان أرغون إلى فيليب الرابع ملك فرنسا سنة 688هـ/ 1289م

ملحق رقم (ث)

رسالة صادرة من الأيلخان أرغون إلى فيليب الرابع ملك فرنسا سنة 688هـ/ 1289م ([1])

" بقدرة السماء الأبدية , وفي ظل وحماية الملك: إلى ملك فرنسا :

فيما يتعلق باقتراحك الذي أرسلته إلينا في السنة الماضية بواسطة الوفد الذي كان على رأسه بار صاوما ساهورا مضمونه : " انه إذا غزت جيـوش الايلخانـات المغولي مصر فإننا كذلك سنقوم من هنا بغزوها ونشترك في العمليات الحربيـة مباغتين العدو من الخاف فإننا وافقنا على اقتراحكم ولذاك قررنا بمشيئة ا أننـا سنركب خيولنا في آخر شهر من شتاء عام النمر وسننزل أمـام دمـشق فـي منتصف أول شهر من الربيع .

ونعلمك الآن بأننا بمقتضى صدق كلامنا سنبعث جيوشنا في الموعـد والمكـان المتفق عليه .فإذا أخضعنا بقدرة السماء تلك الشعوب فإننا سنعطيكم القدس أما إذا أهملتم الموعد وجعلتم جيوشنا تخوض عملية حربية فاشلة وقد يكون هذا ممكنـا وسوف تندمون وحتى إذا ندمتم عله فسوف لا ينفعكم الندم وإذا أرسلتم رسـولا من قبلكم إلينا بمهمة ما وكلفتموه بحمل أشياء نفيسة مـن ارض فرنـسا مثـل الصقور والجواهر المختلفة الألوان فلتشهد قدرة السماء وجلالة الملك على أننـا سنكافئكم على ذلك بطريقة ما هذا ما أردنا أن نقوله ".

---

[1] عادل هلال , العلاقات , ص 284 ؛ Bertold Spuler , History Of the Mongols , p141 - 142

ملحق رقم (خ)

رسالة صادرة من الأيلخان اولجايتو خدابنده إلى الملك فيليب الرابع ملك فرنسا

سنة704هـ / 1304 م

إلى ملك فرنسا

ملحق (خ)

رسالة صادرة من الأيلخان اولجايتو خدابنده إلى الملك فيليب الرابع ملك فرنسا سنة704هـ / 1304 م

إلى ملك فرنسا ([1])

منذ القديم كان لكم يا سلاطين شعب فرنسا جميعا علاقات ودية مع آبـاء أجـدادنا الكرام , ومع أجدادنا الكرام , ومع أبينا الكريم , ومع أخينا الأكبر الكريم , وبالرغم من البعد بيننا كنا نجد من خلال رسلكم إلينا تقاربا في الرأي , وذلك فـي إبلاغكـم إيانا جميع إخباركم وفي تبادل البعثات وإرسال هدايا السلام .

فلماذا أهملتم الآن كل ذلك ؟ وخصوصا الآن , وقد اعتلينا العرش العـالي بفـضل قدرة السماء وأبدينا الرغبة في الحفاظ بدقة على ما رسمه وما نظمه جـدنا الكـريم وأبونا الكريم وأخونا الأكبر الكريم , وعلى ألا نتخلى عن الاتفاق الذي وقعوه مـع رؤساء الأراضي القدامى الموزعة حسب النظام الجديد , بل إننا نعتبره واجبا مقدسا , ونريد الاتصالات أكثف مما كانت عليه في الماضي وذلك من خلال تبادل الرسل المفوضين .

لقد أثرت افتراءات جلساء السوء على حبنا نحن الإخوان ولكن السماء وهبتنا الرأي بأننا نحن وتيمور خان وطقطا خان وجابار وتوغا والأخيرين أحفاد جنكيـز خـان يجب علينا أن نضع حدا للاهانات المتبادلة التي شاعت بيننا منذ خمـسة وأربعـين عاما وحتى الآن وبفضل السماء فقد تصالحنا نحن الأخوان وجعلنا مراكز الحـدود بين ولاياتنا ترتبط بعضها ببعض .

ونحن الآن نميل إلى الاعتقاد بأنكم كذلك تريدون استمرار العلاقات الودية معنا كما كانت مع أجدادنا الكرام وآبائنا الكرام وأخينا الأكبـر الكـريم ولهـذا نبعـث لكـم بالرسولين مالغ وتومان .

لقد وصل إلى علمنا أنكم يا سلاطين الفرنسيين جميعا متفاهمون مع بعضكم , وليس هناك في الحقيقة أفضل من التفاهم , وإذا وجد بينكم أو بيننا أناس لا يريدون التفاهم فسنقف بقدرة السماء صفا واحدا في وجوههم والسماء شاهدة على ما نقول .

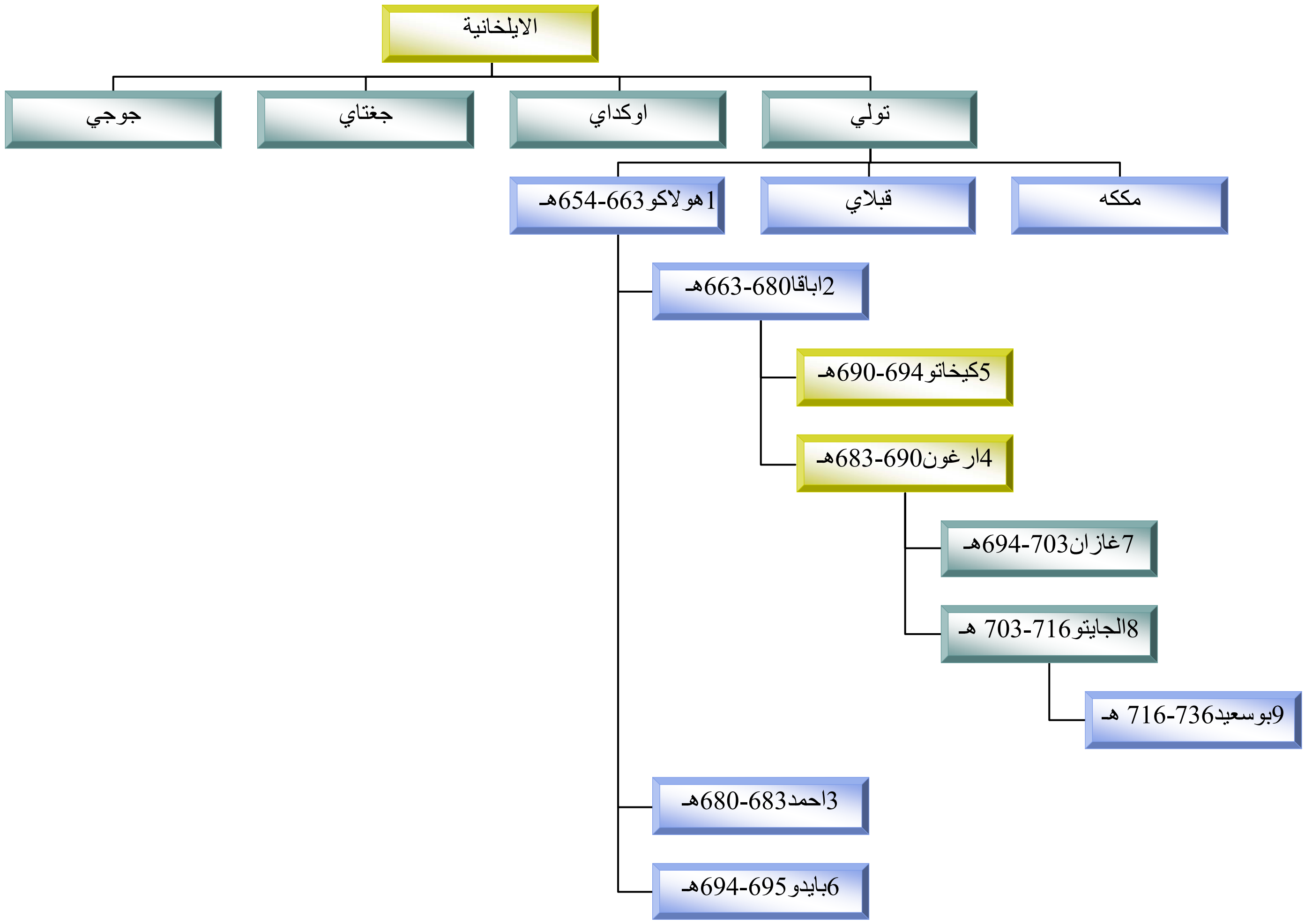
---

[1] عـادل هـلال , العلاقـات , ص 285- 286 ؛ Bertold Spuler , History of the Mongols , p

كتب خطابنا هذا في عام 704هـ / 1305م في عام الحية في اليوم الثامن من الثلث الأخير لأول شهور الصيف خلال إقامتنا في اليمان .

ملحق (ذ)
شجرة نسب الايلخانية

ملحق (ذ)
شجرة نسب الايلخانية



بسم ا الرحمن الرحيم

السيرة الذاتية للباحثة

الاسم : حنان احمد محمود الخريسات

الكلية : كلية الدراسات الاجتماعية

التخصص : تاريخ إسلامي

السنة . 2008م

العنوان البريدي : الأردن , محافظة الطفيلة

الهاتف : 2241333 ، 0776846052

البريد الالكتروني: **hanan_anose@yahoo.com**